

الصراع فى الشرق الأوسط
من هيرتزل إلى شارون



السفير/ طاهر شاش



الصراع فى الشرق الأوسط

مـــن هيـــرتزل إلـــى شـــارون

الطبعـــة الأولى

١٤٢٩ هـ ـ فبراير ٢٠٠٨ م



٩ شارع السعادة - أبراج عثمان - روكسى - القاهرة

تليفون وفاكس: ٢٤٥٠١٢٢٩ - ٢٤٥٠١٢٢٨ - ٢٢٥٦٥٩٣٩

المكتبة: ٢ شارع البورصة الجديدة - قصر النيل - القاهرة

تليفون: ٢٣٩٢٨٠٧١ - ٢٣٩١٢٠٧٢

Email: < shoroukintl @ hotmail. com >

< shoroukintl @ yahoo.com >

الصراع فى الشرق الأوسط

من هيرتزل إلى شارون

السفير/ طاهر شاش



البرنامج الوطنى لدار الكتب المصرية

الفهرسة أثناء النشر

(بطاقة فهرسة)

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية (إدارة الشئون الفنية)

شاش، طاهر.

الصراع فى الشرق الأوسط من هيرتزل إلى شارون.

طاهر شاش. ـ ط١ . ـ القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٨م

٢٣٢ص؛ ١٧ × ٢٤سم.

تدمك 0 - 11- 6278 -977- 978

١ - النزاع العربى الإسرائيلى.

أ. العنوان. ٣٤١,٥

رقم الإيداع ٣١٢٨ / ٢٠٠٨م

الترقيم الدولى I.S.B.N. - 978- 977- 6278 - 11 - 0

الفهـــــرس

تــواريــخ وأحــــداث

من عام (٦٣٨م ـ ٢٨ نوفمبر ٢٠٠٧م)

التـــاريـــخ	الحـــــــــدث
عام ٦٣٨م	الفتح العربى لفلسطين .
١٠٩٩ ـ ١٢٤٤م	حكم الصليبيين لفلسطين .
١٥١٦م	الغزو العثمانى لفلسطين .
١٨٨١م	إنشاء جماعة أحباء صهيون وبدء إقامة المستوطنات اليهودية فى فلسطين .
١٨٩٦م	نشر كتيب الدولة اليهودية لتيودور هيرتزل .
١٨٩٧م	عقد مؤتمر بازل وإنشاء المنظمة الصهيونية العالمية .
١٩١٤ـ١٩١٨م	الحرب العالمية الأولى .
يوليو ١٩١٥/ يناير ١٩١٦	مراسلات الحسين/ مكماهون .
مايو ١٩١٦م	معاهدة سايكس/ بيكو .
يونيو ١٩١٦م	الثورة العربية الكبرى ضد الحكم العثمانى .
٢ نوفمبر ١٩١٧م	تصريح بلفور .
٩ ديسمبر ١٩١٧م	دخول الجنرال البريطانى أليnبى القدس .
٣ يناير ١٩١٩م	اتفاق فيصل/ وايزمان .
١٠ يونيو ١٩١٩	لجنة كنج/ كرين تؤكد رفض الفلسطينيين تصريح بلفور .
أول يوليو ١٩٢٠م	إقامة الانتداب البريطانى على فلسطين وتعيين هربرت صمويل مندوبًا ساميًا .
٢٥ يونيو ١٩٢١م	مؤتمر القدس يعلن رفض الانتداب البريطانى وتصريح بلفور .
٢٢ يونيو ١٩٢٢م	الكتاب الأبيض البريطانى المتضمن أن تصريح بلفور لا يعنى جعل فلسطين دولة يهودية .
٢٤ يوليو ١٩٢٢م	عصبة الأمم تقرر وضع فلسطين تحت الانتداب البريطانى .
أغسطس ١٩٢٩م	ثورة البراق الفلسطينية .

التاريخ	الحدث
مايو ١٩٤٢م	مؤتمر بلتيمور الصهيونى يقرر إنشاء الدولة اليهودية .
١٢ مارس ١٩٤٥م	توقيع ميثاق جامعة الدول العربية .
١٩٤٤ـ١٩٤٧م	العمليات الإرهابية للمنظمات اليهودية .
مايو ١٩٤٦م	مؤتمر أنشاص بشأن فلسطين .
يونيو ١٩٤٦م	مؤتمر بلودان بشأن فلسطين .
أكتوبر ١٩٤٦م/ يناير ١٩٤٧م	مؤتمر لندن بشأن فلسطين .
٢٩ نوفمبر ١٩٤٧م	صدور قرار التقسيم رقم ١٨١ .
١٠ إبريل ١٩٤٨م	مذبحة دير ياسين .
١٤ مايو ١٩٤٨م	إعلان قيام دولة إسرائيل .
١٥ مايو ١٩٤٨م	دخول قوات الدول العربية فلسطين .
١١ ديسمبر ١٩٤٨م	صدور قرار الأمم المتحدة رقم ١٩٤ بشأن اللاجئين .
يناير ـ يوليو ١٩٤٩م	عقد اتفاقات الهدنة العربية الإسرائيلية .
مايو ١٩٥٠م	التصريح الثلاثى (الأمريكى/ البريطانى/ الفرنسى) بشأن الشرق الأوسط .
٢٣ يوليو ١٩٥٢م	الثورة المصرية .
يوليو ١٩٥٤م	عقد اتفاقية الجلاء البريطانى عن مصر .
يوليو ١٩٥٤م	ضبط حلقة التجسس والتخريب اليهودية فى مصر .
١٩٥٤ ـ ١٩٥٥م	مفاوضات جونستون حول استغلال مياه نهر الأردن .
٢٨ فبراير ١٩٥٥م	العدوان الإسرائيلى على القوات المصرية فى غزة .
سبتمبر ١٩٥٥م	صفقة الأسلحة التشيكوسلوفاكية .
٢٦ يوليو ١٩٥٦م	تأميم شركة قناة السويس .
٢٩ أكتوبر ١٩٥٦م	العدوان الثلاثى على مصر (حرب السويس) .
١ فبراير ١٩٥٨م	الوحدة بين مصر وسوريا .
٢٨ سبتمبر ١٩٦١م	انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة .
١٣/ ١٧ يناير ١٩٦٤م	مؤتمر القمة العربية الأول . وإنشاء منظمة التحرير الفلسطينية .
٥ يونيو ١٩٦٧م	بدء العدوان الإسرائيلى على مصر والأردن وسوريا .

التـــاريـــخ	الحـــــــــدث
٢٧ يونيو ١٩٦٧م	إسرائيل تضم القدس .
٢٨ أغسطس-٢ سبتمبر ١٩٦٧م	مؤتمر القمة العربية فى الخرطوم .
٢٢ نوفمبر ١٩٦٧م	صدور قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ .
مارس ١٩٦٩/ أغسطس ١٩٧٠م	حرب الاستنزاف .
٧ أغسطس ١٩٧٠م	بدء وقف إطلاق النار تنفيذاً لمبادرة روجرز .
سبتمبر ١٩٧٠م	أيلول الأسود : القتال بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية .
٢٨ سبتمبر ١٩٧٠م	وفاة جمال عبد الناصر .
٤ فبراير ١٩٧١م	مبادرة السادات بشأن التسوية الانتقالية .
١٨ يوليو ١٩٧٢م	طرد الخبراء السوفييت من مصر .
٦ أكتوبر ١٩٧٣م	حرب أكتوبر بين مصر وسوريا وبين إسرائيل .
٢٢ أكتوبر ١٩٧٣م	صدور قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ .
٢١ ديسمبر ١٩٧٣م	مؤتمر جنيف .
١٨ يناير ١٩٧٤م	عقد اتفاق الفصل بين القوات بين مصر وإسرائيل .
٣١ مايو ١٩٧٤م	عقد اتفاق الفصل بين سوريا وإسرائيل .
١ سبتمبر ١٩٧٥م	عقد اتفاق سيناء بين مصر وإسرائيل .
مايو ١٩٧٧م	تولىميناحيم بيجين الحكم .
١٩ نوفمبر ١٩٧٧م	زيارة السادات للقدس .
١٧ سبتمبر ١٩٧٨م	عقد اتفاق كامب ديفيد بين السادات وبيجن .
٢٦ مارس ١٩٧٩م	عقد معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية .
٣٠ يوليو ١٩٨٠م	إصدار إسرائيل القانون الأساسى بإعلان القدس الموحدة عاصمة لإسرائيل .
٦ أكتوبر ١٩٨١م	اغتيال الرئيس أنور السادات .
١٤ ديسمبر ١٩٨١م	ضم إسرائيل لهضبة الجولان السورية .
٦ يونيو ١٩٨٢م	الغزو الإسرائيلى للبنان .
١ سبتمبر ١٩٨٢م	مبادرة ريجان .
١٦ سبتمبر ١٩٨٢م	مذبحة صابرا/ شاتيلا .
١ أكتوبر ١٩٨٥م	القصف الإسرائيلى لمقر منظمة التحرير الفلسطينية فى تونس .

التاريخ	الحدث
٩ ديسمبر ١٩٨٧م	بدء الانتفاضة الفلسطينية .
٣١ يوليو ١٩٨٨م	الملك حسين يعلن قطع الروابط مع الضفة الغربية .
١٨ نوفمبر ١٩٨٨م	موافقة المجلس الوطنى الفلسطينى بالجزائر على قرارى مجلس الأمن رقمى ٢٤٢ و٣٣٨ وإعلانه استقلال دولة فلسطين .
٢ أغسطس ١٩٩٠م	الغزو العراقى للكويت .
٣٠ أكتوبر ١٩٩١م	مؤتمر مدريد للسلام فى الشرق الأوسط .
ديسمبر ١٩٩١/ يونية ١٩٩٣م	مفاوضات واشنطن بين الدول العربية وإسرائيل .
١٣ سبتمبر ١٩٩١م	توقيع إعلان المبادئ (اتفاق أوسلو) بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل .
٢٥ فبراير ١٩٩٤م	مذبحة الحرم الإبراهيمى فى الخليل .
٤ مايو ١٩٩٤م	عقد اتفاق غزة/ أريحا فى القاهرة .
٢٦ أكتوبر ١٩٩٤م	عقد معاهدة السلام الأردنية/ الإسرائيلية .
٢٨ سبتمبر ١٩٩٥م	عقد الاتفاقية الانتقالية بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية .
٤ نوفمبر ١٩٩٥م	اغتيال إسحق رابين (تولى شيمون بريز الحكم) .
٢١ يناير ١٩٩٦م	الانتخابات التشريعية الفلسطينية وانتخاب ياسر عرفات .
٢٩ مايو ١٩٩٦م	فوز بنيامين نيتانياهو فى الانتخابات الإسرائيلية .
١٥ يناير ١٩٩٧م	توقيع بروتوكول مدينة الخليل .
٢٣ أكتوبر ١٩٩٨م	توقيع اتفاق واى ريفر .
١٧ مايو ١٩٩٩م	فوز إيهود باراك فى الانتخابات الإسرائيلية .
٤ سبتمبر ١٩٩٩م	توقيع اتفاق شرم الشيخ بين باراك وعرفات بشأن إعادة انتشار القوات الإسرائيلية .
يوليو ٢٠٠٠م	مؤتمر كامب ديفيد (٢) لمفاوضات الوضع الدائم الفلسطينى .
يناير ٢٠٠١م	مفاوضات طابا بشأن الوضع الدائم الفلسطينى .
٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠م	زيارة شارون الاستفزازية للحرم القدسى وبدء انتفاضة الأقصى .
فبراير ٢٠٠١م	فوز شارون فى الانتخابات الإسرائيلية وتولية الحكم فى مارس ٢٠٠١م .

الحـــــــــدث	التـــاريـــخ
أحداث سبتمبر : القصف الجوى فى نيويورك وواشنطن .	١١ سبتمبر ٢٠٠١م
تحديد إقامة ياسر عرفات فى مبنى المقاطعة برام الله .	١٣ ديسمبر ٢٠٠١م
مبادرة القمة العربية في بيروت .	مارس ٢٠٠٢م
الرئيس بوش يعلن عن رؤيته بشأن إقامة دولتين فى فلسطين .	٢٤ يونيو ٢٠٠٢م
الكونجرس الأمريكى يصدر قانونًا بأن القدس الموحدة عاصمة لإسرائيل .	٢٨ سبتمبر ٢٠٠٢م
الرباعية الدولية (الولايات المتحدة-الاتحاد الأوروبي-روسيا-الأمم المتحدة) تضع خريطة الطريق للتسوية على أساس الدولتين فى فلسطين .	ديسمبر ٢٠٠٢م
الانتخابات الإسرائيلية وفوز شارون .	يناير ٢٠٠٣م
اغتيال الشيخ أحمد ياسين .	٢١ مارس ٢٠٠٤م
اغتيال الرنتيسى .	١٧ إبريل ٢٠٠٤م
فتوى محكمة العدل الدولية بشأن عدم شرعية الجدار الإسرائيلى .	١٠ إبريل ٢٠٠٤م
وفاة ياسر عرفات .	١١ نوفمبر ٢٠٠٤م
الانتخابات الرئاسية الفلسطينية وفوز محمود عباس .	٩ يناير ٢٠٠٥م
الانتخابات التشريعية الفلسطينية وفوز حماس بأغلبية المقاعد .	٢٦ يناير ٢٠٠٦م
تكليف إسماعيل هنية بتشكيل الحكومة .	٢٢ فبراير ٢٠٠٦م
الانتخابات الإسرائيلية وفوز حزب كاديما بالأغلبية وتشكيل حكومة أولمرت .	مارس ٢٠٠٦م
العدوان الإسرائيلى على لبنان .	يوليو ٢٠٠٦م
توقيع اتفاق مكة بين فتح وحماس .	٨ فبراير ٢٠٠٧م
تشكيل حكومة الوحدة الوطنية الفلسطينية .	مارس ٢٠٠٧م
الانقلاب العسكرى لحماس والاستيلاء على الأجهزة الأمنية فى قطاع غزة .	١٢ يونيو ٢٠٠٧م
إقالة حكومة عباس هنية وتشكيل حكومة طوارئ برئاسة سلام فياض وتمسك هنية ببقاء حكومته .	١٥ يونيو ٢٠٠٧م
عقد مؤتمر أنا بوليس بشأن النزاع الفلسطينى الإسرائيلى (بمشاركة سوريا) .	٢٨ نوفمبر ٢٠٠٧م

مقدمة

قتلت إسرائيل الأسرى المصريين العزل بدم بارد وبوحشية بالغة. . أمرتهم بحفر قبورهم بأيديهم وأطلقت الرصاص على رءوسهم، طردت سبعمائة ألف وخمسمائة فلسطيني في عامي ١٩٤٧ و١٩٤٨م يمثلون الغالبية العظمى من أصحاب البلاد، واستولت على منازلهم وأسكنت فيها المهاجرين اليهود القادمين من شتى أنحاء العالم، والذين أعطتهم حق الهجرة والإقامة والاستيطان في الوقت الذى حرمت فيه اللاجئين الفلسطينيين من العودة إلى منازلهم وممتلكاتهم. .

وقد أعلن دافيد بن جوريون أن يهودا قامت بالدم والنار وأن يهودا ستقوم بالدم والنار، وطبق بكل همة هذا الشعار، فأنشأ - وزملاؤه من الصهاينة - المنظمات الإرهابية التى نكلت بالفلسطينيين، وأقام جدارًا حديديًا لترويعهم وإخضاعهم للمشروع الصهيوني. .

ورفضت إسرائيل تقديم أية تنازلات للعرب حتى يتحقق السلام في الشرق الأوسط. . ظلت متمسكة بالاحتفاظ بالأراضي العربية التى استولت عليها في الحروب التى شنتها عليهم، وظل موقفها الرافض لعودة اللاجئين جامدًا صارمًا، واستخدمت القوة المفرطة ضد العرب. . وفرضت احتلالها الطويل - لأكثر من أربعين عامًا - على الأراضي العربية، وضربت بالقانون الدولى وقرارات الأمم المتحدة جميعها عرض الحائط. . ولا تزال ترفض يد السلام العربية رغم مبادرة قمة بيروت العربية التى تعرض عليها إقامة العلاقات معها في حالة انسحابها من هذه الأراضي وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة في أراضي الضفة والقطاع بعاصمتها القدس وحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين حلاً عادلاً.

قامت بمصادرة أراضى العرب وبناء المستوطنات اليهودية فيها . . واستولت على مصادر المياه وحرمت الفلسطينيين منها ، وعاملتهم بوحشية بالغة وأعملت فيهم القتل والتعذيب والاعتقال وهدم المنازل واقتلاع المزروعات ، الأمر الذى يدعو للتساؤل عن أسباب هذه الكراهية . وهى الدولة الوحيدة فى العالم التى تصدر قانونًا يبيح التعذيب لتمارسه ضد العرب .

وقد قامت بتسليح جيشها بأحدث الأسلحة التقليدية وأسلحة الدمار الشامل ليكون أقوى جيوش المنطقة ، ولتكون دولة إسرائيل الوحيدة التى تملك السلاح النووى فيها . . ووجدت إسرائيل فى الدول الكبرى حلفاء يدعمونها سياسيًا وعسكريًا واقتصاديًا .

ومع ذلك ، تطالب بحدود آمنة على حساب الدول والشعوب العربية .

والواقع ، أن إسرائيل قد اتخذت منذ قيامها وعلى مدى تاريخها سياسة عدوانية لا هوادة فيها تجاه العرب ، وأفشلت كل المساعى التى بذلت من أجل تحقيق السلام فى الشرق الأوسط .

وهذه ظاهرة تتطلب الدراسة الموضوعية وخاصة لمحاولة التعرف على أسباب هذه السياسة العدوانية . ولما كانت إسرائيل قد أنشئت لتكون دولة لليهود ، وأنها أقيمت تنفيذًا لمشروع صهيونى له أهدافه ووسائله ، فإن دراسة هذه الأسباب تقتضى استعراض أسس الديانة اليهودية وعقائدها ، وإلقاء نظرة سريعة على التراث الدينى والتاريخى لليهود ، ثم بحث ظروف نشأة الحركة الصهيونية وأهداف المشروع الصهيونى ووسائل تنفيذه ، وخاصة الإرهاب .

وسوف نستعرض ـ فيما يلى ـ بعض أبعاد الديانة اليهودية وتاريخ اليهود والصهيونية والسياسة التى اتبعتها إسرائيل منذ قيامها حتى حكم شارون ، وذلك فى الأبواب الخمسة التالية :

* الباب الأول : التراث الدينى اليهودى .
* الباب الثانى : التراث التاريخى لليهود .
* الباب الثالث : أهداف الصهيونية ووسائلها .
* الباب الرابع : التاريخ العدوانى لدولة إسرائيل .
* الباب الخامس : المسئولية عن الصراع العربى الإسرائيلى .

البـــاب الأول

التــراث الدينى اليهــودى

الفصل الأول: الكتب الدينية لليهودية والشخصيات الدينية

الفصل الثانى: العقائد الدينية اليهودية

الفصل الثالث: الفرق الدينية والمذاهب اليهودية

الفصـــل الأول

الكتب الدينية لليهودية والشخصيات الدينية

١ ـ التــوراة [١]

للديانة اليهودية مصدران أساسيان هما: العهد القديم، والتلمود. ويطلق اسم التوراة تجوزًا على العهد القديم، فى حين أنه يشير أصلاً إلى الأسفار الخمسة الأولى منها أو ما تعرف بأسفار موسى. [وسوف نستعمل اسم التوراة لأنه أكثر شيوعًا للتدليل على العهد القديم، إلا إذا كان السياق يدل على أن المقصود هو الأسفار الخمسة الأولى (أسفار موسى)] ولا يستخدم اليهود تعبير (العهد القديم)، وإنما يستخدمه المسيحيون للتمييز بينه وبين (العهد الجديد) الذى يتضمن الأناجيل وغيرها الخاصة بالديانة المسيحية.

ويشتمل العهد القديم (التوارة) على تسع وثلاثين سفرًا (تضيف الكنيسة الكاثوليكية إليها سبعة أسفار أخرى). وهذه الأسفار هى:

* أسفار موسى الخمسة التى تسمى أيضًا التوراة وتحتوى الشرائع والقوانين والوصايا العشر، فضلاً عن أخبار تاريخية وهى سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر اللاوين، وسفر العدد، وسفر التثنية.

---

(١) د. عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ـ الجزء الخامس، وموسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، ـ د. أحمد شلبى: مقارنة الأديان ـ ١: اليهودية (مكتبة النهضة المصرية).

ويتضمن سفر التكوين قصص خلق العالم وآدم وأولاده ونوح وإبراهيم ونسله وينتهى بموت يوسف. أما سفر الخروج، فيتحدث عن خروج بنى إسرائيل من مصر حتى وصولهم شرق الأردن، وعن الوصايا العشر[1] وتعاليم دينية ويحتوى سفر اللاويين الكثير من التشريعات والوصايا والأحكام. ويتضمن سفر العدد ـ بوجه خاص ـ الكثير من الأعداد، ويروى سيرة بنى إسرائيل فى سيناء كما يحوى كثيراً من الطقوس. ويحوى سفر التثنية تكرار التشريعات والتعاليم الدينية ويتحدث عن الأطعمة الحلال وعن الكهنة والنبوة وينتهى بخبر وفاة موسى ودفنه.

* أسفار الأنبياء

وتتضمن تاريخ العبرانيين منذ وفاة موسى حتى هدم الهيكل.

* كتب الحكمة والأناشيد

وتتضمن مواد تاريخية وقصصية وغنائية.

ويرى اليهود الأرثوذكس أن كلمات العهد القديم ـ وأسفار موسى بصفة خاصة ـ هى كلام الله الذى أوحى به إلى موسى حرفيّا وهو كلام أزلى لا يتغير، كما أن بقية أسفاره نتاج الروح المقدسة ـ ولكن بدرجة أقل ـ فالعهد القديم لهم هو السلطة العليا التى لا يمكن التشكيك فيها، وتشكل أسفار موسى الخمسة أهم الأجزاء التى تعتبر بالنسبة إليهم جوهر اليهودية وشريعتها. أما اليهود الإصلاحيون والمحافظون والتجريديون فيرون أن العهد القديم مجرد إلهام من الله وليس وحيًا منه، وقد وصل هذا الإلهام بدرجات مختلفة.

ويبدو أن أسفار موسى الخمسة لم يبدأ تجميعها إلا فى القرن السابع قبل الميلاد ومع هذا لم تدون الأسفار بل ظلت تنتقل حتى استقر نصها فى حوالى القرن الرابع قبل الميلاد. ويتفق معظم شراح العهد القديم على أن النص المتداول حاليًا يرتد إلى أربعة مصادر (مصدر يهوه ورواته من جنوب مملكة يهوذا، ومصدر الوهيم ورواته

---

(١) تضمن سفراالخروج والتثنية الوصايا العشر وهى: عدم اتخاذ آلهة أخرى وعدم صنع الأصنام، وتقديس السبت، وإكرام الوالدين، والنهى عن القتل والزنا والسرقة وشهادة الزور، وعدم اشتهاء أملاك القريب أو زوجته.

من مملكة إسرائيل الشمالية، ومصدر تثنية الشريعة وينسب إلى أحد ملوك اليهود، وحواشي الكهنة في القرن الخامس ق. م.). وقد ترجمت أسفار موسى في القرن الثالث قبل الميلاد إلى اليونانية، وتسمى الترجمة السبعينية نسبة إلى عدد المترجمين. أما أسفار الأنبياء، فتروى تاريخ فترة زمنية من التاريخ اليهودى تمتد بين حوالى سنة ١٣٠٠ وسنة ٣٠٠ ق. م، وقد جمعت خلال الفترة الممتدة من القرن السادس حتى القرن الثالث ق. م. وأما كتب الحكمة، فيغلب عليها الطابع الأدبى، وعددها ١٤ سفراً.

وقد وجه علماء دراسة التوراة إليها انتقادات كثيرة. ومن هذه الانتقادات ما يلى:

* إن كثيراً من قصص أسفار موسى يتشابه مع أساطير وتشريعات بابلية أو مصرية قديمة مثل قصة الخلق والطوفان ومولد موسى، وقانون حمورابى. وعلى سبيل المثال هناك تشابه كبير بين أسطورة التكوين كما جاءت فى التوراة وأسطورة الخلق المصرية فى كتاب الموتى، وكذا بين قصة الطوفان مع ملحمة جلجامش البابلية والمزامير ونصوص البردى المصرية [١].

* إن التوراة تحتوى على متناقضات واختلافات بين بعض أجزائها، ومن ذلك اختلاف أسطورتى الخلق فى الإصحاحين الأول والثانى من سفر التكوين.

* إن ثمة ما يدل على أن موسى ليس كاتب الأسفار الخمسة المنسوبة إليه؛ حيث إن أجزاء منها مكتوبة بصيغة الغائب (قال موسى . . .)، فضلاً عن أنها تتحدث عن وفاة موسى.

* احتواء بعض أسفار التوراة وقائع أو أسماء أماكن لم تكن معروفة فى الزمن موضوع السفر [٢].

والسمة البارزة للديانة اليهودية - كما يتضمنها العهد القديم - هى أنها ديانة قومية. فهى منزلة على أمة معينة هى أمة بنى إسرائيل، التى عقد الإله معها ميثاقًا تقوم بمقتضاه بعبادته والالتزام بتعاليمه، مقابل ما يعطيه لها من أرض محددة يمكنهم من غزوها ويقوم بحمايتها ويجعل منها أمة عظيمة، بل وينصرها فى نهاية الأيام على كافة الأمم ويسوّدها عليها، حيث يبعث مسيحًا يقودها إلى النصر ويهزم أعداءها.

(١) شفيق مقار: قراءة سياسية للتوراة - كتب رياض الريس - ص ١٨٨.
(٢) تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث - تحرير زالمان شازار - المجلس الأعلى للثقافة.

والتوراة هى مصدر التاريخ اليهودى القديم، والذى يعتبر عند اليهود تاريخًا مقدسًا. وهو جزء لا يتجزأ من الديانة اليهودية (وسوف نستعرضه فى موضع لاحق). ونشير فى هذا المجال إلى أن العصر الذهبى لذلك التاريخ هو إقامة مملكة داود وسليمان، أما المرحلة التاريخية التى كانت لها آثار هامة على تطور الديانة اليهودية والمعتقدات الدينية، وخاصة ترسيخ عقيدة شعب الله المختار وظهور المسيح وعودة اليهود إلى أرض المعاد ـ وكذا على تحرير أسفار التوراة ـ فقد كانت مرحلة السبى البابلى (الجالوت) التى بدأت عام ٥٨٦ ق. م عندما قضى ملك بابل نبوخذ نصر على دويلة يهوذا التى انقسمت إليها وإلى دويلة إسرائيل مملكة داود وسليمان). وقد استمرت مرحلة السبى حوالى نصف قرن، عمل خلالها أنبياء بنى إسرائيل وخاصة حزقيال وإشعيا على الحفاظ على الديانة اليهودية، وإحياء أمل المنفيين فى العودة إلى أرض إسرائيل وإعادة بناء الهيكل الذى دمره البابليون. وتسجل التوراة وقع السبى البابلى على نفوس المنفيين، حيث يتضمن سفر المزامير «على ضفاف أنهار بابل جلسنا، وبكينا عندما تذكرنا أورشليم. هناك علقنا أعوادنا على أشجار الصفصاف. هناك طلب منا الذين سبونا أن نشدو بترنيمة، والذين عذبونا أن نطربهم قائلين: «أنشدوا لنا من ترانيم صهيون» [المزامير: ١٣٧ : ١ ـ ٣].

ويبدو أنه فى مرحلة السبى البابلى أعيدت كتابة التاريخ الإسرائيلى القديم، وجرى تنسيق كثير من أسفار التوراة، بحيث أصبحت مليئة بنزعة العودة والتمسك الشديد بالطقوس ونظام الكهنوت والتمييز بين الشعب اليهودى المقدس وبقية الإنسانية. كما أن التركيز على الشريعة (القانون) أدى إلى ظهور طبقة الكتبة والاهتمام البالغ بشرح القانون وتأويله، ومن ثم إعداد التلمود. وقد أخذ اليهود ـ فى هذه المرحلة ـ عن الفرس أفكار الآخرة والبعث والملائكة والشياطين. وبعد أن انتصر الفرس على البابليين، سمح الملك كورش لليهود بالعودة. ومن المجموعات التى عادت الكاهنان نحميا وعزرا، وكان عزرا يدعو الشعب إلى العودة إلى شريعة موسى كاملة، ويذكرهم بأن السبى كان عقاب الإله لهم لخروجهم على قوانين التوراة، ومنها تلك التى تحرم عليهم الزواج من الأجنبيات مطالبًا إياهم بتطليقهن (وقد لقيت هذه الدعوة العنصرية قبولا منهم). وقد دونت التوراة، فى عصر عزرا، وقام بقراءتها على الشعب فى ساحة بيت الله، كما أعيد بناء الهيكل. وأخذ الاهتمام بشرح التوراة يتزايد منذ السبى البابلى، وبدأ وضع التلمود نتيجة

لمناقشات الحاخامات، كما سادت العقيدة الحاخامية (التلمودية) من حوالى القرن التاسع الميلادى. وبعد غزو الإسكندر الأكبر لفلسطين، انتشرت الحضارة اليونانية وتأثرت بها الديانة اليهودية، كما ظهرت الفرق الدينية المختلفة (والتى نشير إليها فى موضع لاحق).

ولم تعد التوراة هى مصدر الديانة اليهودية، بل أصبح التلمود يحتل مركزاً لا يقل عنها، بل يعلو عليها فى نظر بعض اليهود.

٢ ـ التلمود

التلمود كتاب موسوعى يتضمن إلى جانب الدين والشريعة اليهودية التاريخ والآداب والزراعة والصناعة والتجارة والفلك والتنجيم وغيرها، ويغطى الحياة الخاصة لليهودى بما فيها علاقته الزوجية.

وهو كتاب ضخم يزيد عدد مجلداته على عشرين مجلداً. ويوجد تلمودان: التلمود البابلى ـ والتلمود الأورشليمى. الأول ناتج عن مناقشات الحاخامات فى بابل، والثانى عن تلك التى دارت فى فلسطين. وقد بدأ تدوين التلمود مع بداية العصر المسيحى، واستغرق تأليفه حوالى خمسمائة عام.

وهو محاولة من جانب الحاخامات لتفسير العهد القديم. وكلا التلمودين مكون من المشناة والجماراة. أما المشناة، فتنقسم إلى ستة أقسام هى: الزراعة ـ والأعياد ـ والمرأة ـ والأضرار والتعويضات عنها والقداسة ـ والمقدسات ـ والطهارات. وأما الجماراة، فهى مناقشات ـ ومناظرات علماء اليهود حول المشناة. ومعظم المشناة تشريعات وقوانين (وتسمى هالاخا). والتلمود ـ فى نظر اليهود ـ يتضمن الشريعة الشفوية (التى تقابل الشريعة المكتوبة أى التوراة)، حيث يعتقدون أن الله أنزل على موسى الشريعتين، وأن أحكام التلمود موحى بها إلى الحاخامات والعلماء اليهود. واعتبر التلمود فى أول الأمر مساويًا فى القداسة للتوراة، ولكن بعض اليهود يعتبرونه أكثر قدسية منها.

وينسب إلى أحبار فريق الفريسيين (إحدى الفرق الدينية ونشير إليها فى موضع تال) أنهم هم من وضعوا التلمود، فى حين أن فريق القرائين يرفضون التلمود.

أما حركة التنوير الإصلاحية، فإنها هاجمت التلمود وأنكرت قداسته واعتبرته

مجرد تفسيرات تعبر عن السلطة الحاخامية ونفت كل قيمة إلزامية له، مبينّة ما به من خرافات تتناقض مع العقل.

وعلى العكس، تصدى أعضاء المؤسسة الحاخامية للدفاع عن التلمود رافضين أية محاولة لتطويره.

والواقع، أن التلمود يعكس النزعة الانعزالية لليهودية الحاخامية وروح التعالى على غير اليهود (الأغيار)، ويتضمن موقفًا عنصريًا متشددًا ضدهم ويشبههم بالحيوانات (الحمير والكلاب والخنازير)، وأنهم ما خلقوا على هيئة الإنسان إلا ليكونوا لائقين لخدمة اليهود، بل يعتبرهم أسوأ من الحيوانات. وقد أثار هذا الموقف العنصرى المسيحية فى العصور الوسطى، فحرم الإمبراطور جوستنيان نسخ التلمود وتوزيعه. وفى القرن الثالث عشر أحرقت آخر نسخه، كما أمر الفاتيكان - فى القرن السادس عشر - بإحراق جميع نسخه.

وأدى ذلك إلى إدخال تعديلات لفظية فى التلمود لكى يستبدل بلفظ «الأغيار» ألفاظ أخرى تفاديًا لإثارة غضب المسيحيين. وسوف نتناول فيما بعد بشىء من التفصيل موقف التلمود من غير اليهود (الأغيار).

٣ - الأنبياء والكهنة والحاخامات[١]

الأنبياء

يعرف لويس جاكوبس فى كتابه : The Jewish Religion -A Companion[٢]- النبوة بأنها «الإلهام من جانب القوة الإلهية لأشخاص معينين، والذى يمكنهم من التحديق فى المستقبل ونقل رسائل من الله إلى غيرهم من الناس». وبالرغم من أن تعريف هذا العالم اليهودى للنبى قد لا يختلف كثيرًا عن تعريفه فى الإسلام، إلا أن ثمة اختلافات كبيرة عن مفهوم النبوة الإسرائيلية عنه فى الإسلام. ويحدد الدكتور

(١) راجع بصفة خاصة د. عبد الوهاب المسيرى: الموسوعتان: مرجعان سابقان.

(٢) Louis Jacobs: The Jewish Religion - Acompanion (Oxford University Press).

محمد خليفة حسن - فى كتابه عن (ظاهرة النبوة الإسرائيلية) - هذه الاختلافات من خلال التقييم الإسلامى لهذه النبوة، ومن أهمها ما يلى :

* إن التراث اليهودى لا يعترف بأنبياء غير أنبياء بنى إسرائيل ويفضل بعضهم على بعض، فمنهم الأنبياء الكبار والأنبياء الصغار.

* تتسم النظرة اليهودية لفكرة النبوة بالتعقيد وإدخال الغموض على وظيفة النبى والخلط بينه وبين الكهنوت والعرافة والتنبؤ.

* كما تتسم بالعنصرية، فلا يعترف اليهود بغير أنبياء بنى إسرائيل، فالأنبياء منهم وإليهم، ونادراً ما تصور رسالات هؤلاء الأنبياء بأنها تعنى بمصير العالم والإنسانية.

ويلاحظ أن التراث اليهودى يعتبر عدداً من الأنبياء الوارد ذكرهم فى الإسلام - مثل نوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف والأسباط - آباء لشعب إسرائيل، ويجعل نشاطهم أشبه بنشاط شيوخ القبائل ولا صلة لهم بالنبوة.

* إن مفهوم النبوة فى اليهودية قد اتسع ليشمل شخصيات لا تنطبق عليها صفات النبوة. فهناك من يسمون الأنبياء المحترفين الذين اتخذوا من التنبؤ حرفة لهم، وهناك طائفة من مدعى النبوة عرفت باسم الأنبياء الكذبة.

* يخلط بنو إسرائيل بين النبوة والملك، حيث ينسبون النبوة إلى عدد من ملوكهم، ذلك أن تشتتهم وانتهاء ملكهم لفترات طويلة أدى إلى احتلال النبوة مكانة الملك.

* خلط بنو إسرائيل بين وظيفة النبى ووظيفة المؤرخ(١).

وفى حين يضع الإسلام الأنبياء فى مكانة عالية تليق بهم كحملة الرسالات الإلهية، فإن كتاب العهد القديم ينسبون إليهم أفعالاً منكرة. فنوح يشرب الخمر فيسكر ويتعرى، وإبراهيم يحتمى بامرأته ويجنى من ورائها الغنم والجمال والعبيد، ولوط يضاجع ابنتيه، ويعقوب يتآمر مع أمه على أخيه عيسو لينال حق البكورية وبركة أبيه بالخداع، وداود يرتكب الزنا مع زوجة أوريا الحيثى ويعمل على التخلص منه وقتله، وسليمان يقتل أخاه.

وعلى أية حال، فبالرغم من أن الوظيفة الدينية للأنبياء كانت عملهم الأساسى،

(١) دكتور محمد خليفة حسن : ظاهرة النبوة الإسرائيلية (دار الزهراء للنشر - ١٩٩١).

فقد كانوا يحذرون جماعة إسرائيل من الشرك وعبادة الأوثان ويطالبونهم بالرجوع إلى الله، وإلا أنزل بهم عقابه الشديد وشتتهم وأخضعهم للأمم الأخرى، وقد قاموا كذلك بدور سياسى مهم، حيث كانوا يطلقون النبوءات السياسية، بل إن النبى صموئيل هو الذى عين شاؤول ملكًا كما عين داود من بعده. وهكذا تداخل القومى والدينى فى عمل أنبياء إسرائيل الذى شمل النقد السياسى ووصف الأحداث التاريخية.

الكهنة:[1]

يعتبر اليهود أنفسهم أمة من الكهنة والقديسين، ولكن الكهانة تقتصر على نسل هارون - أخي موسى حيث وضعت فيهم (لأنهم لم يعبدوا العجل)، ويسمى الكهنة اللاويين. وقد لعب الكهنة دوراً هامًا فى تطوير اليهودية، حيث وضعوا أنفسهم بين الناس والله، فالتوبة لا تكون مقبولة إلا إذا باركها الكاهن، وهو وحده القادر على تفسير الطقوس والأسرار الدينية. والكهانة تورث، لذا فإن الكهنة يكونون طبقة مخلقة. وقد كانت الكهانة متداخلة مع السلطة الزمنية ثم انفصلت منذ بدء عهد الملوك. ويرفض الإصلاحيون الكهانة ويعارضون امتيازات الكهنة، ويرون أن مؤسسة الكهانة انتهت مع هدم الهيكل. وللكاهن الأولوية فى تلاوة التوراة والأدعية على مائدة الطعام وتلاوة التبريكات الكهنوتية فى المعابد. ويحظر على الكاهن التواجد بالقرب من جثث الموتى إلا إذا كان الميت قريبًا مباشراً له، كما يحظر عليه الزواج من مطلقة. ولم يكن من حق الكهنة أن يرثوا الأموال أو يمتلكوا الأراضى، ولكنهم يعفون من الضرائب ويأخذون العشور من نتاج الضأن، وكذا أول ما يحصد من الأرض، وما يبقى من القرابين فى الهيكل.

الحاخامات[2]

الحاخام فى اللغة العبرية تعنى الحكيم. ويمارس الحاخام وظيفة هامة، حيث يصدر

(١) د. عبد الوهاب المسيرى: الموسوعتان: مرجعان سابقان.اقرأ أيضًا د. كامل سعفان: اليهود تاريخًا وعقيدة (دار الاعتصام).
(٢) المرجع السابق.

الفتاوى ويرجع إليه اليهودى لاستفتائه فى أى من الأمور بسبب تشابك الطقوس الدينية وتداخلها فى الحياة اليومية .

ويختلف الإعداد الفكرى والدينى للحاخامات حسب انتمائهم الدينى والحضارى، ويمارس كثير من الحاخامات مهنًا أخرى إلى جانب عملهم كحاخامات، وقد كان للحاخامات دور هام، حيث إنهم قاموا بتفسير الشريعة المكتوبة وابتدعوا الشريعة الشفوية التى يتضمنها التلمود وطوروا اليهودية الكلاسيكية، ومنهم الكتبة ومعلمو المشناة والشراح وعلماء التلمود وأصحاب الشروح الإضافية من أمثال موسى ابن ميمون وراشى .

هذا، وقد انقسم الحاخامات إلى أرثوذكس معارضين للحركة الصهيونية ومناصرين لها (يمثلون الصهيونية الدينية)، وسوف نوضح موقف الفريقين عند الكلام عن هذه الحركة . واتخذ معظم الحاخامات موقفًا غاية فى التطرف تجاه الفلسطينيين والعرب عامة منذ استيلاء إسرائيل على الأراضى الفلسطينية عام ١٩٦٧م، فأصدروا الفتاوى التى تبيح قتلهم، وحذروا من إعادة أى جزء من تلك الأراضى معتبرين ذلك خطيئة كبرى .

ونشير - فيما يلى - إلى بعض هذه الفتاوى نقلاً عن مقال منشور فى مجلة القدس للدكتور أحمد الشحات هيكل (العدد ٩٩ صفحة ٢٨) :

* وصف الحاخام عوفديا يوسف - الزعيم الروحى لحركة شاس - العرب بالثعابين ذاكرًا أنهم مثل الديدان والسرطان، ويجب على كافة اليهود التخلص منهم، وأن الله ندم بعدما خلق بنى إسماعيل من العرب والمسلمين .

* أفتى الحاخام شموئيل إلياهو بعدم جواز إلقاء التحية على العربى أو تشغيله والبيع له والشراء منه، فالشعب لا يجوز له أن يوفر عملاً ومعيشة لأعدائه . كما أفتى بأن حكم القرآن (وكتب الكفر) هو الحرق . وأفتى كذلك بجواز قيام اليهودى بإطلاق النار على أى عربى يشتبه فى أنه يخفى سلاحًا قد يستخدمه ضد اليهود .

* نقلت صحيفة يديعوت أحرونوت عن الزعيم الروحى لحركة شاس أن المسيح المخلص عندما يأتى سوف يرسل كل العرب إلى جهنم .

* أصدر الحاخام الأكبر السابق لإسرائيل مردخاى إلياهو فتوى بأنه يجب قتل جميع الفلسطينيين حتى أولئك الذين لا يشاركون فى القتال ضد الاحتلال .

* أفتى الحاخام آفى رونتسكى بقصف البيوت الفلسطينية من الجو على من فيها .

* أصدرت لجنة حاخامات مستوطنات الضفة الغربية وقطاع غزة فتوى تبيح قتل الأبرياء المدنيين من النساء والأطفال في لبنان وفلسطين .

* أفتى الحاخام الأكبر ـ الذى ترأس اتحاد الحاخامات من أجل أرض فلسطين ـ إفراهام شابير أنه وفقًا للتوراة يعتبر تسليم مساحات من أرض اليهود المقدسة للأغيار خطيئة وجريمة .

وبحسب دراسة لقسم العلوم الاجتماعية فى جامعة بار إيلان الإسرائيلية فإن ٩٠٪ من المتدينين يعتقدون أنه فى حالة تعارض قوانين الدولة وفتاوى الحاخامات فإنه يجب تجاهل قوانين الدولة . هذا، ويقصد باليهودية الحاخامية التلمودية الديانة اليهودية ، كما صاغتها جهود الحاخامات نتيجة تفسيرهم للتوراة واعتبارها الشريعة المكتوبة وابتداعهم للشريعة الشفوية التى يتضمنها التلمود، وذلك بعكس الفرق التى لا تؤمن بالشريعة الشفوية . واليهودية الحاخامية التلمودية هى السائدة فى دولة إسرائيل، وتمثلها دار الحاخامية .

* * *

الفصل الثانى

العقائد الدينية اليهودية

١ ـ شعب الله المختار والعهد الإلهى :(١)

جاءت أول إشارة إلى العهد الإلهى فى الإصحاح الثانى عشر من سفر التكوين، بأن الرب قال لأبرام: «اترك أرضك وعشيرتك وبيت أبيك واذهب إلى الأرض التى أريك، فأجعل منك أمة كبيرة وأباركك وأعظم اسمك، وتكون بركة لكثيرين، وأبارك مباركيك وألعن لاعنيك. . . .».

وتكرر الوعد لإبراهيم، حيث جاء فى الإصحاح الثالث عشر من سفر التكوين: «فإن هذه التى تراها، سأعطيها لك ولذريتك إلى الأبد». «لك ولذريتك أعطيت هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر العظيم. . نهر الفرات» وبعد ذلك تأكد العهد الإلهى بشىء من التفصيل حيث يتضمن الاصحاح السابع عشر من السفر المذكور: «سر أمامى وكن كاملاً، فأجعل عهدى بينى وبينك. . . وأقيم عهدى الأبدى بينى وبينك، وبين نسلك من بعدك جيلا بعد جيل، فأكون إلهًا لك ولنسلك من بعدك. وأهبك أنت وذريتك من بعدك جميع أرض كنعان، التى نزلت فيها غريبًا، ملكا أبديًا. وأكون لهم إلهًا».

ثم يتكرر العهد مع إسحاق وموسى ويشوع، حيث يتضمن سفر يشوع أن «كل موضع تطؤه بطون أقدامكم أهبه لكم. . . من صحراء النقب فى الجنوب إلى جبال لبنان فى الشمال، ومن البحر الأبيض المتوسط فى الغرب إلى نهر الفرات» وأخيراً

(١) انظر كتابنا: التطرف الإسرائيلى: جذوره وحصاده (دار الشروق).

يصبح العهد أبديًا فى بيت داود « فإننى أقيم بعدك من نسلك الذى يخرج من صلبك من أثبت مملكته هو يبنى بيتًا لاسمى، وأنا أثبت عرش مملكته إلى الأبد» .

ونتوقف أمام النصوص السابقة وغيرها من نصوص أسفار التوراة ذات الصلة بالعهد الإلهى لنبدى الملاحظات التالية :

• لمن أعطى العهد الإلهى

قد يفهم من نصوص التوراة أن العهد الإلهى يقتصر على ذرية إسحاق ويستثنى ذرية إسماعيل .

فقد روت التوراة أن نوحًا ـ عليه السلام ـ شرب خمراً حتى سكر وتعرى، ورآه ابنه حام فأخبر أخاه سام، فقام سام وأخوه يافث بستر عورة أبيهم، فلما تيقظ الأب وعلم بالأمر دعا باللعنة على حام ونسله من الكنعانيين ليكونوا عبيداً لسام مدى الدهر .

والمعروف أن حام هو أبو الفلسطينيين والمصريين، أما سام فهو أبو اليهود، وكان ذلك هو الحرمان الأول .

ويأتى الحرمان الثانى فى التوراة بالقصة التى تتضمن أن يعقوب (إسرائيل) حصل من أبيه بالبركة التى كانت من حق عيسو أخيه الأكبر بالخداع . ويعقوب هو أبو بنى إسرائيل .

وأخيراً يأتى الحرمان الثالث لذرية إسماعيل (أبى العرب) .

ومع ذلك، فقد أكدت التوراة أن الله قد أعطى عهده لإبراهيم ونسله من بعده، وأن هذا العهد قائم مع داود ونسله إلى أبد الآبدين (وإسماعيل من نسل إبراهيم!)

وقد آثار تأكيد التوراة على أبدية العهد الإلهى رغم القضاء على مملكة داود وذريته فى عام ٥٨٧ ملاحظات خبراء دراسات العهد القديم، فذهب فرانك موركروس إلى أن هذا يدل على أن كاتبين مختلفين حررا سفر الملوك، أحدهما كان متفائلاً وواثقًا من أبدية تلك المملكة والآخر عاصر تدمير المملكة وروى ما حدث لها فى عهد الملوك الأربعة الأخيرة لمملكة يهوذا، وذلك مع الإبقاء على النص الخاص بأبدية مملكة داود ونسله .

كما يذهب علماء الدراسات التوراتية إلى أن الاختلافات والتناقضات التى تلاحظ بشأن العهد الإلهى تدل على أنها جمعت من ستة مصادر مختلفة ـ منها المكتوب، ومنها الشفوى ـ ثم دونت للمرة الأولى فى بابل خلال القرن السادس قبل الميلاد، أى بعد مرور ثمانية قرون على وفاة موسى.

ومن ناحية أخرى، تختلف الآراء حول المقصودين بالعهد الإلهى ـ أى من يعتبرون شعب الله المختار ـ فقد استخدمت التوراة عند ذكر العهد لإبراهيم كلمة نسلك Thy Seed، الأمر الذى يعنى. فى رأى ألفريد جو يوم أستاذ دراسات العهد القديم ـ أنها تشمل العرب من أبناء إسماعيل، خاصة وأنها ذكرت فى موضع آخر «ومن أبناء الجارية (أى أم إسماعيل) أيضًا سوف أضع أمة لأنهم من نسلك».

أما المسيحيون، فيعتبرون العهد الإلهى موجهًا إلى كافة المؤمنين، فإسرائيل ـ بحسب قول بولس الرسول ـ هى جماعة كل المؤمنين. ومن ناحية أخرى، فإنه من الواضح بعد تشتت اليهود واختلاطهم بالأجناس الأخرى أنه لا يمكن اعتبارهم من أبناء العبرانيين فى زمن إبراهيم وذريته[١].

• العهد الإلهى مشروط

فى سفر الخروج، ينادى الرب موسى ويقول: «هكذا تقول لآل يعقوب، وتخبر شعب إسرائيل: لقد عاينتم بأنفسكم ما أجريته على مصر، وكيف حملتكم على أجنحة النور وجئت بكم إلىّ. لذلك إن أطعتم عهدى، تكونوا لى ملكًا خاصًا من بين جميع الشعوب، لأن لى كل الأرض، وتكونون لى مملكة كهنة وأمة مقدسة».

وينذر الرب بنى إسرائيل بأنهم إذا ما عصوه ولم يتبعوا أوامره قائلاً «... وأحول مدنكم إلى خرائب، وأجعل مقادسكم موحشة، ولا أبتهج برائحة تقدمات سروركم، وأجعل الأرض قفرًا فيرتاع من وحشتها أعداؤكم الساكنون فيها وأشتتكم بين الشعوب، وأجرد عليكم سيفى، وألاحقكم، وأحوِّل أرضكم إلى قفر ومدنكم إلى

(١) راجع: كتاب القبيلة الثالثة عشرة لآرثركويستلر (سلسلة اقرأ)، حيث يثبت الكاتب أن اليهود الحاليين ينتمون إلى شعب الخزر الذى عاش فى القرون الوسطى فى منطقة شرق أوروبا.

خرائب . . فتهلكون بين الشعوب، وتبتلعكم أرض أعدائكم. أما بقيتكم فتفنى بذنوبها وذنوب آبائها فى أرض أعدائكم.

كما تتضمن أسفار التوراة - فى مواضع متعددة - تحذير بنى إسرائيل من عصيان الرب، وما ينزله بهم من العقوبات إذا ما نكثوا بميثاقه ونقضوا العهد الذى قطعه مع آبائهم. (سفر لاويين/ ٢٦ - وسفر التثنية/ ٢٩).

ويتضح من هذه النصوص أن العهد الإلهى لإبراهيم وذريته مشروط بطاعة الله وتنفيذ تعاليمه وعبادته دون غيره، بحيث يوقع الله عقابه عليهم ويمكن منهم أعداءهم ويشتتهم فى الأرض إذا ما عصوه، وهذا ما يتفق مع مراحل التاريخ اليهودى التى نعرضها فيما بعد، كما يتفق مع ما تضمنه القرآن الكريم فى سورة البقرة، حيث يقول الله تعالى: ﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**﴾ [البقرة: ٤٠] ومع ذلك، يفسر اليهود العهد الإلهى بأنه عهد أبدى، فأيا كانت خطاياهم فإن الله يصفح عنهم، ويكفل تثبيت مملكة داود ونسله إلى أبد الآبدين، فاختيار الرب لإسرائيل كان الخطوة الأولى لبلوغ غاية مرسومة هى إقامة المملكة الإلهية، حيث تسود إسرائيل على كافة الأمم (وفقًا لعقيدة المسيحانية التى سنتحدث عنها فيما بعد).

• حدود الأرض الموعودة

أوضحنا - فيما سبق - الاختلافات التى تتضمنها أسفار التوراة بشأن حدود الأرض الموعود بها فى العهد الإلهى. وتعتبر الحركة الصهيونية أرض إسرائيل التاريخية شاملة كل الأراضى الفلسطينية - بما فيها شرق الأردن - والجولان السورية وجنوب لبنان اللذين كانا - فى رأيها - أجزاء من مملكة إسرائيل.

وعلى أية حال، فإن نصوص التوراة والتلمود بشأن حدود «أرض إسرائيل الدينية والتاريخية» تثير الخلافات فى تفسيرها. ويقسم المؤرخون اليهود هذه الأرض إلى ثلاث مجموعات: حدود الآباء «التى تمتد من نهر النيل إلى نهر

الفرات ـ وحدود مهاجرى مصر (فتوحات موسى ويوشع) ـ وحدود مهاجرى بابل» ويختلف هؤلاء المؤرخون بوجه خاص فيما يتعلق بتحديد الحدود الشمالية لتلك الأرض[1] .

أما رجال الدين الأصوليون، فيتوسعون فى تحديد «أرض إسرائيل Eretz Ysrael»، وعلى سبيل المثال، يرى يهود إليتسور ـ أحد كبار علماء جوسن إيمونيم ـ أن حدود هذه الأرض تمتد حتى نهر الفرات وجنوب تركيا وشرق الأردن ودلتا النيل، كما يرى إسرائيل أريئيل أنها تشمل لبنان حتى طرابلس وأجزاء من سوريا والعراق وسيناء.

والخطورة هى فى اعتبار الأصوليين الدينيين التوسع لبلوغ هذه الحدود فريضة دينية. وقد أفتى الحاخام يهودا كوك بأنه «طالما أن الله قد فرض على اليهود الاستيطان فإنه يكون قد أمرهم بغزو هذه الأراضى من أجل أداء هذه الفريضة». وقد أفتى حاخامات بأن التنازل عن أى أجزاء من الأراضى التى احتلتها إسرائيل يعد معصية كبرى يعاقب عليها الرب الشعب اليهودى. وسوف نرى ـ فيما بعد ـ كيف أن قادة إسرائيل يدينون بتوسع الدولة ويبررون استيلاءها على الأراضى العربية بادعاء أنها كانت أجزاء من أرض إسرائيل الدينية أو التاريخية.

• اليهود والأغيار

الأغيار Goyyim هو الاسم الذى يطلقه اليهود على غيرهم من الأمم، فاليهود عندهم يشكلون فئة محددة من البشر هى التى اصطفاها الله، وهى شعبه المختار الذى أعطاه العهد. وكما يحل الإله فى الأرض [أرض الميعاد] لتصبح أرضًا مقدسة، فإنه يحل فى الشعب ليصبح شعبًا مختارًا. فالشعب اليهودى هو الشعب المقدس والأزلى والأبدى. فالتوراة تنص على ذلك، حيث يذكر سفر التثنية «لأنكم شعب مقدس للرب إلهكم، وقد اختاركم من بين شعوب الأرض كافة لتكونوا له شعبًا خاصًا» (١٤/ ٢)، كما تنص فى سفر اللاوين على أنه:

---

(١) انظر كتاب حددود أرض إسرائيل لموشيه برافر . . دار الجليل للنشر.

(أنا الرب إلهكم، ميزتكم عن بقية الشعوب . . . وكونوا قديسين لأنى أنا قدوس، وقد أفرزتكم من بين الشعوب لتكونوا لى . .) [٢٠ : ٢٤، ٢٦].

وبالرغم من أن الشريعة اليهودية تجعل للأتقياء من كل الأمم نصيبًا فى العالم الآخر، فقد توسع الفكر اليهودى - وخاصة التلمودى - فى تفسير اختيار الإله لليهود وتمييزهم عن غيرهم من الأمم إلى حدّ التعالى على (الأغيار)، وتحقيرهم والتفرقة فى التعامل مع اليهود وغيرهم من البشر.

فلم يقتصر الموقف اليهودى من (الأغيار) على حظر الزواج منهم وعدم الاعتراف بالزواج المختلط، بل وبعدم الأخذ بشهادة غير اليهود فى المحاكم الشرعية اليهودية، وبالغ كتبة التلمود فى موقفهم العدوانى من غير اليهودى.

ففى قول لأحد الحاخامات أن أرواح اليهود مصدرها روح الله، أما باقى الأمم فإن أرواحها مصدرها الروح النجسة. ويشبه آخرون الخارجين عن دين اليهود بالحيوانات من أمثال الكلاب والحمير والخنازير. ويتضمن التلمود أحكامًا عن معاملة الجويم منها أنه يسمح بغشهم وأخذ أموالهم بالربا وعدم رد أموالهم وأشيائهم المفقودة إليهم. ويورد إسرائيل شاحاك فى كتابه (الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود)(١) أمثلة للتمييز بين اليهود وغيرهم فى أحكام التلمود، حيث (تفترض الهالاكا) أن جميع الأغيار على درجة عالية من الانحلال وتنطبق عليهم الآية الواردة فى سفر حزقيال (٢٣ : ٢٠) «الذين عورتهم كعورة الحمير ومنيهم كمنى الخيل». فمفهوم الزواج لا ينطبق على الأغيار، ومن ثم لا ينطبق مفهوم الزنا على ممارسة اليهودى الجنس مع امرأة غير يهودية، ولا يتعرض لعقوبة الموت التى تشير إليها التوراة بالنص على هذه العقوبة (لا تزن بزوجة أخيك)!.

هذا - وقد ساد العداء العلاقات بين اليهود والمسيحيين على مدى التاريخ، بسبب رفض اليهود للسيد المسيح واتهام المسيحيين لهم بأنهم قتلة المسيح، فظل هذا الموقف العدائى قائمًا إلى أن أعلن الفاتيكان أخيرًا تبرئة اليهود.

---

(١) إسرائيل شاحاك: الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود - ترجمة حسن خضر (سينا للنشر).

ومن ناحية أخرى، أدى الإصلاح الدينى المسيحى فى القرن السادس عشر إلى تركيز البروتستانتينية على العهد القديم من الكتاب المقدس وظهور ما يعرف بالعقيدة الألفية (عن ظهور المسيح وحكمه العالم لمدة ألف عام) أدى إلى بدء الدعوة إلى عودة اليهود إلى فلسطين ونشأة ما يعرف بالصهيونية غير اليهودية.

(وسوف نتناول هذا الموضوع فيما بعد، وإنما نشير فى هذا المجال إلى أن التلمود يتضمن أوصافًا مقذعة للسيد المسيح والسيدة العذراء والمسيحيين بوجه عام).

أما عن موقف اليهود من الإسلام والمسلمين، فبالرغم من أن العصر الذهبى للتاريخ اليهودى كان خلال الحكم الإسلامى فى الأندلس وبالرغم من أن الدولة الإسلامية كانت على مدى التاريخ هى المكان الآمن الذى يكفل لليهود الحياة الكريمة ولم تعرف مظاهر العداء للسامية التى عرفها العالم الغربى، بالرغم من ذلك فإن الحركة الصهيونية وإقامة دولة إسرائيل أديتا إلى تفشى العداء بين اليهود والعرب والدخول فى حروب متواصلة بين إسرائيل والدول العربية. وقد أصبح العربى ممثلاً للأغيار يطبق بشأنه ما ورد فى التلمود عن الجويم.

وقد أدى استيلاء إسرائيل على الأراضى الفلسطينية إلى تأجج الصراع العربى الإسرائيلى وخاصة بشأن القدس والخليل وغيرهما من الأماكن المقدسة لدى اليهود والمسلمين، سواء بسبب العوامل الدينية أو التاريخية والسياسية.

وسوف نعاود الكلام عن هذا الصراع فى المواضع التالية من الكتاب.

• موقف التوراة من مصر

تطلق التوراة على مصر (بيت العبودية)، وتتحدث عن الانتقام الإلهى منها بسبب موقف فرعون من موسى وبنى إسرائيل، حيث أصابها بالعديد من الكوارث (هى تحويل مياه النيل إلى دم، وإصابة المصريين بالدمامل والبواسير، وإغراق بيوتهم بالضفادع والجراد، وإهلاك المحاصيل، وإصابة البلاد بالقحط).

وتتحدث التوراة عن إعطاء الأرض من نهر مصر إلى نهر الفرات إلى إبراهيم ونسله، وبأن «كل موضع تطؤه بطون أقدامكم أهبه لكم، كما وعدت موسى، فتمتد حدودكم من صحراء النقب فى الجنوب إلى جبال لبنان فى الشمال، ومن البحر الأبيض المتوسط فى الغرب إلى نهر الفرات فى الشرق . . . » .

ويعد رب إسرائيل إياها بأن تكون مصر فدية لها «لأنى أنا الرب إلهك قدوس إسرائيل مخلصك جعلت مصر فديتك»، ويسلط المصريين بعضهم على بعض: «أهيج مصريين على مصريين فيحارب كل واحد أخاه، وكل واحد صاحب مدينة مدينة ومملكة مملكة وتراق روح مصر داخلها وتضيع مشورتها . . . فى ذلك اليوم تكون مصر كالنساء ترتعد وترتجف من يد رب الجنود . . وتكون أرض إسرائيل ويهوذا رعبًا لمصر» .

وفى الوقت نفسه، تستخدم التوراة مصر فزّاعة لليهود الذين يعصون الأوامر، فيحذرهم من إعادتهم إلى مصر (بيت العبودية) .

٢ ـ عقيدة المسيحانية (١)

مفاد هذه العقيدة: هى أنه فى نهاية التاريخ - بعد ظهور النبى إلياهو - يأتى ملك من نسل داود ليعدل مسار التاريخ اليهودى ـ والبشرى ـ فيأتى لليهود بالخلاص وينهى عذابهم ويجمع شتاتهم ويعود بهم إلى (صهيون)، ويحطم أعداءهم ويتخذ من أورشاليم عاصمة، ويعيد بناء الهيكل، ويحكم بالشريعتين المكتوبة والشفوية، ويعيد كل مؤسسات اليهود القديمة، وعندئذ يبدأ الفردوس الأرضى الذى يدوم ألف عام وتسود صهيون على كل الأمم التى ستقوم على خدمة المسيح .

وهذه العقيدة مستخلصة من تفسير نصوص أوردتها أسفار فى التوراة وخاصة أسفار إشعيا وإرميا وحزقيال .

ففى سفر إشعيا: «وهذا ما يقوله السيد الرب ها أنا أرفع يدى إلى الأمم وأنصب رايتى إلى الشعوب، فيحملون أبناءك فى أحضانهم وبناتك على أكتافهم . يكون لك

(١) انظر كتابنا: التطرف الإسرائيلى ـ مرجع سابق .

الملوك آباء مربين، وملكاتهم مرضعات، ينحنون أمامك بوجوه مطرقة إلى الأرض، ويلحسون تراب قدميك. عندئذ تدركين أننى أنا الرب، وكل من يتكل على لا يخزى». (إصحاح ٤٩) وفيه أيضا: «ويحدث فى آخر الأيام، أن جبل هيكل الرب يصبح أسمى من كل الجبال، وعلو فوق كل التلال، فتتوافد إليه جميع الأمم. وتقبل شعوب كثيرة وتقول: تعالوا لنذهب إلى جبل الرب، إلى بيت إله يعقوب، فيعلمنا طرقه، ونسلك فى سبيله، لأن من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم تعلن كلمة الرب. فيقضى بين الأمم ويحكم بين الشعوب الكثيرة، فيطبعون سيوفهم محاريث ورماحهم مناجل، ولا ترفع أمة على أمة سيفًا، ولا يتدربون على الحرب فيما بعد». (إصحاح ٢).

وفى سفر حزقيال: «لذلك قل لهم: سأجمعكم من بين الشعوب وأحشدكم من الأراضى التى شتتكم فيها وأهبكم أرض إسرائيل. وعندما يقبلون إليها ينتزعون منها جميع أوثانها المقوتة ورجاساتها، وأعطيهم جميعا قلبًا واحدًا، وأجعل فى داخلهم روحًا جديدًا، وأزيل قلب الحجر من لحمهم وأستبدله بقلب من لحم» (إصحاح ١١).

والعقيدة المسيحانية امتداد لعقيدة الشعب المختار والعهد الإلهى لليهود. ومفادها أن التاريخ اليهودى ـ أى التاريخ المقدس ـ له غاية محددة مرسومة هى إقامة المملكة الإلهية. ففى العهد المسيحانى يظهر المسيح ويحطم الأمم العاصية ويهزم الملوك الذين يهاجمون صهيون (أى إسرائيل).

وأن خلاص البشرية يتبع خلاص إسرائيل، ومهما كانت معصية اليهود فإن الإله يصفح عنها «لأن بنى إسرائيل سيبقون خلال أيام طويلة بدون ملك وبدون رؤساء، وبعد ذلك سوف يعود بنو إسرائيل وسوف يبحثون عن إلههم الأبدى وعن داود ملكهم ويسارعون مرتعدين نحو إلههم». فعودة اليهود إلى الأراضى المقدسة مرتبطة بعودتهم إلى الله.

ومن الواضح أن هذه العقيدة تولدت من شعور اليهود بالضعف والخضوع للحكم الأجنبى، والتطلع إلى عهد مملكة داود ـ الأمر الذى يفسر نسبة المسيح إلى نسل داود وقد انتشرت فى عهد الحكم الرومانى.

والواقع، أنها ترجع إلى عقيدة فارسية عن انتصار الخير على الشر، وقد بدأت تظهر فى أثناء السبى البابلى لليهود، ثم تأصلت فى الوجدان اليهودى. وظل اليهود متعلقين بأمل ظهور المسيح، وظهر على مدى التاريخ شخصيات ادعت أو اعتبرها اليهود المسيح المنتظر والتف حولها اليهود. ومن أشهر هؤلاء شاباتاى تسفى الذى ظهر فى القرن السابع عشر فى الدولة العثمانية (بعد مقتل الآلاف من يهود أوروبا الشرقية على أيدى القوزاق) وتبعته غالبية اليهود، وقام بدوره باستحداث شرائع جديدة، وأبطل بعض الفرائض وغير التقويم اليهودى إيذانًا ببدء العهد المسيحانى، وقد أحدث الاضطرابات فى كثير من البلدان بسبب استعداد اليهود فيها لاستقباله أو السفر إليه، لذا قام السلطان العثمانى بسجنه وخيره بين القتل أو اعتناق الإسلام، فاختار الخروج من اليهودية واعتناق الدين الإسلامى.

وقد كان للعقيدة المسيحانية تأثيرها فى الفكر الدينى المسيحى، فظهر ما يعرف (بالصهيونية غير اليهودية) والتى انتشرت نتيجة لحركة الإصلاح الدينى البروتستانتينية فى القرن السادس عشر، مطالبة بعودة اليهود إلى فلسطين وإحياء دولتهم القديمة فيها.

والواقع أن هذه الحركة التى تستند إلى عقيدة المسيحانية المستخلصة من أسفار العهد القديم للكتاب المقدس - والتى اهتم البروتستانت بتفسيرها - هى التى مهدت الطريق أمام نشأة ونجاح الحركة اليهودية الصهيونية.

وبالرغم من أن عقيدة المسيحانية - حسبما جاءت فى أسفار العهد القديم - مفادها أن عودة اليهود إلى الأراضى المقدسة تخضع لإرادة الله وحده، وهو الذى يحدد بإرادته موعد ظهور المسيح وبدء العصر المسيحانى، فإن الحركة الصهيونية اليهودية قد خالفت هذه العقيدة وأنشأت دولة إسرائيل وفتحت أبوابها لليهود من كل مكان، ومع ذلك فقد وجدت الحاخامات الذين يؤيدونها.

٣- الهيكل[١]

الهيكل هو المعبد الذى بناه سليمان لعبادة الرب. وقد أقيم على الطراز الفرعونى،

(١) د. عبدالوهاب المسيرى: موسوعة المفاهيم - مرجع سابق، - د. أحمد شلبى: اليهودية - مرجع سابق.

وقام ببنائه عمال جلبهم سليمان من صيدا وصور لعدم خبرة اليهود بفنون العمارة. وكان دخول الهيكل مقصوراً على الكهنة، كما كان قدس الأقداس فيه يحفظ به تابوت العهد الذى يفتح مرة واحدة فى يوم الغفران.

وقد قام البابليون ـ بقيادة بنوخذ نصر ـ بهدم الهيكل، ثم أعاد اليهود بناءه بعد العودة من السبى، وقام هيرود بتوسيعه وبناء سور حوله، ولكن الرومان هدموا الهيكل عام ٧٠م، ويعتقد اليهود أن حائط المبكى جزء منه.

ويطلق اليهود على هيكل سليمان الهيكل الأول، وعلى هيكل هيرود الهيكل الثانى.

ويمثل هدم الهيكل كارثة كبرى لليهود، ويحاول الإسرائيليون إعادة بنائه، زاعمين أن المسجد الأقصى قد بنى على أطلال الهيكل، ومن ثم يواصلون الحفريات فى المنطقة ويتخذون من هذا الادعاء ذريعة للتمسك بالسيادة على الحرم القدسى (الذى يسمونه جبل الهيكل).

٤ ـ تابوت العهد وتابوت الشريعة وقدس الأقداس[(١)]

جاءت الإشارة إلى التابوت فى سفر الخروج الذى يتضمن أوصافه ويعتقد اليهود أن التابوت يحوى اللوحين اللذين كتبت عليهما الوصايا العشر. وهو عبارة عن صندوق محلى بالذهب من الداخل والخارج، وكان اليهود يحملونه فى ترحالهم وحروبهم، ولا يقوم بحمله إلا اللاويون (من نسل هارون). وفى غير حالة الترحال يوضع التابوت فى قدس الأقداس داخل خيمة الاجتماع. وقد سقط التابوت مرة فى أيدى الفلسطينيين ولكنهم أعادوه اعتقاداً بأنه سبب لهم الكوارث.

وتذكر التوراة أن موسى نزل من الجبل ولوحا الشهادة فى يده وأنهما من صنع الله.

ويعد تابوت العهد امتداداً لفكرة تابوت الشريعة، والتى تستخدم حاليًا للتعبير عن الصندوق الذى يحتفظ فيه بلفائف الشريعة، وأسفار موسى الخمسة فى المعبد اليهودى

---

(١) المرجع السابق.

ولا يفتح إلا فى المناسبات الهامة، ويثبت فى الحائط الشرقى المتجه إلى أورشاليم، ويعد المناظر المعاصر لقدس الأقداس.

أما قدس الأقداس، فهو الحجرة التى توجد فى الهيكل اليهودى، وتحتوى على تابوت العهد، ولا يدخله إلا كبير الكهنة فى عيد يوم الغفران، وهو أقدس الأماكن فى الهيكل.

٥ـ البعث والثواب والعقاب(١)

لا توجد فى العهد القديم إشارة واضحة إلى بعث الموتى والحياة الأبدية، ولم يعرف اليهود فكرة الآخرة إلا بعد السبى البابلى، وإن كانت هذه الفكرة لم تظهر صراحة إلا بعد ظهور المسيح. وقد ظلت فكرة البعث مرتبطة بالعودة القومية إلى أرض إسرائيل. فوفقًا للفكر الحاخامى ـ مر الإنسان بثلاث مراحل: مرحلة صعود الروح إلى السماء بعد الموت ـ ومرحلة الزمن المسيحانى فى نهاية الأيام ـ وأخيرًا مرحلة بعث الموتى. وقد اعتبر موسى بن ميمون البعث أحد مبادئ الإيمان، ومع ذلك فإن الاتجاه الحديث ـ خاصة لدى اليهودية الإصلاحية ـ هو إنكار بعث الموتى. (لويس جاكوبس ـ الديانة اليهودية ـ مرجع سابق) أما عن يوم الحساب فوفقًا لعقيدة المسيحانية ـ السابق الكلام عنها ـ يؤمن اليهود بيوم الرب الذى يحاسب فيه الله من ألحق الأذى بالشعب اليهودى، وقد تحول هذا المفهوم القومى على يد النبى عاموس إلى مفهوم يوم الحساب الذى يحاكم فيه كل الناس يهودا كانوا أو أغيارًا، وفيه سيتطهر اليهود ويعود الصالحون منهم إلى أرض الميعاد ليحيوا حياة سعيدة وو فقًا له فإن يوم الرب سيأتى قبل البعث.

ويذكر الدكتور أحمد شلبى ـ فى كتابه (مقارنة الأديان ـ ١: اليهودية) أنه لما كانت اليهودية دين أعمال لا دين إيمان، فإنها لا تتكلم عن الآخرة والبعث والحساب، ولم ترد فيها فكرة البعث إلا بعد أن أخذها اليهود من الفرس ولعلهم أخذوا شيئًا من المصريين. وعندما تكلموا عن الآخرة لم يكونوا يعنون وجود دار للحساب وإنما ذهبوا إلى أن الشعب اليهودى قسمان: قسم عاش سعيدًا وحرًا، وآخر عاش فى المنفى مشردًا ومن حقه أن يعود للحياة مرة أخرى لأخذ نصيبه من المتعة.

---

(١) المرجع السابق.

الفصل الثالث

الفرق الدينية والمذاهب اليهودية[1]

١ ـ الفرق الدينية الرئيسية

*** الفريسيون :**

طائفة شديدة التعصب تتمسك بحرفية النصوص الظاهرة، وقد عزلت نفسها عن بقية اليهود ووصفتهم بأنهم عوام الأرض، واعتبرت نفسها خاصة الخاصة. وهى الطائفة التى وضعت التلمود، وتؤمن بأن أرواح اليهود تتميز بأنها جزء من الله، أما أرواح غيرهم فهى شيطانية وأن نطفة هؤلاء كنطفة سائر الحيوانات، وقد ظهرت هذه الفرقة قبيل ظهور المسيح الذى عانى منها ووصفها بأقبح الأوصاف، وضمنت ـ بدورها ـ التلمود تعاليم عدائية جداً ضد المسيح والمسيحية.

والكتبة جماعة من فرقة الفريسيين كانت تقوم بكتابة أسفار التوراة والعهد القديم والتعليق عليها وشرحها.

*** الصدوقيون :**

وهم فرقة تنتسب إلى صادوق الكاهن الأكبر فى عهد سليمان والذى ينتسب إلى

(١) د. عبد الوهاب المسيرى : الموسوعتان ـ مرجعان سابقان.
ـ د. كامل سعفان : اليهود تاريخاً وعقيدة (دار الاعتصام).
ـ د. حسن ظاظا : الفكر الدينى اليهودى ـ أطواره ومذاهبه (دار القلم ـ الدار الشامية).

هارون (أخي موسى) وفقًا لإحدى الروايات، في حين تنفي ذلك رواية أخرى وتنسبهم إلى كاهن آخر يحمل الاسم نفسه. وكان الصدوقيون طبقة أرستقراطية عريضة الثراء ومتأثرة بالثقافة اليونانية. وقد أنكروا تعاليم التلمود وعارضوا الفريسيين وطقوسهم، بل وأنكروا أسفار العهد القديم عدا الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى، وكانوا يرون أن التوراة ليست لها قدسية مطلقة؛ لأن الأحبار وضعوا الكثير مما فيها. وهم لا يؤمنون بالبعث ويؤمنون بحرية اختيار الإنسان، وقد تأثروا بوجه خاص بفلسفة أبيقور صاحب مذهب اللذة القائل بأن اللذة هي أسمى أهداف الحياة.

*** القراءون:**

وهي فرقة تؤمن بالأسفار الخمسة وسفر يشوع، أما بقية أسفار التوراة فلا يعتبرونها وحيًا رغم أنهم يعترفون بها. كما أنها تقول بالاجتهاد.

وقد ظهرت هذه الفرقة في العراق في القرن الثامن الميلادي، وتأثرت بأفكار الفرق الإسلامية وبعلم الكلام والمعتزلة، وهاجمت الفريسين وأعلنت عدم قبولها بتعاليم التلمود، واحتدم الجدل والعراك بين الفرقتين، حيث اعتبرهم الفريسيون من الزنادقة، وبدأ نشاطهم يتقلص منذ القرن السابع عشر الميلادي، بينما ازداد التلموديون قوة ونشاطًا.

*** السامريون:**

هم سكان السامرة (منطقة نابلس). ولا يعترفون إلا بالأسفار الخمسة. ولهم نسخة من التوراة - هي التوراة السامرية - وتختلف كثيرًا عن التوراة الأخرى. وقد امتزجت معتقداتهم بكثير من الأفكار والطقوس الوثنية. وقد بنوا هيكلهم في القرن الرابع قبل الميلاد، وجعلوا مكانه قبلتهم.

*** الأسينيون:**

ظهرت هذه الفرقة في القرن الثالث قبل الميلاد، واستمرت إلى قرب عهد المسيح. وقد انتهج الأسينيون حياة الزهد والتقشف والطهارة، وعاشوا منعزلين في جماعات لكلٍّ منها رئيس يسمى العدل أو الهادي وأنكروا على غيرهم من اليهود عقائدهم

وسلوكهم. وكانوا دائمًا فى انتظار ظهور المسيح، ويؤمنون بأسفار موسى الخمسة والأسفار الأخرى. وهم جناح متطرف من الفريسيين ويؤمنون بعقيدتهم. وقد ألقت الاكتشافات الأثرية عام ١٩٤٧م الضوء على هذه الفرقة، حيث عثر على مجموعة كبيرة من المخطوطات فى مغارة قمران قرب البحر الميت (ما يعرف بمخطوطات البحر الميت) وتعتبر هذه الاكتشافات بالغة الأهمية؛ إذ يتضح منها أن التوراة الحالية تختلف عما كان موجودًا لدى هذه الفرقة والتى تعتبر مخطوطات البحر الميت أقدم المخطوطات التى عثر عليها؛ حيث كتبت حوالى القرن الأول قبل الميلاد ويبدو أن هذه الفرقة أبيدت بشكل غامض قبل ظهور المسيح.

*** الأبيونيون:**

ومعنى اسمهم بالعبرية (الفقراء أو المساكين)، وكانوا يعيشون حياة الزهد ويكرهون أفعال الفريسيين. واتبعوا الشريعة اليهودية وأصروا على أن المسيحيين ملزمون بها ورفضوا فكرة ألوهية المسيح وولادته العذرية رغم إيمانهم بأنه المسيح الذى اختاره الله عند تعميده. وقد حاربهم القديس بولس واستطاع أن يقضى عليهم.

*** القناءون (المتعصبون):**

وهى فرقة أشد تعصبًا من الفريسيين، وكان ظهورهم بعد هزيمة المكابيين واندثار دولتهم على أيدى الرومان. وكانوا يقومون باغتيال الرومان واليهود المتعاونين معهم.

*** الحسيديون:**

كلمة حسيد - فى العبرية - معناها التقى، وتستخدم حديثًا للدلالة على الحركة الدينية الصوفية التى أسسها بعل شيم طرف، والتى بدأت فى القرن الثامن عشر فى أوروبا الشرقية وانتشرت بسبب سوء الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية فى مجتمعاتها وتدنى الحياة الدينية والثقافية فى الجيتو اليهودى.

وتؤمن هذه الحركة بأن الله موجود فى كل شىء وأن هدف الإنسان فى حياته هو الالتصاق بالله، وتدعو إلى عبادته بكل الطرق، ومن أهم مفاهيم هذه الحركة مفهوم التساديك (الصديق) وهو شخص مقدس يعتقدون فى قدرته على شفاء المرضى ويعتبرونه حلقة الوصل مع الله.

ومن ناحية أخرى، تعرب عن حبها الشديد لأرض إسرائيل، وتدعو اليهود إلى الخروج من بلاد الأغيار والهجرة إلى صهيون. وقد كان لهذه الحركة أثر كبير فى انتشار الحركة الصهيونية، حيث نشأ معظم مفكرى الصهيونية وزعمائها فى بيئة حسيدية.

*** القبالة:**

هى حركة تصوف ظهرت منذ أواخر القرن الثانى عشر تؤمن بالتأويلات الباطنية والصوفية، حيث تفترض أن الله قد خلق العالم عن طريق الفيض الإلهى، وأن ثمة وحدة تنتظم كل المخلوقات حتى يصبح الخالق والمخلوقات هما نفس الشىء. وترتبط القبالة بعدد من العلوم السحرية مثل التنجيم وقراءة الكف وتحضير الأرواح وتؤمن بوجود منطق خفى للأرقام.

٢ ـ المذاهب اليهودية

*** المذهب الأرثوذكسى:**

بالرغم من أن هذا المذهب يعتبر رد فعل لظهور الحركة الإصلاحية اليهودية والمذهب الإصلاحى، فإن مبادئه تعتبر امتداداً لليهودية الحاخامية التلمودية. وقد تزعم الحركة الأرثوذكسية الحاخام سيمون هيرش الذى هاجم اليهودية الإصلاحية، مؤكداً أن التوراة هى كلام الله وقد كتبها حرفًا حرفًا وقيمتها خالدة، وأن على الشعب اليهودى اتباعها والإيمان بالشريعة المكتوبة والشفوية وكل الكتب الحاخامية. ورفض هيرش التغيير والتطوير مدافعًا عن كل المعتقدات والأساطير القديمة بما فيها ظهور المسيح والعودة إلى فلسطين. وتسيطر اليهودية الأرثوذكسية على الحياة الدينية فى إسرائيل إذ تسيطر على دار الحاخامية الرئيسية ووزارة الشئون الدينية.

*** المذهب الإصلاحى:**

هذا المذهب هو ثمرة لحركة الاستنارة اليهودية وفكر منديلسون حيث حاول مؤسسو المذهب إعادة صياغة اليهودية بما يتلائم مع العصر والتمييز بين ما هو مطلق وما هو مرتبط بزمان أو مكان معين.

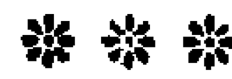
وذهب أنصار هذا المذهب إلى أن الكتاب المقدس ليس من صنع الله بل هو وثيقة من صنع الإنسان ونتاج وعيه التاريخى، وقد فقدت بعض التقاليد اليهودية صلتها بالواقع ويلزم تطويرها.

واتخذ المذهب موقفًا معاديًا من الصهيونية.

*** المذهب المحافظ:**

يمثل هذا المذهب مكانا وسطًا بين المذهبين السابقين، فهو يأخذ بالتقاليد الحاخامية ولكن يفسر الشريعة وفقًا لمتطلبات الحياة الحديثة، ويتخذ موقفًا إيجابيًا من التطلعات القومية اليهودية وإقامة الوطن القومى اليهودى. ويعارض المذهب فكرة البعث، ويحدد ثلاثة مبادئ تمثل أهدافه: تقوية وحدة عالمية إسرائيل - ودوام التقاليد اليهودية - ورعاية التعليم اليهودى، ويتخذ موقفًا متسامحًا تجاه ممارسات أعضائه.

وقد انبثقت من هذا المذهب حركة تجديدية أسسها الحاخام مردخاى كابلان للوصول إلى صيغة تلائم أوضاع الأمريكيين الذين يعيشون فى ظل حضارة علمانية براجماتية، فهو ينكر الوحى الإلهى ويعتبر الدين اختراعًا إنسانيًا وتعبيرًا عن روح الشعب، وهو يقدس التراث اليهودى بدلاً من تقديس الله.



الباب الثانى

التراث التاريخى لليهود

مقدمة: مفهوم اليهودية للتاريخ

الفصل الأول: العهد القديم وعلم الآثار

الفصل الثانى: اليهود فى العالم الغربى

الفصل الثالث: اليهود فى شرق أوروبا

الفصل الرابع: اليهود في ظل الإسلام

مقدمة

مفهوم اليهودية للتاريخ

يعتبر اليهود التاريخ اليهودى الذى ترويه أسفار العهد القديم تاريخًا مقدسًا ومحوراً لتاريخ البشرية. فهذا التاريخ يعبر عن الإرادة الإلهية، والإله يتدخل وفقًا لخطة ربانية مسبقة تتركز فى الشعب اليهودى الذى يعقد معه ميثاقًا، ويتدخل دائمًا فى كافة مراحل هذا التاريخ لتحقيق الهدف الإلهى.

فالإله هو الذى أمر إبراهيم بالرحيل إلى أرض كنعان، وهو الذى أعطى عهده له ولذريته، ومكّن اليهود من أعدائهم وحقق لهم النصر وحفظ لهم الملك. ومن ناحية أخرى، فإن الله هو الذى عاقب اليهود عندما عصوه وعبدوا آلهة آخرين، فسلط عليهم أعداءهم الأشوريين والبابليين والمصريين واليونانيين والرومان وشتتهم فى أنحاء الأرض. ولكن الخطة الربانية تتضمن الصفح عن اليهود، وإرسال المسيح المخلص لهم فى نهاية الأيام، حيث ينصرهم على كافة الأمم فتسود (إسرائيل) على العالم ويبدأ العصر المسيحانى. ومن الواضح أن هذه النظرة تمثل تسطيحًا للتاريخ وتقصره على تاريخ اليهود دون غيرهم من الأمم، فالأمة اليهودية لم توجد وتتطور من خلال تطور تاريخى، وإنما بتدخل إلهى مباشر، أى أن الله قد حل فى الشعب اليهودى وفى تاريخه، فالعهد القديم هو كتاب ديانة اليهود وتاريخهم على السواء، وهو يروى هذا التاريخ حتى تدمير الرومان للهيكل وتشتت اليهود. ومنذ الشتات، لا يوجد ما يمكن اعتباره تاريخًا للشعب اليهودى، بل يعتبر تاريخ كل جالية جزءاً من تاريخ الدولة التى تقيم فيها.

الفصـــل الأول

العهـد القـديم وعلـم الآثـــار

١ ـ العهد القديم كمصدر للتاريخ اليهودى

تتضمن أسفار العهد القديم سردًا للتاريخ اليهودى القديم منذ دخول إبراهيم ـ عليه السلام ـ أرض كنعان، حتى تدمير الهيكل بأيدى الرومان عام ٧٠م وبدء مرحلة الشتات اليهودى.

فتروى تلك الأسفار قصة إبراهيم وزوجتيه وابنيه إسحق وإسماعيل وولدى إسحاق وخاصة يعقوب الذى سماه الرب إسرائيل. وقصة يوسف وبنى إسرائيل فى مصر ثم خروج هؤلاء بقيادة موسى والتيه وتنزيل التوراة عليه فى سيناء، ثم غزو يشوع بن نون لأرض كنعان ومعارك اليهود مع الفلسطينيين (سكان جزر بحر إيجه)، وبدء مرحلة الأنبياء حتى تنصيب شاؤول ملكًا. كما يتحدث العهد القديم عن العصر الذهبى الذى يتمثل فى مملكة داود وابنه سليمان، ثم انقسام المملكة إلى مملكتى إسرائيل ويهوذا، وسقوط الأولى على أيدى الأشوريين وبعدها غزو بابل لمملكة يهوذا ومرحلة السبى والعودة ثم الحكم اليونانى وبعده الحكم الرومانى حتى حكم هيرودس، وتروى قصة الحرب اليهودية وثورة باركوخبا وإخماد الرومان لها وتدميرهم للهيكل وشتات اليهود.

وإذا كان المؤمنون بالديانة اليهودية يعتقدون فى صحة كل ما تضمنه العهد القديم عن تاريخ اليهود، فإن البحث العلمى عن هذا التاريخ يقتضى الرجوع إلى مصادر

أخرى بهدف إثبات الوقائع التاريخية التى تتضمنها أسفار التوراة، وخاصة عن طريق التنقيب عن الآثار فى فلسطين ودول الشرق الأوسط من حولها.

فالتاريخ التوراتى أساسه فكرة دينية بحتة هى فكرة اختيار الإله للشعب اليهودى وعقده ميثاقًا معه، والتدخل الإلهى لحماية هذا الشعب ونصرته على أعدائه وتمكينه من بسط ملكه على أراضى فلسطين وخارجها، وكذا تدخل الإله لعقاب الشعب اليهودى كلما خرج على طاعته وعبد آلهة أخرى.

والعهد القديم - على أية حال - قد قام بتحريره كتبة، وإذا كان المؤمنون به يعتقدون بأن هؤلاء قد كتبوه بوحى إلهى، فإن غيرهم - حتى من اليهود - من ينكرون عليه طابع القداسة ويعتبرونه عملاً بشريًا.

والعهد القديم يتضمن الكثير من الأساطير والمبالغات، التى لا تتفق مع العقل مثل قتل شمشون ألف فلسطينى بفك حمار (سفر القضاة ١٥ - ١٦) وقيام بنى إسرائيل بضرب مائة ألف آرامى فى يوم واحد، وإيقاف يشوع للشمس والقمر حتى ينتهى من القضاء على أعدائه (سفر يشوع ١٠ - ١٢) والأمر الذى أصدره إيليا بهبوط نار من السماء تأكل جنود الأعداء (ملوك ثانى ١ - ١٠/ ١٢).

٢ - التنقيب عن الآثار

جاء التاريخ المصرى القديم - وهو التاريخ الموثق المكتوب - خلوًا من أى ذكر للتاريخ اليهودى القديم، اللهم باستثناء عبارة مكتوبة على لوحة مرنبتاح بن رمسيس الثانى هى (سحق إسرائيل، ولم يبق له نسل).

وإذا كانت الآثار المصرية ليس فيها أى تسجيل عن أحداث التاريخ اليهودى القديم، فقد نشطت منذ القرن التاسع عشر، أعمال التنقيب عن الآثار بحثًا عما يؤيد ما جاء فى العهد القديم بشأنه، وخاصة خدمة للهدف الصهيونى بإثبات حقوق تاريخية لليهود فى فلسطين، فضلاً عن إثبات الغرب المسيحى لصحة ما جاء بالعهد القديم الذى يعد جزءًا من كتابه المقدس.

ففى عام ١٨٦٥م، أنشئ صندوق اكتشاف فلسطين من أجل البحث فى آثار وجغرافية وجيولوجية تاريخ فلسطين، وكان أول أعمال هذا الصندوق المسح الجغرافى لفلسطين الذى جاء على شكل خرائط ومجلدات تشمل الجيولوچيا والمياه والآثار والطبوغرافيا وغيرها.

ويذكر (كيث وإيتلام) فى كتابه (اختلاق إسرائيل القديمة)[1] أن فريقًا من الباحثين المنحازين كان همهم تهميش التاريخ الفلسطينى وعدم السماح له بالوجود، واختراع إسرائيل القديمة، وذلك بقصد الزعم بأن إسرائيل تعد إحياء لها. كما أن علم الآثار قد وظفه البعض لخدمة هذا الغرض.

ويشير (وايتلام) إلى ما يذكره أحد العلماء (تريجر) من أنه فى دولة إسرائيل الحديثة، يلعب علم الآثار دورًا مهمًا فى تأكيد الصلات بين دخلاء وتاريخهم القديم، وبعمله هذا فإنه يؤكد حق هؤلاء السكان الدخلاء فى تلك الأرض. ويضيف أن أكبر مثل صارخ على محاولة اكتشاف وتأكيد الحاضر القومى من خلال الماضى السحيق يتمثل فى تنقيبات إيجال يادين (الإسرائيلى) للبحث عن مسادا والاستملاك السياسى لهذا الموقع لإضفاء صفة رمزية على الدولة المنشأة حديثًا (أى إسرائيل)، (مسادا: أسطورة يهودية عن قلعة حاصرها الرومان وفضل اليهود الموجودون فيها الانتحار على الاستسلام للرومان).

كما يذكر د. أحمد عثمان فى كتابه (تاريخ اليهود ـ الجزء الأول ـ مكتبة الشروق) أن أسطورة غزو بنى إسرائيل لأرض كنعان فى التوراة ظلت تعتبر حقيقة لا تقبل الجدل، حتى أثبت علماء الآثار عدم صحة ما جاء فى سفر يشوع من أن أسوارها سقطت عندما هتف بنو إسرائيل وهم يلفون حولها سبع لفات، فقد تبين أن هذه الأسوار قد حطمت ثم أعيد بناؤها مرات عدة فى الأزمنة القديمة، وكانت المرة الأخيرة قبل ثلاثة قرون من عصر يشوع، ولم تتم إعادة بنائها بعد ذلك. وقد أثبتت أعمال الحفر التى قامت بها البريطانية (كاثلين كينيون) أن أريحا لم يكن لها أسوار فى أيام يشوع، وأن هذه الأسوار لم تتم إعادة بنائها، بل إن المدينة ذاتها كانت مهجورة لا يسكنها أحد فى ذلك

(١) كيث وايتلام: اختلاق إسرائيل القديمة (عالم المعرفة).

الزمان . وفى كتاب العالمين الأثريين إسرائيل فنكلستاين ونيل أشر سلبرمان المعنون The Bible Unearthed [(١)]، أثبتا أن دخول العبرانيين أرض كنعان كان بالتسلل التدريجى، ولم يكن عن طريق حروب يشوع، كما أثبتا أن آثار القصر المنسوبة إلى عصر داود ترجع إلى زمن آخر.

وعلى أية حال، فلسنا بصدد الدخول فى خلافات علماء الآثار، وخاصة ما جهد إيجال يادين فى محاولة إثباته من حفريات تؤكد صحة ما تضمنته التوراة عن التاريخ اليهودى القديم ونفى هؤلاء العلماء لاستنتاجاته، إذ إنه من الواضح أن غالبية اليهود يعتقدون فى صحة تلك الأحداث، وأن إسرائيل تسعى لإثبات صحتها بهدف تأكيد حقوق تاريخية لليهود فى أرض إسرائيل.

❊ ❊ ❊

(١) Israel Finkelstein and Neil Asher Silberman: The Bible Unearthed (The Free Press).

الفصل الثانى

اليهود فى العالم الغربى

١ ـ موقف الدول المسيحية من اليهود

ساد العداء العلاقات بين المسيحيين واليهود بسبب موقف اليهود من المسيح عليه السلام، حيث رفضوا اعتباره المسيح الذى بشرت به التوراة وتسببوا فى قتله بتأليب الرومان عليه ومطالبة الحاكم الرومانى بصلبه. وظل اليهود فى ظل حكم الرومان والبيزنطيين رعايا لا مواطنين. وقد عاش اليهود فى إسبانيا منذ القرن الأول الميلادى إلى ما بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية.

ومنذ طرد اليهود والمسلمين من إسبانيا فى أواخر القرن الخامس عشر تفرقوا فى بلدان الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وعرفوا بالسيفارديم، كما هاجر فريق منهم إلى الدول الأوروبية وخاصة إيطاليا وهولندا وإنجلترا وألمانيا وعرفوا بالإشكنازيين، وفى عام ١٦٤٨م، عقد صلح وستفاليا الذى أرسى نظام الدول الأممية الحديثة، وقد رفضت الدول الأوروبية منح اليهود صفة المواطنين فيها، حيث أصبحوا أكثر عزلة فى الدول الحديثة. وأدت حركة الإصلاح البروتستانتى إلى زيادة نقمة الكنيسة الكاثوليكية على اليهود فأعادهم البابا پول الرابع إلى الجيتو القسرى وألزمهم بلبس شريط أصفر تمييزاً لهم كما ضيق خلفاؤه من نشاطهم التجارى. وظلت أوضاع الجاليات اليهودية فى دول أوروپا المسيحية على هذه الحال طوال العصور الوسطى، وحتى القرنين السابع عشر والثامن عشر عندما نشطت حركات المساواة فى الحقوق وانتشرت مبادئ الثورة الفرنسية.

ومن ناحية أخرى، ارتكب الصليبيون خلال حملتهم على فلسطين فى القرن الحادى عشر مذابح بشعة حيث قتلوا الآلاف من اليهود (والمسلمين).

٢ ـ حركة التنوير اليهودية

أدى انتشار الأفكار الليبرالية فى الدول الأوروپية إلى تحسن أحوال اليهود فى القرن الثامن عشر، حيث منحوا حرية التجارة والصناعة وتعليم أبنائهم فى مدارس الدولة وأعفوا من وضع الشريط الأصفر المميز لهم، كما ألغت ألمانيا القيود التى كانت موضوعة عليهم فى مسائل الإقامة والزواج والمهن، واعتبروا مواطنين لهم حقوق المواطنة.

وبدأت حركة التنوير اليهودية (هاسكالا) فى أواخر القرن الثامن عشر، وترجع جذور هذه الحركة إلى القرن السابق فى هولندا، حيث حاول عدد من المفكرين اليهود تطويع المعتقدات اليهودية للتقدم العلمى، ومن هؤلاء المفكرين إسپينوزا الذى كتب نقدا للتوراة معتبراً إياها مصدراً تاريخيّا غير سليم ومشككا فى الأحداث التى تتضمنها وكان لموسى مندلسون (١٧٢٩ ـ ١٧٨٦م) أثر كبير على الفكر اليهودى، حيث كتب فى مؤلفه (أورشليم) مطالبًا بالفصل بين الدولة والدين والملاءمة بين المعتقدات الدينية والحضارة الغربية، وقام بترجمة الأسفار الخمسة الأولى من التوراة إلى الألمانية. وقد تبعه عدد من المفكرين اليهود الذين أخذوا يناقشون المعتقدات الدينية القديمة، ويعتبرون دولة اليهود قد زالت منذ ألفى عام ولا سبيل إلى إحيائها. واعتنق كثير من اليهود المسيحية، كما انتشرت الزيجات المختلطة. وقد أدت حركة التنوير إلى قيام اليهودية الإصلاحية، والتى تصدت الأرثوذكسية اليهودية لها.

وقد حصل اليهود فى معظم الدول الأوروپية على المساواة القانونية، وتميزت أوضاعهم فى الثلث الثانى من القرن التاسع عشر بالتقدم السياسى والاجتماعى والثقافى، وكان انصهارهم فى مجتمعات إيطاليا وفرنسا وإنجلترا أبعد مدى منه فى ألمانيا، حيث بدأت اتجاهات العداء للسامية فى الظهور فى أواخر القرن.

٣ ـ العداء للسامية

بدأت التيارات المعادية لليهود في الظهور في ألمانيا في أواخر القرن التاسع عشر، ويرجع كونور أوبراين ـ في كتابه بعنوان الحصار[1] ـ ذلك إلى عاملين أحدهما ديني مسيحي يرجع إلى اتهام اليهود بقتل المسيح، والثاني وطني هو اتهامهم بعدم الانتماء إلى دولة معينة وخاصة في ألمانيا. ويمكن إضافة عامل آخر هو تدفق أعداد كبيرة من يهود روسيا وبولندا إلى أوروبا الغربية، الأمر الذي ضاقت دولها به ذرعًا.

وكانت محاكمة الضابط الفرنسي اليهودي دريفوس واتهامه ظلمًا بالخيانة هي الحدث الذي دفع تيودور هيرتزل إلى الاقتناع بتأصل العداء لليهود لدى الدول المختلفة وفشل اندماجهم فيها.

٤ ـ الفظائع النازية ضد اليهود

بلغ العداء للسامية (أي لليهود) ذروته على يد ألمانيا النازية، فقد اعتنق هتلر نظرية نقاء الجنس الآري، وصنف اليهود في أسفل قائمة الأجناس وقام بالتنكيل بهم بل والقضاء عليهم، حتى قدر عدد ضحايا ما عرف بالهولوكست (المحرقة) بحوالي ستة ملايين يهودي.

وقد حاولت الحركة الصهيونية إنقاذ يهود ألمانيا، فعقدت مع حكومتها النازية اتفاقًا ـ يعرف بـ «ها عفرا» ـ لتسهيل هجرتهم إلى فلسطين وتحويل مدخراتهم من ألمانيا في شكل بضائع ألمانية تباع في فلسطين.

ومن ناحية أخرى، تمكن چابوتنسكي من عقد اتفاق مع حكومة سيمجلي ريدرز البولندية حول برنامج للهجرة المكثفة لليهود على مدى عشر سنوات، ونجح في إدخال ١٥ ألفا إلى فلسطين بطريقة غير مشروعة. والواقع، أن مذابح النازية لليهود كان لها أكبر الأثر في وصول آلاف المهاجرين اليهود إلى فلسطين، وإقامة دولة إسرائيل.

ومن ناحية أخرى، فإن ذكريات الهولوكست التي تحرص الصهيونية على الإبقاء

---

(١) Conor Cruise Obrein: The Siege (Weiden Feld and Nicolson).

عليها حية فى نفوس الإسرائيليين وماثلة فى الضمير العالمى، إنما تستهدف منها إذكاء المشاعر القومية لدى اليهود وإشعار شعوب العالم بالمسئولية عن وقوع المحرقة بوقوفها موقفًا سلبيّا تجاهها.

هذا وقد وجه نورمان فنكلستاين انتقادًا مرًا إلى الصهيونية بسبب استغلالها آلام اليهود، وذلك فى كتاب له بعنوان (صناعة الهولوكست)[1] . والمؤلف يهودى كانت أسرته من ضحايا المحرقة.

***

Norman G. Finkelstein: The Holocaust. Industry (Verso). (١)

الفصــل الثالث

اليهـود فـى شــرق أوروپا

١ ـ أحوال اليهود فى أوروپا الشرقية

كان معظم يهود شرق أوروپا من الإشكيناز الذين كانوا يعيشون فى القرون الوسطى فى ألمانيا، ثم انتشروا فى القرن الحادى عشر فى إنجلترا وفرنسا وهولندا وسويسرا وشمال إيطاليا. وبعد طردهم من هذه البلاد توجهوا شرقًا إلى ألمانيا والنمسا وپولندا وليتوانيا وروسيا. وكان حكام هذه الدول يعاملونهم بتسامح، وكانت لهم مجالس تدير حياتهم، كما كان الحاخامات يجلسون فى محاكمهم ولهم معاهدهم التلمودية. وكان يهود هذه البلاد يتحدثون بلغة تسمى اليديش.

وفى عام ١٦٤٨م. قام القوزاق ـ بقيادة شمبلنكى بثورة ضد الحكم الپولندى وقتلوا الآلاف من اليهود، واستعانوا بحلفائهم الروس الذين غزوا شمال غرب پولندا وأوكرانيا، الأمر الذى أدى إلى مزيد من أعمال الانتقام ضد اليهود حيث اتهموا بتشجيع الغزاة، ومرة أخرى غزا القوزاق أوكرانيا (١٧٣٠ ـ ١٧٤٠م) وأعملوا القتل والنهب فى الجالية اليهودية.

وفى عهد ألكسندر الأول، ساد بين الروس الاعتقاد بأن اليهود أعداء الأمة الروسية وازداد العداء لهم بعد مقتل ألكسندر الثانى الذى اتهموا بالتورط فى قتله، ودأبت الجماهير على شن الغارات الانتقامية (Pogroms) والقتل والنهب ضدهم. وبعد فترة

هـدوء استمرت عشرين عامًا، عادت الغارات ضد اليهود، وكان أعنفها غارة كيشينيف وارتفع عدد القتلى عام ١٩٠٥م إلى ٨١٠ يهوديًا. وكانت الحكومة القيصرية متهمة بتشجيع هذه الغارات إرضاء للجماهير. وقد اختلفت ردود فعل اليهود، فمنهم من هاجر إلى الغرب، ومنهم قلة رأت الهجرة إلى فلسطين حيث شكلت حركة أحباء صهيون لتهجير اليهود إليها وبناء المستوطنات فيها وبدأت أولى عمليات الاستيطان فيها في أواخر القرن التاسع عشر بتمويل أثرياء اليهود من أمثال روتشيلد ومونتفيورى لتهجير اليهود إليها وبناء المستوطنات فيها.

أما پولندا، فقد أصبحت دولة المهجر الرئيسية لليهود؛ حيث قدر عددهم عام ١٦٥٠م بحوالى نصف مليون نسمة، وكانوا يتمتعون فيها بقسط وافر من الحكم الذاتي. إلى أن دمرت الجالية اليهودية على أيدى جيوش شمبلنيكى الأوكرانى.

٢ ـ الحياة الفكرية للجاليات اليهودية

سادت الحديسية في مناطق شرق أوروپا، ومنذ أواسط القرن التاسع عشر انتشرت عقيدة الصاديقية (التى تؤمن بزعماء مقدسين كوسطاء بين الإله والعالم) وأحدث انجذاب البعض إلى حركة التنوير غضب الحاخامات ودعوتهم إلى رفض الاندماج فى مجتمعات دولها. كما انتشرت أفكار القومية اليهودية والدعوة إلى الهجرة إلى فلسطين كرد فعل للاضطهادات والاعتداءات التى أشرنا إليها. وعندما قامت الثورة البلشيفية انتشرت الأفكار الثورية، وكان عدد كبير من زعماء هذه الثورة من اليهود، وأقامت نظامًا شيوعيًا يساوى بين المواطنين فى الحقوق ولا يعترف بالأديان.

فى تلك الأجواء المضطربة، عاش زعماء إسرائيل: حاييم وايزمان، وداڤيد بن جوريون، وڤلاديمير چابوتنسكى ومناحيم بيجين وإسحق شامير؛ واعتنقوا الأفكار الصهيونية.

وكان الرعيل الأول من المهاجرين اليهود إلى فلسطين من مناطق شرق أوروپا. وقد حمل هؤلاء معهم ذكريات الجيتو والشتتل عن حياة البؤس والشقاء والمذابح. ويتذكر حاييم وايزمان فى مذكراته (التجربة والخطأ)[١] حياته فى بلدة موتيلة بروسيا البيضاء،

---

(١) Chaim Weizmann: Trial and Error (Harper and Brotkers).

فيتحدث عن سوء الأوضاع فيها وانقطاعها عن العالم الخارجى، وأنه لم يكن ثمة سكك حديدية أو طرق مرصوفة والمنازل كلها ـ باستثناء منزلين ـ مصنوعة من الخشب. كما يتحدث عن الفقر وسوء الأحوال الاقتصادية، وعن إحساسه بالغربة . . . إلخ.

وسوف نرى كيف تنظر الصهيونية بازدراء إلى يهود الجيتو، وتعتبر من أهدافها خلق العبرانى الجديد الذى يناقض تمامًا ذلك اليهودى الجيتوى الذى يتسم بالضعف والخنوع.

***

الفصـل الرابع

اليهـود فـى ظـل الإسـلام

بعد أن هاجر النبى محمد - ﷺ - إلى المدينة ، عقد مع يهودها معاهدة أمّنهم فيها على دينهم وأموالهم ووضع أسس التعاون بين المسلمين وبينهم ، وأوجب مشاركتهم معهم فى نفقات الحروب مع حماية المسلمين لهم من أى اعتداء ؛ إلا أن اليهود لم يوفوا بتعهداتهم بل تآمروا مع كفار مكة فى حروبهم ضد المسلمين كما تآمروا على حياة النبى ، فقام بقتالهم وإجلائهم عن شبه الجزيرة العربية .

وطوال الدولة الإسلامية ، عومل اليهود باعتبارهم من أهل الكتاب على أساس نظام الذمة ، الذى يحمى الحرية الدينية ويؤمن الأموال والممتلكات ويدافع عنهم على أن يدفع الذمى الجزية مقابل الدفاع عنه دون المشاركة فى القتال .

ولم تعرف الدولة الإسلامية ظاهرة عداء اليهود (عداء السامية) التى ميزت العلاقات بين المسيحية واليهودية ، بل لم يجد اليهود قدراً من التسامح كما شهدوه من دولة الإسلام على طول مراحلها المختلفة ، ومن ثم كانت تلك الدولة هى ملجأهم فراراً من اضطهادهم فى الدول المسيحية .

وقد تبوأ يهود مناصب عليا فى الدولة الإسلامية ، وكان منهم وزراء وأطباء لرؤسائها ، من أمثال موسى بن ميمون ، وطبقت الدولة العثمانية على اليهود وغيرهم من غير المسلمين نظام الملة الذى يترك لكل من أصحاب الملل المختلفة تنظيم شئونهم

الدينية وأحوالهم الشخصية وفقًا لشرائعهم. وكانت الجماعة اليهودية فى الدولة العثمانية تخضع للحاخام باشى منذ عام ١٨٣٥م، والذى كان مسئولاً عن جمع الضرائب والتصديق على اختيار الرؤساء المحليين. كما كان لليهود مجلس يضم ٨٠ عضواً يقومون بدورهم بانتخاب حاخامات للأمور الدينية وسبعة آخرين للأمور الدنيوية وعندما بدأ الضعف ينتاب الدولة العثمانية، فرضت الدول الأوروبية نظام الامتيازات على الدولة العثمانية، واستفاد اليهود من هذا النظام بقصد التمتع بحماية الدول المذكورة. وقد فرضت إنجلترا حمايتها لليهود، وأسست قنصلية لها فى القدس عام ١٨٣٦م.

هذا، وقد رفض السلطان العثمانى عبد الحميد عرض تيودور هيرتزل إقامة الدولة اليهودية فى فلسطين مقابل سداد ديون الدولة العثمانية، وكان على إنجلترا انتظار الوقت المناسب ـ الذى أتاحته الحرب العالمية الأولى ـ لإصدار وعد بلفور توطئة لإقامة الوطن القومى اليهودى فى فلسطين.

أما عن الدولة الإسلامية في الأندلس، فإنها تعد العصر الذهبى لليهود، حيث تحسنت أحوالهم المعنوية والروحية والمادية، وتأثروا بالتراث العربى الإسلامى وتبوءوا أرفع المناصب، فكان منهم الوزراء من أمثال حسداى بن شفروط الذى كان يعمل فى بلاط عبد الرحمن الثالث. وقد ازدهر الفكر اليهودى الدينى والفلسفى نتيجة الاتصال بالمسلمين العرب، حيث استوعب اليهود الفلسفة الإسلامية، واكتسبت اليهودية أبعادًا حضارية جديدة الأمر الذى يتضح جليًا فى أعمال موسى بن ميمون.

***

الباب الثالث

أهداف الصهيونية ووسائلها

الفصل الأول: أصول الصهيونية واتجاهاتها

الفصل الثانى: استغلال الصهيونية للعقائد اليهودية

الفصل الثالث: الإستراتيجية الصهيونية لإقامة الدولة اليهودية

الفصل الرابع: العنف الصهيونى

الفصل الأول

أصول الصهيونية واتجاهاتها

١ـ المفكرون الصهيونيون الأوائل

يقصد بالصهيونية الدعوة إلى هجرة اليهود إلى فلسطين واستيطانهم وإقامة دولة لهم فيها[١].

ولم يكن هيرتزل أول من كتب عن ضرورة إقامة الدولة اليهودية. فقد سبقه مفكرون من أمثال موسى هيس (١٨١٢ ـ ١٨٧٥م) الذى أصدر كتابًا بعنوان (روما والقدس) دعا فيه الشعب اليهودى إلى الاقتداء بالتجربة الإيطالية وإقامة دولة له فى القدس.

كما نشر ليون بنسكر (١٨٢١ ـ ١٨٩١م) كتابه (التحرر الذاتى) وفيه اعتبر اندماج اليهود فى مجتمعاتهم ضربًا من الأوهام، إذ إنهم سوف يظلون أجانب فيها، وأنه يجب أن تكون لليهود قاعدة إقليمية يقيمون عليها دولتهم.

وكذا كتب آخرون من أمثال موشى ليلينبوم وبيريتس سمو لينكسن وغيرهم داعين إلى إقامة الدولة اليهودية فى فلسطين.

---

(١) كلمة «صهيونية» مشتقة من كلمة «صهيون» التى تطلق على جبل فى القدس وعلى القدس ذاتها، وقد صك الكلمة ناتان بيرنبوم عام ١٨٩١م للدلالة على دعوة إقامة دولة يهودية فى القدس.

٢ ـ الصهيونية كأداة لخدمة الاستعمار

ربما كان نابليون أول من اتجه بفكره إلى إقامة كيان يهودى فى فلسطين لخدمة أهداف فرنسا الاستعمارية. فخلال حملته فى مصر، وأثناء زحفه على فلسطين، وجه فى ٢٠ إبريل ١٧٩٩م من عكا نداء إلى يهود العالم لإحياء وجودهم السياسى فى فلسطين، مؤكدًا أن فرنسا تقف بجانبهم لضمان إرثهم وتأييدهم ضد كل الدخلاء.

وبعد ذلك، تبنت بريطانيا فكرة إقامة كيان يهودى فى فلسطين. وقد أرسل اللورد بالمرستون (١٧٨٤ ـ ١٨٦٥م) عندما كان يشغل منصب وزير الخارجية رسالة فى ١١/ ٨/ ١٨٤٠م إلى السفير البريطانى فى إستانبول ذكر فيها: «أنه إذا عاد أفراد الشعب اليهودى إلى فلسطين تحت حماية السلطان العثمانى وبناء على دعوة منه، فإنهم سيقومون بكبح جماح أى مخططات شريرة قد يدبرها محمد على أو من سيخلفه فى المستقبل». وكان اللورد شافتسبرى صهر بالمرستون يحضه على تنفيذ هذه الخطة.

وتدل الوثائق البريطانية فى تلك الفترة على أن فكرة بالمرستون كانت محل دراسة وتوصلت إلى أن تهجير اليهود إلى فلسطين يحقق أهدافًا ثلاثة هى: إخراج محمد على من سوريا، وحصره داخل مصر، وإنشاء شبكة من المستعمرات الاستيطانية اليهودية تمثل عازلاً يحجز مصر عن سوريا[١].

والواقع، أن الحركة الصهيونية منذ نشأتها قد عرضت على أكثر من دولة أن تضع نفسها فى خدمة مصالحها الاستعمارية، وتنقل هيرتزل بين الدولة العثمانية وألمانيا وبريطانيا يعرض خدمات حركته لكل منها.

وظل من أهم مبادئ الحركة الصهيونية الاستناد على دعم إحدى الدول الكبرى من أجل تنفيذ مشروعها. وقد قامت إنجلترا بالدور الأساسى فى بناء الوطن القومى اليهودى وإقامة مؤسساته التى تحولت إلى مؤسسات دولة إسرائيل، ثم اتجهت الصهيونية إلى الولايات المتحدة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية لتلقى دعمها السياسى والاقتصادى والحربى مقابل قيام إسرائيل بحماية المصالح الإستراتيجية الأمريكية فى المنطقة.

---

(١) محمد حسنين هيكل: المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل ـ الجزء الأول.

٣ ـ الصهيونية المسيحية[١]

كانت الفكرة السائدة فى الكاثوليكية بشأن ما تضمنته أسفار العهد القديم عن العهد الإلهى لليهود وظهور المسيح وعودة اليهود إلى فلسطين هى عدم تفسير هذه النصوص حرفيًا. فقد كانت الكاثوليكية ترى أن نفى اليهود إلى بابل كان بسبب معصية الإله، وأن عودتهم إلى فلسطين قد تحققت بعد السبى، أما النبوءة الدينية عن مستقبل إسرائيل، فإنه يقصد بها إسرائيل الجديدة أى الكنيسة.

وقد أدخلت حركة الإصلاح البروتستانتي ـ بقيادة مارتن لوثر ـ على هذه النظرة تعديلاً جوهريًا، حيث ركزت الحركة على دراسة العهد القديم وما يحويه من قصص التاريخ اليهودى القديم، وقامت بتفسيره حرفيًا، ومن ثم ظهرت عقيدة الألفية القائلة بأن المسيح المنتظر سوف يحكم العالم ألف عام يسود خلالها السلام والعدل، وستسبق ذلك حرب طاحنة (معركة هارمجدون)، وسوف يعود اليهود المشتتون إلى فلسطين ويتحولون إلى المسيحية.

ومن هنا كان اقتناع الكثيرين فى الدول البروتستانتينية بضرورة العمل على تهجير اليهود إلى فلسطين، من أجل قدوم المسيح وتحويلهم إلى الدين المسيحى، سواء عن اقتناع بعقيدة الألفية أو لمجرد الإيمان بأسفار العهد القديم الذى يشكل جزءًا لا يتجزأ من الديانة المسيحية، أو حتى لميول سياسية.

وقد انتشر ذلك الفكر الدينى المساند لعودة اليهود إلى فلسطين فى إنجلترا بوجه خاص. وأنشئت جمعيات تبشيرية صهيونية مسيحية أهمها جمعية لندن لنشر المسيحية بين اليهود الإنجليز ويهود الدولة العثمانية (١٨٠٩م) وجمعية التبشير الكنسية (١٨٥٠م).

ومن الصهيونيين الإنجليز المعروفين من غير اليهود لورنس أوليفست (١٨٢٩ ـ ١٨٨٨م) عضو البرلمان ووزير الخارجية البريطانية، ووليام هشلر (١٨٤٥ ـ ١٨٣١م) الملحق بالسفارة البريطانية فى ڤيينا، وچوزيف تشامبرلين (١٨٣٦ ـ ١٩١٤م) وزير المستعمرات فى فترة رئاسة سالسبورى الثالثة.

---

(١) ريچينا الشريف: الصهيونية غير اليهودية ـ ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز (سلسلة عالم المعرفة).

ولا شك فى أن الصهيونيين غير اليهود كان لهم دور أساسى فى التمهيد للحركة الصهيونية اليهودية ومساندتها.

٤ ـ الاتجاهات داخل الحركة الصهيونية

أنشأ المؤتمر الصهيونى الأول ـ مؤتمر بازل عام ١٨٩٧م ـ المنظمة الصهيونية العالمية. وقد ثار الخلاف بين من عرفوا بالصهيونيين السياسيين الذين كانوا يعطون الأولوية للحصول على اعتراف الدول وتأييدها وبين من يسمون الصهيونيين العمليين الذين كانوا يرون التركيز على تهجير اليهود إلى فلسطين وبناء المستوطنات فيها. وكان هيرتزل من الفريق الأول، حيث كان يرى أن المسألة اليهودية قضية سياسية تتطلب إجراء المفاوضات مع الدول المعنية، وأن الاستيطان ـ الذى بدأته حركة أحباء صهيون فى أواخر القرن التاسع عشر ـ قد وصل إلى أقصى ما يستطيع تحقيقه. فالمطلوب، فى رأيه، هو الاستيطان القومى، وليس التسلل إلى فلسطين.

*** الصهيونية التوفيقية:**

قام هيرتزل بنشاطه الواسع فى الاتصال بالدول الكبرى للحصول على موافقتها على المشروع الصهيونى، كما واصلت الحركة الصهيونية نشاطها بمزيج من الاتجاهين السابقين، الأمر الذى أطلق عليه تعبير الصهيونية التوفيقية (أو المركبة).

*** الصهيونية العمالية:**

ويطلق عليها أيضًا اسم الصهيونية الاشتراكية. ويعتقد أصحاب هذا الاتجاه أن المسألة اليهودية ترجع إلى الوضع الاقتصادى والاجتماعى لبعض قطاعات اليهود، وليست مشكلة دينية، إذ إن أوضاع اليهود تختلف عن أوضاع الشعوب التى يعيشون معها، فقد أدى تحريم قيامهم بالزراعة إلى معيشتهم فى المدن، وحرم عليهم القيام بكثير من الحرف، ومن ثم أصبحوا ينتمون إلى البروليتاريا الفقيرة فى حين يشتغل أغنياء اليهود بالربا والتجارة، ولهذا أصبح دور اليهود هامشيًا، والحل هو إقامة الدولة اليهودية.

*** الصهيونية التصحيحية :**

وهى التى أسسها ڤلاديمير چاپوتنسكى بسبب عدم موافقته على سياسة حاييم وايزمان سواء بالنسبة للاستيطان أو فى علاقاته المتهاونة مع السلطات البريطانية .

وكان چاپوتنسكى يطالب بإعادة شرق الأردن إلى أرض إسرائيل (وكانت بريطانيا قد اقتطعتها وأقامت فيها إمارة تحت حكم عبد الله بن الحسين) . كما كان يدعو إلى إقامة جدار حديدى من القوة لردع الفلسطينيين ، حيث إنهم لن يقبلوا إقامة الدولة اليهودية إلا إذا أرغموا على ذلك .

*** الصهيونية الثقافية :**

وهى التى كان يدعو لها آحاد هاعام ، بحيث تكون الدولة اليهودية مركزاً روحيّا وثقافيّا لليهودية . وكان يختلف مع هيرتزل معتبراً أن السبب الأساسى لمشكلة اليهود ليس معاداة السامية أو العجز السياسى والاقتصادى لليهود ، بل هو فقدانهم للوحدة وضعف تمسكهم بقيمهم وتقاليدهم .

وكان أحاد هاعام يعيب على المستوطنين اليهود سوء معاملتهم للفلسطينيين وتعاليهم عليهم ، ويبصر اليهود بخطورة هذه المعاملة .

*** أنصار الدولة ثنائية القومية :**

تشكلت جماعات للمطالبة بدولة ثنائية القومية تضم اليهود والفلسطينيين . ومن هؤلاء جماعة بريت شالوم التى أنشأها آرثر روبين عام ١٩٢٥م ، وكان من أعضائها جودا ماجنس أول رئيس للجامعة العبرية وآرثر روبين وإسحق أبشتاين وحاييم كالفاريسكى .

وبعد أن تم حل هذه الجمعية أنشئت جماعة إيجود عام ١٩٤٢م ، التى تبنت الدعوة نفسها ، مطالبة بالمساواة العددية بين اليهود والفلسطينيين ، وكان من أبرز قادتها مارتن بوبر وماجنس وسميلانسكى .

وبعد أن ظلت دعوة الدولة ثنائية القومية ماثلة فى جماعة هاشوبير هاتسور (التى تحولت إلى حزب سياسى) تلاشت بسبب قلة عدد مؤيديها فى الحركة الصهيونية .

* **الصهيونية الإقليمية:**

كان أصحاب هذا الاتجاه لا يرون ضرورة أن تكون فلسطين هى إقليم الدولة اليهودية، بل إنه يمكن إقامتها فى أى مكان آخر، بل إن إقامتها فى فلسطين سوف يؤدى إلى المصادمات والحروب مع العرب، ومن ثم وافق هؤلاء على إقامتها فى شرق إفريقيا (أوغندا).

وكان إسرائيل زنجويل من أهم دعاة هذه الحركة، بعد أن انفصل عن الحركة الصهيونية عام ١٩٠٣م.

٥ - العلاقات بين اليهود وعرب فلسطين

بدأت الهجرة اليهودية المكثفة فى أواخر القرن التاسع عشر، وقد أصبحت هجرة منظمة منذ إنشاء المنظمة الصهيونية عام ١٨٩٧م بعد أن كانت تتولاها حركة أحباء صهيون. فمن أجل تنفيذ المشروع الصهيونى وبناء الوطن القومى اليهودى - الذى يتحول إلى دولة - وذلك عن طريق الهجرة اليهودية والاستيطان، أقامت المنظمة المذكورة المؤسسات اللازمة، ومنها صندوق الائتمان اليهودى للاستعمار - كأول مصرف صهيونى - عام ١٨٩٩م، والصندوق القومى اليهودى (كيريت كايمت) عام ١٩٠١م بقصد جباية الأموال من أجل شراء الأراضى فى فلسطين وسوريا، والمكتب التنفيذى للمنظمة فى يافا عام ١٩٠٨م، والصندوق التأسيسى أكيرين هايسود عام ١٩٢٠م، والاتحاد العام للعمال (هستدروت) عام ١٩٢٠م.

وتمكنت المنظمة الصهيونية من شراء مساحات من أرض فلسطين، وخاصة من العائلات اللبنانية التى كانت تعيش فى لبنان (مثل عائلة سرسق) ولكنها لم تنجح فى شراء الأراضى من الفلسطينيين داخل البلاد بسبب مقاومتهم للمشروع الصهيونى. وعلى أية حال، فإن ملكية اليهود من الأراضى الفلسطينية لم تزد على ٧٪ من مساحة البلاد عند إنشاء دولة إسرائيل.

وقد زادت عملية شراء الصهيونية للأراضى الزراعية فى فلسطين من كراهية العرب الفلسطينيين للمستوطنين اليهود، ذلك أن مبادئ الصهيونية كانت تقضى بالاعتماد

على العمل اليهودى وحده، ومن ثم أدى شراء الأراضى إلى طرد المزارعين الفلسطينيين منها بخلاف ما اعتادوا عليه طوال ملكية العرب لتلك الأراضى .

ومن ناحية أخرى، اتسمت معاملة المستوطنين اليهود للفلسطينيين بالتعالى والعنف، الأمر الذى حذر من نتائجه آحاد هاعام - زعيم الصهيونية الثقافية - عندما زار البلاد حيث كتب فى عام ١٨٩١م مقالاً فى صحيفة هارتس ذاكراً أنه «كما يحدث دائما عندما يتحرر العبد من العبودية، فإن اليهود ينزعون إلى الاستبداد، فهم يعاملون العرب بقسوة وحقد ويهينونهم بغير مبرر ويبتزون حقوقهم بأساليب مخادعة». وبعد صدور تصريح بلفور ذكر آحاد هاعام «إن هذا التصريح لا يؤثر فى حق السكان الآخرين الذين لهم الحق فى التمسك بالإقامة فى الأرض، ولهم الحق فى وطن قومى، ومن غير الممكن أن يصبح الوطن القومى لأى من العرب واليهود كاملاً».

كانت تلك هى فكرة الدولة ثنائية القومية، التى نادى بها أنصار جماعة بريت شالوم وغيرهم على نحو ما سبق بيانه، والتى لم تلق سوى تأييد محدود بين اليهود .

فقد أدى وضع فلسطين تحت الانتداب البريطانى إلى استقواء الحركة الصهيونية بسلطات الانتداب . فقد تضمن صك الانتداب على فلسطين تكليف بريطانيا بمهمة المساعدة فى بناء الوطن القومى اليهودى بالاستعانة بالوكالة اليهودية المناسبة (مادة ٤).

وأسست الوكالة اليهودية التى أصبحت شبه حكومة تعمل إلى جانب سلطة الانتداب، وتدير شئون الجالية اليهودية (اليشوف). فقد أنشأت الإدارات التى يتولى كلٌ منها مجالاً معيناً، والتى كان من السهل تحويلها إلى مؤسسات للدولة الإسرائيلية فيما بعد .

ومنذ بدء تنفيذ المشروع الصهيونى، جرى العمل من أجل تحقيق الأغلبية السكانية اليهودية . وقد حاول حاييم وايزمان التوصل إلى اتفاق مع الأمير فيصل على ذلك المشروع، وعقد معه اتفاقاً فى ٣ يناير ١٩١٩م يتضمن الاعتراف بالوطن القومى اليهودى فى فلسطين، غير أن الشرط الذى وضعه فيصل - والخاص بإقامة الدولة العربية الكبرى - لم يتحقق، ومن ثم سقط الاتفاق المذكور .

وبذل داڤيد بن جوريون محاولة أخرى مع الزعماء العرب عام ١٩٣٤م، من أجل الحصول على موافقتهم على الهدف الصهيونى الخاص بتحقيق الأغلبية السكانية اليهودية، ملوحًا لهم بالازدهار الذى تحققه الصهيونية عن طريق تنمية البلاد، وكان من الطبيعى أن تفشل محاولة بن جوريون (وقد رد موسى العلمى عليه قائلاً: «نحن العرب نفضل أن تبقى هذه البلاد فقيرة وقاحلة مائة سنة أخرى حتى نستطيع ـ نحن العرب ـ أن نطورها بقوتنا الذاتية»).

والواقع، أن الفلسطينيين قد رفضوا المشروع الصهيونى منذ البداية، وقاوموه بكل الوسائل المتاحة لهم، سواء بالاحتجاج لدى الباب العالى العثمانى أو بإرسال وفد إلى بريطانيا لمحاولة إقناع تشرشل، أو فى مؤتمر السلام عام ١٩١٩م، أو بالمظاهرات، ثم بالمقاومة المسلحة.

ومن الجانب الصهيونى، سادت أفكار ڤلاديمير چاپوتنسكى مؤسس الصهيونية التصحيحية ـ والتى سبقت الإشارة إليها ـ ونذكرها هنا بشىء من التفصيل.

فقد كان يدعو إلى عدم إساءة تقدير العرب أو التقليل من ذكائهم «بالرغم من أنهم متخلفون ثقافيًا عن اليهود بخمسمائة عام، ولا يمكن خداعهم بصياغات مخففة للأهداف الصهيونية أو رشوتهم بالأموال للتخلى عن حق مولدهم فى فلسطين».

«أما عن احتمالات الاتفاق مع الفلسطينيين، فإنها مستحيلة إذا كان المقصود الاتفاقات الاختيارية، إذ إنه طالما هناك بارقة أمل لديهم فى أنهم يستطيعون التخلص منا فلن يتخلوا عن هذا الأمل، فهم ليسوا من الغوغاء الذين يمكن خداعهم بكلمات حلوة أو بلقمة خبز، بل هم أمة لا تزال حية، وربما كانت ممزقة».

«والمطالب الصهيونية أخلاقية بعكس المقاومة الفلسطينية، إذ إنه كالفرق بين طلب الطعام بسبب الشهية وطلبه لتجنب الموت جوعًا. فالعرب لديهم مساحات شاسعة من الأراضى، وفلسطين تمثل أقل من واحد فى المائة من تلك المساحات».

«ولا غرابة فى أن يصبح العرب أقلية فى بلادهم، كفرع واحد فى هذه البلاد بعد تحقيق الغالبية اليهودية، فلا تكاد توجد واحدة من كبار الأمم القوية ليس فيها فرع من دول أخرى».

وقد تبنى بن جوريون دعوة چابوتنسكى لإقامة جدار حديدى ـ من أسباب القوة ـ لإرغام الفلسطينيين على قبول المشروع الصهيونى، وخاصة بعد أن قويت المقاومة المسلحة الفلسطينية، وفجرت ثورتها الكبرى عام ١٩٣٦م.

٦ ـ المقاومة الفلسطينية للمشروع الصهيونى

كانت بريطانيا تدرك أن المشروع الصهيونى سوف يلقى مقاومة عنيفة من الشعب الفلسطينى، ومن ثم لجأت إلى الخديعة فى تعاملها مع الشريف حسين وأبنائه، وكانت قد وعدت حسين بتوليه حكم دولة عربية كبرى مقابل ثورته ضد الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى (مراسلات حسين/ مكماهون)، ثم نكصت عن وعدها وتقاسمت مناطق النفوذ فى المشرق العربى مع فرنسا، باتفاق سايكس/ بيكو وأصدرت تصريح بلفور لإقامة الوطن القومى اليهودى فى فلسطين. وكما سبقت الإشارة تمكنت بريطانيا من عقد اتفاق بين فيصل بن حسين وحاييم ويزمان فى ٣ يناير ١٩١٩م متضمنًا موافقة الأول على التعاون مع كيان يهودى فى فلسطين (بشرط تحقيق الأهداف العربية) ولكنها كانت تعلم أن هذا الاتفاق لا يكفى ـ بفرض تنفيذه ـ لقبول الحركة الوطنية العربية للمشروع الصهيونى، الأمر الذى تدل عليه رسالة كليتون ـ رجل المخابرات البريطانية إلى حكومته ـ والتى ذكر فيها: «إن عرب فلسطين يعارضون بشدة الأهداف الصهيونية، ويتخوفون منها تخوفًا شديدًا»؛ بل إن اللورد بلفور صاحب التصريح قد كتب إلى لويد چورچ فى فبراير ١٩١٩م رسالة يقول له فيها: «إننا عن قصد وبحق رفضنا مبدأ تقرير المصير، إذ إنه لو استشرنا السكان الحاليين فإنهم بغير شك سوف يصدرون حكمًا معارضًا لليهود».

وقد تأكدت لبريطانيا وحلفائها معارضة الشعب الفلسطينى للمشروع الصهيونى منذ البداية، حيث كان الحلفاء فى الحرب العالمية الأولى قد أرسلوا فى عام ١٩١٩م لجنة تحقيق إلى فلسطين ـ هى لجنة كنج/ كرين ـ للتعرف على رغبات السكان، وذلك بناء على طلب الرئيس الأمريكى ولسون ـ وتضمن تقرير اللجنة (الذى لم ينشر إلا فى عام ١٩٢٢م) أن هناك إجماعًا على رفض الصهيونية والمطالبة بالاستقلال التام. ومع ذلك، فإن مؤتمر السلم لم يعر تقرير اللجنة أى اهتمام.

ومضت بريطانيا فى تنفيذ سياستها المساندة لإقامة الدولة اليهودية فى فلسطين، فاستصدرت صك انتدابها عليها متضمنًا تكليفها بتنفيذ وعد بلفور، وتولى مندوبوها الساميون مهمة بناء الوطن القومى اليهودى الذى يتحول فى النهاية إلى دولة، وذلك بالتعاون الكامل مع المنظمة الصهيونية والوكالة اليهودية التى تمثلها فى البلاد، والتى كانت أشبه بحكومة محلية تتبعها الإدارات اللازمة والقوات المسلحة اليهودية (الهاجاناه).

لم يكن ممكنًا إقامة الوطن القومى اليهودى فى فلسطين إلا بالقوة، ورغمًا عن إرادة الشعب الفلسطينى الذى لم يكف عن مقاومة المشروع المذكور. أقام الشعب العربى الفلسطينى الجمعيات، وعقد المؤتمرات، وقدم الاحتجاجات إلى مؤتمر السلم، وأرسل وفدًا إلى بريطانيا وسيّر المظاهرات التى أدت إلى المصادمات المسلحة. وتولى قيادة المقاومة الفلسطينية أمين الحسينى مفتى القدس، كما أنشئت الأحزاب الفلسطينية وصدرت الصحف التى تعكس موقف الشعب الرافض للمشروع الصهيونى والانتداب البريطانى.

ومن المصادمات المسلحة والثورات الفلسطينية فى فترة الانتداب البريطانى:

* انتفاضة القدس والبلدان المجاورة عام ١٩٢٠م أثناء احتفالات النبى موسى.
* انتفاضة يافا فى أول مايو ١٩٢١م.
* ثورة البراق فى أغسطس ١٩٢٦م.
* مظاهرات واشتباكات أكتوبر ١٩٣٣م.
* ثورة القسام عام ١٩٣٥م.
* الثورة الكبرى من ١٩٣٦ حتى ١٩٣٩م.

وقد لجأت بريطانيا إلى قمع تلك الانتفاضات والثورات، وأرسلت لجانًا للتحقيق أعقبتها بإصدار كتب بيضاء حول سياستها.

وتعكس الكتب البيضاء البريطانية - التى تتضمن سياساتها فى فلسطين - فشل بريطانيا فى إرضاء الفلسطينيين واليهود على السواء، بسبب تعارض التزاماتها فى وعد بلفور مع المطالب القومية الفلسطينية.

ومن أهم الكتب البيضاء الكتاب الصادر عام ١٩٢٢م مؤكدًا أن الهدف هو إقامة وطن قومي فى فلسطين، وليس إقامة دولة يهودية، وذلك ردًا على ما كان يشيعه اليهود من أن تصريح بلفور يعنى تحويل فلسطين بأكملها إلى دولة يهودية.

كما أن من أخطر الكتب البيضاء ذلك الذى صدر عام ١٩٣٧م مؤيدًا اقتراح لجنة پيل الخاص بتقسيم فلسطين إلى دولة عربية وأخرى يهودية مع منطقة ثالثة تبقى تحت الانتداب البريطاني. وقد اضطرت الحكومة البريطانية إلى العدول عن هذا الموقف بسبب الثورة الفلسطينية الكبرى.

وأخيرًا، الكتاب الأبيض الصادر عام ١٩٣٩م - والذى أصدرته بريطانيا قبيل نشوب الحرب العالمية الثانية بهدف كسب تعاون العرب - متضمنًا إقامة دولة فلسطينية مستقلة خلال عشر سنوات والحد من الهجرة اليهودية ثم وقفها ووضع قيود على نقل ملكية الأراضى العربية إلى اليهود. وقد فجّر هذا الكتاب الأعمال الإرهابية الصهيونية ضد سلطة الانتداب والشعب الفلسطيني.

(ومنذ إنشاء دولة إسرائيل، لم يكف الشعب الفلسطيني عن المقاومة. وتضمن الميثاق الوطنى لمنظمة التحرير الفلسطينية - التى أنشئت عام ١٩٦٤م - أن النضال المسلح هو الوسيلة الوحيدة لتحرير فلسطين، وقامت بعملياتها المسلحة ضد إسرائيل.

وقد تفجرت الانتفاضة الفلسطينية عام ١٩٨٧م، وكان من نتائجها عقد مؤتمر مدريد وإبرام اتفاقات أوسلو، ولكن فشل عملية السلام أدى إلى نشوب انتفاضة الأقصى عام ٢٠٠٠م).

* * *

الفصـــل الثانى

استغلال الصهيونية للعقائد اليهودية

١ ـ الصهيونية حركة قومية علمانية

وأكد تيودور هيرتزل ـ مؤسس الحركة الصهيونية ـ الطابع العلمانى لهذه الحركة . ففى حديثه مع ملك إيطاليا ڤيكتور عمانيول ، سأل الملك هيرتزل عما إذا كان يتوقع ظهور المسيح فأجاب بأن «الدوائر الدينية تتوقع ذلك ، أما هو وغيره من المفكرين المتنورين فإنهم لا يدينون بهذه الأفكار . وفى كتابه «دولة اليهود»[١] ، أشار هيرتزل إلى دور الحاخامات في الدولة ، فقال : «سوف يقوم حاخامونا الذين نتوجه إليهم بنداء خاص بتكريس جهودهم وطاقاتهم لخدمة فكرتنا ، وسوف يغرسونها فى نفوس الرعية اليهودية عن طريق الوعظ والإرشاد . . لن نسمح ـ إذن ـ بظهور أية نزعات ثيوقراطية لدى سلطاتنا الروحية . . » .

وكان قادة الحركة الصهيونية غير متدينين ، بل كان منهم الملحدون ، وحرصوا على إبداء عدم إيمانهم بالعقائد اليهودية ، بل ومخالفتها علنًا على نحو ما فعل بعضهم بأكل لحم الخنزير أمام حائط المبكى ، كما كانوا يفضلون تسميتهم بالعبرانيين لا باليهود .

وقد كان هيرتزل من قبل من بين اليهود الذين اندمجوا فى المجتمعات ، التى يعيشون فيها ، وقد أقام حركته على أساس قومى بناء على ما اعتقده من فشل اندماج اليهود فى

---

(١) Theodor Herzl: The Jewish State.

تلك المجتمعات، بسبب تأصل العداء للسامية بين الشعوب ـ وخاصة تحت تأثره بحملة العداء التى صاحبت محاكمة الضابط اليهودى دريفوس أمام إحدى المحاكم الفرنسية.

وكان هيرتزل لا يمانع فى إقامة دولة اليهود فى أى مكان من العالم، ولا يشترط أن تقام فى فلسطين، فقد وافق على إقامتها فى أوغندا أو فى سيناء أو غيرهما.

ومع ذلك، فقد اقتنع فى النهاية بأن إنشاء دولة اليهود فى فلسطين من شأنه الحصول على تأييد الجاليات اليهودية ونجاح دعوته.

ومن ثم استغلت الصهيونية العقيدة اليهودية التى تتمثل فى الإيمان بأن الرب سوف يعيد اليهود المشتتين فى البلدان المختلفة إلى (صهيون)، والأمل الذى كان يراودهم ويعبرون عنه فى صلواتهم، وفى تحية البعض للبعض بعبارة: (العام القادم فى أورشاليم).

٢ ـ الصهيونية وعقيدة المسيحانية

سبق الكلام عن عقيدة المسيحانية وما تعنيه من إيمان اليهود بظهور المسيح، الذى يجمع شتات المنفيين ويعود بهم إلى (صهيون) وينصرهم على أعدائهم ويعيد بناء الهيكل والمؤسسات اليهودية القديمة ويبدأ بظهوره الفردوس الأرضى الذى يدوم ألف عام.

وقد ظل الأمل فى العودة إلى أرض الميعاد يراود اليهود منذ شتاتهم بعد هدم الهيكل عام ٧٠م بأيدى الرومان، وتعلقوا مرات عديدة بشخصيات اعتقدوا أن الواحد منهم هو المسيح المنتظر. ومن هؤلاء بركوخيا وشبتاى تسفى وجوزيف فرانك وغيرهم. وكانت التوقعات بقرب ظهور المسيح تتزايد لدى اليهود كلما ساءت أحوالهم أو تعرضوا للاضطهاد فى البلاد التى يعيشون فيها.

وتتفق الحركة الصهيونية مع العقيدة المسيحانية بشأن جمع اليهود فى فلسطين، ولكنهما تختلفان حول طريقة تحقيق ذلك. فأساس العقيدة الدينية هو التدخل الإلهى لإعادة شعب الله المختار إلى أرض الميعاد بعد أن يصفح عنه وفاء بالعهد الذى قطعه على نفسه مع إبراهيم وذريته.

لذا اصطدمت الدعوة الصهيونية بالمفاهيم الدينية اليهودية، وقوبلت بمعارضة شديدة من قبل اليهودية الأرثوذكسية التى رأت فيها عرقلة لمسار التاريخ ومحاولة للتدخل فى مشيئة الإله، حيث إن ما يعانيه اليهود فى شتاتهم إنما هو من قضاء الرب، وإن السعى لتبديل المشيئة الإلهية هو من قبيل الكفر، فاليهود ملتزمون دينيًا بانتظار الخلاص على أيدى المسيح المنتظر.

وقد اعتبر ساسون هيرش ـ أحد كبار رجال الدين الألمان ـ العمل من أجل التعجيل بالخلاص معصية كبرى، وانضم إليه فى هذا الرأى رجال الدين فى أوروپا الشرقية. كما رأى إيزاك بروبر أن اليهود أمة دينية تختلف عن بقية الأمم فى أن الدين هو أساس وجودها فى حين أن الصهيونية تريد ترك الدين وبعث الأمة بإرادتها.

وقد تزعم حزب (أجودات إسرائيل) المعارضة الدينية للحركة الصهيونية، وتقدم إلى عصبة الأمم والحكومة البريطانية بالاحتجاجات بسبب موافقتهما على إنشاء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين، وعندما عدل موقفه وبدأ يشارك فى عملية الاستيطان انفصلت عنه طائفة (نيطورى كارتا) التى لا تزال ترفض الاعتراف بدولة إسرائيل.

وعلى العكس، أيد عدد من الحاخامات الصهيونية كطريق إلى الخلاص ذاكرين أن الصهيونية ودولة إسرائيل هما العاملان المركزيان فى عملية الخلاص التى طال انتظارها، وأن من شأن هذين العاملين أن يؤديا إلى عودة اليهود جميعًا إلى أرض إسرائيل وإعادة فرض سيادة (الهالاخا) ـ القانون الإلهى ـ وإعادة بناء الهيكل فى أورشاليم وظهور المسيح.

وكان من أوائل هؤلاء الصهيونيين الدينيين الحاخام الأكبر إسحق كوك (١٨٦٥ ـ ١٩٣٥م)، والذى ذهب إلى أن «أرض إسرائيل جزء من صميم جوهر قوميتنا، وهى مرتبطة عضويًا بحياتها ولب كيانها. والعقل البشرى هو فى أسمى ذراه لا يستطيع أن يبدأ فى فهم القداسة الفريدة التى تتسم بها أرض إسرائيل. فالأمل فى الخلاص هو القوة التى تحيى اليهودية فى الشتات، واليهودية فى أرض إسرائيل هى الخلاص نفسه».

وقد تابع ابنه الحاخام تسفى يهودا كوك (١٨٩١ ـ ١٩٨٢م) منهاج أبيه نفسه، فقد كتب «إن جماعة الأمم خلقت دولة إسرائيل وأنشأتها بأمر من رب العالمين من أجل أن يتم الأمر الوارد فى التوراة بأنهم سيرثون الأرض . . وعندئذ يمكن تحقيق الميتسيفا (الفريضة الدينية) التى تعد جوهر كل الفرائض، والتى تتعلق بالاستيطان فى الأرض. والدولة هى التى تستطيع أن تحقق الخلاص».

٣ ـ تمجيد القوة فى أسفار التوراة

يحكى سفر يشوع قصة غزو أرض كنعان، ويبرز بشكل واضح ما تميز به جيشه من قوة وما حققه من انتصارات على الملوك في المعارك التى خاضها. فبعد أن استولى على أريحا حيث أسقطت أسوارها هتافات الشعب اجتمع عليه ملوك مقاطعات الجنوب بأعداد وأدوات رهيبة فهزمهم جميعًا، وبدد شملهم، واستولى على مدنهم الواحدة بعد الأخرى.

«وعندما سمع أدونى صادق ملك أورشليم أن يشوع استولى على عاى ودمرها وقتل ملكها كما صنع بأريحا وملكها . . . فبعث أدونى صادق ملك أوشليم إلى هوهام ملك حبرون وفرآم ملك يرموت ويافيع ملك لخيش ودبير ملك عجلون قائلا «أقبلوا إلى وأعينونى . . . فوحد ملوك الأموريين الخمسة جيوشهم للقيام بهجوم على جبعون . . فباغتهم يشوع على حين غرة . . قذفهم الرب بعاصفة من برد عظيم» (يشوع ١٠ : ١، ١١) وقام يشوع بذبح سكان عجلون وحبرون ودبير، وضرب كل أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وكل ملوكها وذبح كل نسمة من قادش برليع إلى غزة [يشوع ١٠ : ٤٠/ ٣]. وكما فعل يشوع فى حروب الشمال استمر فى حروبه وانتصاراته فى حروب الجنوب. وقد قام بنو إسرائيل بضرب مائة ألف أرامى فى يوم واحد.

وفى حروب بنى إسرائيل مع الفلسطينيين، قتل شمشون ألف فلسطينى بفك حمار [قضاة ١٥ ـ ١٦].

كما قام داود (الفتى الضئيل) بقتل جولات (العملاق) بضربة واحدة (الأمر الذى يحلو لإسرائيل أن تضربه مثلاً عن انتصاراتها على الدول العربية). وأحرز داود

انتصارات ساحقة خارج أرض إسرائيل لتوسيع ملكه شمالا وجنوبا «وقهر أيضًا الموابيين وجعلهم يرقدون على الأرض فى صفوف متراصة، وقاسهم بالحبل، فكان يقتل صفين ويستبقى صفًا. فأصبح المؤآبيون عبيدًا لداود يدفعون له الجزية» [صمويل ٢ : ٨، ٢]. وقام داود بغزو سوريا وحقق انتصارًا حاسمًا على الأراميين فى دمشق. ومن أهم فتوحات داود الاستيلاء على أورشاليم معقل اليبوسيين واتخاذها عاصمة لإسرائيل.

وورث سليمان مملكة داود، وبنى الهيكل لعبادة الرب.

وتمثل مملكة داود وسليمان أزهى عصور التاريخ اليهودى القديم، والأمل الذى يراود أحلام اليهود على مدى تاريخهم بإعادة أمجادهم الغابرة، وتعمل إسرائيل جاهدة للبحث عن أية آثار لتلك المملكة (ومع ذلك فإن نتائج عمليات التنقيب على الآثار لا تزال بعيدة عن إثبات ما يتضمنه العهد القديم عن هذا العصر. ولم يزد عمر هذه المملكة على ثمانين عامًا).

وتتميز حروب اليهود القديمة بالقسوة البالغة والعنف، فهى حروب إبادة تشمل البشر والأنعام والجماد على السواء. فبعد غزو يشوع أريحا «أخذوا المدينة وحرموا (أى قتلوا) كل ما فى المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف».

ومع ذلك، تشيد الثقافة الصهيونية بهذه الحروب وغيرها من حروب التاريخ القديم، كدليل على ما يتمتع به اليهود من قوة وجسارة.

ومن ناحية أخرى، تبرز الصهيونية بطولات المكابيين وثورة باركوخبا ضد الرومان، ومقاومة اليهود للحكم الأجنبى ودفاعهم عن عقائدهم واستغلالهم.

وسوف نرى - فى الفصل القادم - أن من بين مبادئ الصهيونية اكتساب أسباب القوة ومن وسائلها استخدام العنف.

ويكفى أن نشير هنا إلى ما يتضمنه كتاب الدولة اليهودية لتيودور هيرتزل أبى الحركة الصهيونية من دعوة إلى «حمل السلاح ضد بحر من المشاكل التى ستثيرها محاولات بناء الدولة اليهودية».

٤ ـ الصهيونية وأرض إسرائيل

بعد أن كان هيرتزل لا يعارض فى إنشاء دولة اليهود فى أى مكان ـ كما سبقت الإشارة ـ وبعد أن واجه معارضة شديدة لقبوله العرض البريطانى بإقامتها فى أوغندا (تانزانيا الحالية) تغلبت على الحركة الصهيونية فكرة العودة إلى فلسطين، لأن من شأنها جمع اليهود حول الحركة المذكورة وتأييدهم لها. ومن ثم أحيت الصهيونية العقائد الصهيونية المتعلقة بأرض الميعاد، وما جاء بأسفار التوراة من وعد إلهى لإبراهيم وإسحاق ويعقوب وداود وسليمان.

واعتبرت الصهيونية هذه الأراضى التوراتية تمثل الحدود التاريخية لليهود. ومن هنا كانت مطالبتها أمام مؤتمر السلام عام ١٩١٩م بأراضى الدولة اليهودية التى تشمل فلسطين وأجزاء من سوريا ولبنان وسيناء.

وتبنت الصهيونية الفريضة الدينية اليهودية الخاصة باستيطان الأراضى، بل جعلتها هدف الهجرة إلى فلسطين.

والخلاصة، أنه بالرغم من كون الصهيونية حركة علمانية، إلا أنها مرتبطة تمام الارتباط بالعقائد الدينية اليهودية، وقد أفسحت مجالاً للنشاط الدينى فى الدولة التى أنشأتها، الأمر الذى نتناوله تفصيلاً عند الكلام عن سياسة إسرائيل.

* * *

الفصل الثالث

الإستراتيجية الصهيونية لإقامة الدولة اليهودية

١ ـ قرارات مؤتمر بازل

حدد المؤتمر الصهيونى الأول الذى عقد فى بازل عام ١٨٩٧م هدف الصهيونية بأنه (السعى لإقامة وطن لليهود فى فلسطين يكون معترفًا به وفقًا للقانون العام) وكان ابتداع تعبير إقامة الوطن القومى غطاء لإقامة الدولة بهدف عدم إثارة المشاكل الدولية فى ذلك الوقت.

أما عن وسائل تحقيق ذلك الهدف، فقد تضمنتها قرارات المؤتمر وتتلخص فى: تهجير اليهود إلى فلسطين ـ واستيطان البلاد (بعمال الزراعة وأصحاب المهن الأخرى) ـ وتوحيد الجاليات اليهودية وتنظيمها فى الدول المختلفة ـ وتقوية المشاعر اليهودية والقومية ـ والحصول على موافقة الدول على المشروع الصهيونى.

٢ ـ أفكار هيرتزل عن الدولة اليهودية

عكست قرارات مؤتمر بازل أفكار هيرتزل التى ضمنها الكُتيب الذى أصدره بعنوان (دولة اليهود)، وهو كتيب (يحوى خليطًا عجيبًا من الأفكار القومية الغيبية والنظريات الاستعمارية الاسترجاعية، والمشاريع الاستثمارية الاستغلالية، مع ما يرافقها من طروحات عنصرية، فهو يجمع بين النزعة العرقية العنصرية والارتباط العضوى

بالإمبريالية العالمية. وتبرز عنصريته فى تجاهل كون فلسطين آهلة بالسكان ونظرته الدونية إليهم. . ولإقناع الدوائر الإمبريالية بتبنى مشروعه، فقد أسسه هيرتزل على نظرية الرجل الأبيض التحضيرية تقليداً للاستعمار الغربى. أما الدولة اليهودية، فقد صورها على أنها سوف تشكل هناك جزءاً من قداس أوروپا فى آسيا. . .(١)

٢ـ أسس الإستراتيچية الصهيونية

تقوم إستراتيچية الحركة الصهيونية على الأسس التالية:

*** فرض المشروع الصهيونى على الفلسطينيين بالقوة**

وقد عبر ڤلاديمير چاپوتنسكى عن ذلك بقوله: «إن من المستحيل التوصل إلى اتفاق اختيارى مع عرب فلسطين، فطالما أن ثمة بارقة أمل تكون لديهم بالتخلص منا، فإنهم لن يتخلوا عن هذا الأمل مقابل كلمات حلوة أو لقمة خبز؛ لأنهم يشكلون أمة ربما تكون ممزقة، ولكنها لا تزال حية. . إن اليهود الذين يحاولون إقناعنا بأن العرب بلهاء يمكن خداعهم مخطئون، فكل الشعوب المتمدينة منها والمتوحشة، يعتبرون بلادهم أوطانًا لا يسمحون بسيادة آخرين عليها أو حتى مشاركتهم فيها» والحل عند چاپوتنسكى هو إقامة جدار حديدى يروع الفلسطينيين، ويفرض عليهم الدولة اليهودية.

وكان چاپوتنسكى صادقًا عندما ذكر أنه ليس وحده صاحب هذا الرأى، بل إن كل الصهيونيين يشاطرونه إياه.

*** تفريغ فلسطين من أصحابها العرب بنقلهم أو طردهم خارجها**

كان هيرتزل يقول: «سنحاول أن نخرج السكان المعدمين عبر الحدود بأن نجد لهم عملاً فى البلاد التى نطردهم إليها».

كما أن ماكس نورداو ـ صديق هيرتزل ورفيقه منذ إنشاء الحركة الصهيونية ـ يذكر «أن هناك حاجة ملحة لنقل ملكية الأراضى من عرب فلسطين إلى اليهود والتصدى لمقاومتهم بالقوة».

---

(١) إلياس شوفانى: الموجز فى تاريخ فلسطين السياسى (مؤسسة الدراسات الفلسطينية).

وقد وضعت الحركة الصهيونية خططًا متعددة لنقل عرب فلسطين أو طردهم بالقوة. ففى عام ١٩٣٠م، أجرى حاييم وايزمان مباحثات مع اللورد باسفيلد وزير المستعمرات البريطانية، واقترح عليه ترحيل عرب فلسطين إلى شرق الأردن والعراق وأن تنشأ شركة يهودية فى شرق الأردن تمتلك مليون دونم من الأراضى هناك ليرحلوا إليها. وفى مايو ١٩٣٧م. سافر بن جوريون إلى لندن للترويج لخطة ترحيل عرب فلسطين إلى شرق الأردن، كما كتب فى مذكراته «إن ترحيل العرب قسرًا من الأودية التابعة للدولة اليهودية المقترحة يمنحنا شيئًا لم يكن لنا قط» وكتب إلى ابنه: «علينا أن نطرد العرب ونحتل أماكنهم حتى باستخدام القوة». ووضع يوسف ڤايتس وإدوارد فورمان وغيرهما خططًا للترحيل القسرى للفلسطينيين، كما شكلت اللجان لدراسة هذه الخطط وتنفيذها. وكان ڤايتس متحمسا لفكرة ترحيل الفلسطينيين كحل لمشكلة تملك اليهود للأرض ولتحقيق الأغلبية السكانية. وقد شارك فى تهجير عدد من سكان القرى العربية من منطقة مرج ابن عامر ووادى الأردن فى مارس ١٩٤١م[١].

وقد أتاحت حرب ١٩٤٨م لإسرائيل الفرصة لطرد غالبية عرب فلسطين بتنفيذها خطة داليت، الأمر الذى نتعرض له بالتفصيل فى الباب القادم.

*** الاعتماد على دولة (أو دول) كبرى لتنفيذ المشروع الصهيونى بمساندتها:**

كانت الصهيونية تدرك منذ نشأتها أن إقامة دولة يهودية فى فلسطين رغمًا عن سكانها لا يمكن تحقيقها إلا إذا جرى تنفيذ مشروعها تحت حماية دولة ـ أو دول ـ كبرى تكفل لها تهجير اليهود إلى فلسطين واستيطانهم فيها وبناء المؤسسات اللازمة لإقامة تلك الدولة.

فقد طرح هيرتزل مشروعه على أساس الرسالة الحضارية للرجل الأبيض، ذاكرًا فى كتابه «إن الدولة اليهودية ستكون جزءًا من أوروبا وسدًا فى مواجهة آسيا، ومركزًا متقدمًا للمدنية فى وجه البربرية. وإن علينا كدولة محايدة أن نبقى على اتصال بأوروبا التى عليها ضمان وجودنا» وراح هيرتزل يعرض خدماته على الدول المختلفة بدءًا

(١) انظر: نور الدين مصالحة: طرد الفلسطينيين: مفهوم الترانسفير فى الفكر والتخطيط الصهيونيين (مؤسسة الدراسات الفلسطينية). وكتاب الترانسفير: الإبعاد الجماعى فى العقيدة الصهيونية ـ ترجمات مختارة من العبرية ـ تقديم: د. محجوب عمر (دار البيادر للنشر والتوزيع).

بالدولة العثمانية وألمانيا وانتهاء ببريطانيا، مؤكدًا فى كلٍّ منها استعداد الدولة اليهودية لخدمة مصالحها.

وحقق حاييم وايزمان أحلام هيرتزل عندما نجح فى الحصول من بريطانيا على وعد بلفور عام ١٩١٧م، وعلى تأييدها فى تولى الانتداب على فلسطين ثم قيامها بتقديم الدعم الكامل للحركة الصهيونية فى تنفيذ مشروعها تحت حمايتها.

واتجهت أنظار الصهيونية بعد ذلك إلى الولايات المتحدة التى أصبحت الدولة العظمى بعد الحرب العالمية الثانية، ونجحت فى إقامة العلاقة الخاصة التى لا تزال تربط البلدين، وتكفل للدولة العبرية (إسرائيل) كافة ألوان الدعم العسكرى والسياسى والاقتصادى.

*** المرحلية فى إقامة الدولة اليهودية الكبرى:**

هدف الصهيونية هو إقامة الدولة اليهودية الكبرى التى تمتد إلى ما تعتبره الحدود التاريخية لأرض إسرائيل - من نهر مصر إلى نهر الفرات - والتى تشمل أرض فلسطين وشرق الأردن وأجزاء من الأراضى السورية واللبنانية.

وتعمل على تحقيق هذا الهدف تدريجيًا وفقًا لمراحل متتابعة تراعى فيها إمكانياتها الذاتية والظروف الإقليمية والدولية.

ففى مرحلة نشأتها، حرصت الصهيونية على عدم استخدام كلمة دولة، وإنما ظلت منذ مؤتمر بازل تدعى أن هدفها هو إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين. وتضمن تصريح بلفور - الذى شارك حاييم وايزمان فى صياغته - أن بريطانيا تتعاطف مع إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين. وأشار التصريح إلى عدم المساس بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية المقيمة فى فلسطين ولا بالحقوق والوضع السياسى لليهود فى البلاد الأخرى. ويلاحظ أن القصد من إيراد هذين التحفظين هو عدم إثارة اعتراضات الدول الأخرى على مشروع يؤثر بطبيعته على حقوق عرب فلسطين من جهة، وأوضاع اليهود فى الدول الأخرى من جهة أخرى.

ومع ذلك، فقد جاءت الإشارة إلى حقوق الفلسطينيين فى غاية الافتراء والتجاهل لحقيقة أن الشعب الفلسطينى كان يمثل الغالبية العظمى للسكان - وليس مجرد طائفة

أخرى غير يهودية ـ وأن له حقوقًا سياسية وقانونية هى تقرير المصير والاستقلال، وليست مجرد حقوق مدنية ودينية، وقد تسببت تلك الصياغة المخادعة فى تضارب السياسات البريطانية طوال مرحلة الانتداب على فلسطين.

وفى ظروف الحرب العالمية الثانية، ومع التعاطف الدولى مع اليهود بسبب ممارسات النازية، وجدت الصهيونية أن الظروف أصبحت ملائمة للمطالبة بإنشاء الدولة اليهودية (وليست مجرد الإشارة إلى الوطن القومى)، وهو ما أعلنه مؤتمر بلتيمور فى مايو ١٩٤٣م، وبذلت الصهيونية أقصى الجهود لاستصدار قرار من الأمم المتحدة يتضمن إنشاء الدولة اليهودية، ومارست الولايات المتحدة ضغوطًا غير مسبوقة على الدول أعضاء المنظمة الدولية حتى صدر قرار تقسيم فلسطين الذى تضمن إنشاء الدولة اليهودية.

وكانت الصهيونية تطالب بإقامة الدولة اليهودية على أرض فلسطين بأكملها، ولكنها رأت قبول قرار التقسيم بصفة مرحلية إلى أن تسمح لها الظروف بالتوسع، وأتاحت حرب ١٩٤٨م لها توسيع رقعتها على حساب الدولة العربية التى رسم القرار حدودها فأصبحت تشغل ٧٨٪ من مساحة فلسطين الكلية.

وحاول بن جوريون التوسع فى سيناء التى احتلتها القوات الإسرائيلية خلال العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦م، مدعيًا أنها من (أرض إسرائيل)، ولكن الضغط الأمريكى والتهديد السوفيتى والمعارضة الدولية أجبرته فى جملتها على الانسحاب. ومع ذلك، فإنه لم يسحب قواته قبل أن يحصل من الولايات المتحدة على ضمان لحرية الملاحة فى خليج العقبة ويحقق الفصل بين إسرائيل ومصر بانتشار القوات الدولية على الحدود بين البلدين وفى شرم الشيخ.

أما حرب عام ١٩٦٧م، فقد مكنت إسرائيل من الاستيلاء على كل الأراضى الفلسطينية وعلى سيناء وهضبة الجولان السورية، فادعت أن لها الحق فى حدود جديدة تكون آمنة ومعترفا بها، ورفضت سحب قواتها من الأراضى العربية المحتلة قبل الاتفاق مع الأطراف العربية على هذه الحدود. كما قامت بضم القدس الشرقية وأعلنت أن القدس ـ بشطريها ـ هى العاصمة الأبدية لدولة إسرائيل.

وقد اضطرت إسرائيل إلى الانسحاب من سيناء بعد الانتصارات المصرية والسورية فى

حرب أكتوبر ١٩٧٣م، ولكنها لا تزال تحتل بقية الأراضي العربية ـ بما فيها أجزاء من جنوب لبنان ـ وفى حين يطالب اليمين الصهيوني بضم كل الأراضي المحتلة، فإن اليسار الصهيوني يرى إعادة أجزاء من هذه الأراضي للمحافظة على الطابع اليهودي للدولة.

٤ ـ تفتيت الدول العربية

نشرت مجلة كيفونيم Kivuunim الإسرائيلية فى عددها الصادر فى شهر فبراير ١٩٨٢م مقالاً فى غاية الخطورة للكاتب أوديدينون Oded Yinon تحت عنوان «إستراتيجية لإسرائيل فى الثمانينيات»[١].

وتقوم الإستراتيجية التى يقترحها الكاتب على أساس تفتيت الدول العربية إلى دويلات صغيرة.

فالعالم العربي ـ فى رأى ينون ـ لا يشكل كتلة واحدة متجانسة إثنيًا أو اجتماعيًا أو دينيًا، وإنما هو منطقة شديدة التنوع تتكون من موزاييك من دول تتصارع فى داخلها قبائل وطوائف وأقليات قومية وعرقية ودينية ومذهبية وغيرها، وقد صنعت الوحدات القائمة حاليًا والتى يطلق عليها اسم الدول العربية صنعتها مصادفات تاريخية وسياسية نجمت عن محصلة التفاعل بين أطماع وطموحات قوى ومصالح خارجية وداخلية (مقال د. حسن نافعة فى صحيفة الحياة بتاريخ ٢٧/ ٦/ ٢٠٠٧ تحت عنوان «الإستراتيجية الصهيونية لتفتيت العالم العربي»).

ويذكر الكاتب أن من مصلحة إسرائيل تفتيت العالم العربي، وأمامها فرصة ممتازة لتغيير هذه الأوضاع، وهو ما يجب عليها عمله خلال العقد القادم.

ويمضى فى استعراض أوضاع كلٍّ من الدول العربية وتركيبة سكانها، بدءاً بمصر فالعراق فدول الخليج والأردن، مقترحًا على إسرائيل العمل على تفتيت كلٍّ منها، ذاكرًا أن على إسرائيل العمل على استعادة السيطرة على سيناء، وأنه فى حالة تفتيت مصر وسقوطها، فسوف تسقط دول مثل ليبيا والسودان.

---

(١) The Zionist Plan for the Middle East: Transtated and Edited By Israel Shahak.

أما سوريا والعراق ودول الخليج، فيجب العمل على تفتيت كلٍّ منها وخاصة أن أوضاعها وتركيبة السكان فيها تيسر ذلك (ويذكر صاحب المقال الدويلات التى تنقسم إليها كلٌّ منها).

وتتمثل خطورة هذا المقال فى أنه ليس رأيًا منفردًا، بل إنه على نحو ما أكدته صحيفة هاآرتيس الإسرائيلية فى عددها الصادر يوم ٢/ ٦/ ١٩٨٢م من أن «تفتيت الدول العربية إلى دويلات صغيرة فكرة تشغل بال إسرائيل، بل إنها إحدى نقاط إسرائيل الإستراتيچية التى تفكر فيها دائمًا».

ومن ناحية أخرى، فإنه يلاحظ أن كاتب المقال كان يعمل بوزارة الخارجية الإسرائيلية، وقد كتبه بعد عقد معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية، فمقاله ليس مجرد رأى لأحد الصحفيين، بل تؤيده مشروعات صهيونية سابقة، مثل مشروع بن جوريون لتقسيم لبنان (الذى نشير إليه فى موضع لاحق).

وقد أثار المقال اهتمام رابطة خريجى الجامعات العرب الأمريكيين، فطلبت من البروفسور إسرائيل شاحاك ترجمته إلى الإنجليزية والتعليق عليه.

كما أنه يجب أن يثير القلق والحذر من هذه الإستراتيچية خاصة فى الوقت الحالى الذى تتعرض فيه دول مثل العراق والسودان لمخططات التفتيت، وذلك لمواجهة هذا الخطر الداهم[١].

* * *

(١) عونى عبدالمحسن فرسخ: مخططات التفتيت (دار المستقبل العربى).

الفصل الرابع

العنف الصهيونى

١ - تقديس الصهيونية للقوة

سبقت الإشارة إلى التراث اليهودى الدينى والتاريخى الذى يمجد القوة نتيجة لما تضمنه العهد القديم من تفخيم لمعارك يشوع وغيره من ملوك اليهود، وخاصة كرد الفعل لحياة البؤس والضعف اليهودى فى الجيتو بعد مرحلة الشتات (الدياسبورا).

وقد لجأت الصهيونية - من جانبها - إلى إعادة كتابة التاريخ اليهودى القديم، فتحدث زعماؤها ومفكروها عما اتصفت به الأمة اليهودية من أنها كانت أمة محاربة. ومجدوا القوة والعنف، ورددوا ما جاء فى سفر يشوع من أوامر إلهية بقتل الكنعانيين من رجال ونساء وأطفال.

فيقول الحاخام أليعازر: «إن السيف والقوس هما زينة الإنسان، وإن من المسموح به أن يظهر اليهودى بهما فى يوم السبت».

ويوصى جابوتنسكى بعض الطلبة بالاحتفاظ بالسيف قائلاً:

«إن التوراة والسيف أنزلا علينا من السماء».

أما مناحيم بيجين فيرفع شعاره (أنا أحارب، إذن فأنا موجود). كما يقول: «إن قوة التقدم فى تاريخ العالم ليست بالسلام بل بالسيف».

ويقول بن جوريون : «إن موسى هو أول قائد عسكرى فى تاريخ أمتنا» . بل ويقول كذلك : «بالدم والنار سقطت يهوذا ، وبالدم والنار ستقوم يهوذا» .

وأما چابوتنسكى فإنه يدعو إلى إقامة جدار حديدى من القوة لترويع العرب الفلسطينيين وإرغامهم على قبول الدولة اليهودية .

وقد قام الفكر الصهيونى بالترويج لثقافة القوة واستعمال العنف ضد الأغيار وتزكية روح الانتقام منهم ، فكتب الشعراء والأدباء أشعاراً وقصصاً تروج لتلك الثقافة .

ومن أمثلة تلك الكتابات قصيدة حاييم نحمن بياليك (١٨٧٣ ـ ١٩٣٤م)، التى يقول فيها[١] :

«شعب لا يتزحزح . . لا يضطرب . . لا يخاف

يتحدى الجحيم . . ينتشر كالنار فى الحجيم . . ولو سفح الدماء»

وتقول الشاعرة (أنامنجرينو) :

«علىّ أن أكون بالمقدمة ، لأنى يهودية . . واجبى مواصلة الدرب لمواجهة الأغيار الأعداء ، ولو كان العالم كله» .

كما يقول شاؤول تشرنحوفسكى (١٨٧٥ ـ ١٩٤٣م)

«سيأتى اليوم الذى تفقد فيه أيها المضطهد طهارتك ، وتغرس حد السكين فى عنق أخيك . . يا يوم الثأر ، يوم ينتف ابنك شعر ذقنك التى علاها الشيب ويرفع فى وجهك قبضته الصلبة مهدداً ويناديك من حنجرته الحيوانية . . يا يوم الثأر والعقاب» ويقول أيضاً : «فلترسل يا إلهى سيفك لتثأر منهم ، ولتتركهم فى بؤس شديد دون ذرية . . فلتصب غضبك على الممالك التى لا تنادى باسمك . . لأنهم دمروا مساكن شعبك وأكلوا نصيب يعقوب» .

ومن القصص التى تجسد صورة العبرى الجديد (التسمية التى يفضلها الصهاينة) قصة (يواشن) للأديب يوسف لوايدور ، ورواية (موت أورى بيلد)، للكاتب شماى جولان التى تتحدث عن المجتمع الصهيونى الجديد ، وتندد بضعف اليهود اللاجئين من أحداث النازية وغيرهما من قصص الحروب التى خاضتها إسرائيل .

---

(١) د. رشاد الشامى : الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية (كتاب الهلال) .

ومن الأغنيات التى راجت فى أعقاب حرب ١٩٦٧م تلك التى تردد: «العالم بأسره ضدنا.. إن هذه حكاية قديمة، علمنا إياها آباؤنا.. وإذا كان كل العالم ضدنا، فإننا لن نهتم بذلك.. وإذا كان كل العالم ضدنا، فليذهب العالم كله إلى الجحيم».

٢ ـ التنظيمات والقوات العسكرية الصهيونية

حرصت الحركة الصهيونية على المشاركة فى صفوف الجيش البريطانى خلال الحربين العالميتين، وذلك بقصد اكتساب الخبرات القتالية.

ومن ناحية أخرى، قام چابوتنسكى بتأسيس حركة بيطار للشبيبة الصهيونية بهدف تدريب الشباب وإعدادهم عسكريًا.. وكانت مراكز الحركة الرئيسية فى پولندا ودول البلطيق وفلسطين. وقد أقامت مراكز للتدريب العسكرى ومدارس للبحرية والطيران فى دول مختلفة. وبلغ عدد أعضائها حوالى ٨٠ ألفًا.

أما فى فلسطين، فقد أنشأت الحركة الصهيونية منظمة الهاجاناه فى عام ١٩٢١م، وجعلت منها أداة الوكالة اليهودية لقمع عرب فلسطين، كما استخدمتها لشن العمليات الإرهابية ضد القوات البريطانية. وقد تضمن دستور الهاجاناه أنها منظمة عسكرية سرية للدفاع عن اليشوف (يهود فلسطين).

وبعد إنشاء دولة إسرائيل، أصبحت الهاجاناه نواة للجيش الإسرائيلى.

٣ ـ المنظمات الإرهابية الصهيونية

بعد أن بدأت المقاومة الفلسطينية مرحلة النضال المسلح ضد الحركة الصهيونية والقوات البريطانية فى العشرينيات من القرن الماضى. وخاصة بعد أن وقعت الاشتباكات بين الفلسطينيين واليهود فى إبريل ١٩٢٠م بمناسبة الاحتفالات بموسم النبى موسى، وسقوط عدد من القتلى والجرحى من الجانبين، أنشأت الوكالة اليهودية منظمة الهاجاناه التى استخدمتها ضد الفلسطينيين والجنود البريطانيين.

وقد تصاعدت أعمال المقاومة الفلسطينية ووقعت الاشتباكات المسلحة بين الجانبين

فى ثورة البراق عام ١٩٢٩م وثورة عز الدين القسام عام ١٩٣٣م والثورة الكبرى من عام ١٩٣٦ حتى عام ١٩٣٩م.

وأنشأت الجالية اليهودية (اليشوف) فى فلسطين المنظمات الإرهابية بقصد ترويع الفلسطينيين وإخماد مقاومتهم، وإرهاب القوات البريطانية وخاصة بعد إصدار بريطانيا الكتاب الأبيض عام ١٩٣٩م، والذى اعتبره اليهود ممالئا للفلسطينيين.

وقد نشطت الحركة الصهيونية التصحيحية التى أنشأها ڤلاديمير چابوتنسكى عام ١٩٢٣م احتجاجًا على ضعف الحركة الصهيونية الأصلية فى دفاعها عن الأهداف الصهيونية، فأنشأ چابوتنسكى حركة بيطار للشباب اليهودى - السابق الإشارة إليها - كما أنشأ منظمة إرهابية باسم إريجون زفاى ليومى (وتعرف كذلك باسم إيتسل). وقد رفضت هذه المنظمة سياسة ضبط النفس التى أعلنتها الهاجاناه عند قيام الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦م، وقامت بعمليات إرهابية ضد الفلسطينيين فهاجمت حافلاتهم ووضعت المتفجرات فى تجمعاتهم وأسواقهم وأوقعت الكثير من القتلى والجرحى فى صفوفهم. وقد تولى ميناحيم بيجين قيادة المنظمة منذ نوفمبر ١٩٤٣م، وأعلن التمرد على الانتداب البريطانى، وقامت المنظمة على مدى أربع سنوات بعمليات اغتيال وتخريب ضد البريطانيين والعرب، وكان من أعنفها مذبحة دير ياسين التى أوقعت ٢٥٠ قتيلاً، والاعتداء على فندق الملك داود بالقدس حيث مقر القيادة البريطانية والذى أوقع ٩١ قتيلاً.

ومنذ صدور الكتاب الأبيض عام ١٩٣٩م، عدلت الهاجاناه عن سياسة ضبط النفس وقامت - هى وإيتسل - بعدة عمليات ضد البريطانيين والفلسطينيين. وقد انسلخ عن الهاجاناه منظمات أخرى. وأدى نشوب الحرب العالمية الثانية إلى إطلاق بن جوريون شعاره «سنشارك فى الحرب إلى جانب بريطانيا كما لو كان الكتاب الأبيض (لعام ١٩٣٩م) غير موجود، ونحارب الكتاب الأبيض كما لو كانت الحرب غير موجودة».

وفى عام ١٩٣٩م، أسس أڤراهام شتيرن منظمة إرهابية لمحاربة البريطانيين، وكان من بين مبادئها إقامة الدولة اليهودية على (أرض إسرائيل) من النيل إلى الفرات

وترحيل عرب فلسطين خارج البلاد، وقد أجرت المنظمة اتصالات مع ألمانيا النازية بهدف التعاون معها عامى ١٩٤٠ و١٩٤١م وتعرف هذه المنظمة باسم (ليحى) وقد قامت باغتيال الكونت برنادوت وسيط الأمم المتحدة عام ١٩٤٨م .

وقد عملت الهاجاناه وغيرها من المنظمات الإرهابية على التصدى للمقاومة الفلسطينية - مستعينة بقوات الانتداب البريطانى - ثم لجأت إلى ترويع الشعب الفلسطينى بعد صدور قرار التقسيم ، بهدف طرد الفلسطينيين خارج البلاد وتوسيع رقعة الدولة التى رسمها هذا القرار لها على حساب الدولة العربية على نحو ما حدث من مذبحة دير ياسين . وسوف نتعرض بالتفصيل لهذه المذابح فى الباب القادم .

* * *

الباب الرابع

التاريخ العدوانى لدولة إسرائيل

* تنهى الحكومة عملها فى حالات : إجراء انتخابات للكنيست ـ حجب الثقة بها ـ استقالة رئيس الحكومة أو وفاته .

* مقرها مدينة القدس .

*** مراقب الدولة :**

* يعين رئيس الدولة مراقب الدولة ، بناء على توجيه الكنيست .

* يتولى مراقبة العمل فى مجال الاقتصاد المالى وإدارته وإدارة الممتلكات ومؤسسات الدولة والمحليات ومشاريعها . . إلخ .

* يكون مسئولاً أمام الكنيست وحده ، ويتمتع بالاستقلال فى أداء مهمته .

*** القضاء :**

* محكمة العدل العليا : تتولى الحفاظ على حقوق المواطنين أمام السلطة ، وتتمتع بصلاحيات واسعة ، وتتدخل فى مواضيع سياسية ، وتجعلها صلاحياتها متحررة من الضغوط السياسية . ويوافق الكنيست على تعيين أعضائها .

* المستشار القضائى للحكومة : يتولى المسئولية عن التشريع من قبل الحكومة ـ والمسئولية عن الاستشارات القانونية للحكومة ومؤسساتها وتفسير القوانين وتطبيقها ـ وتمثيل الحكومة أمام محكمة العدل العليا .

* جهاز المحاكم : وهى من ٣ مراتب : محاكم الصلح ـ المحاكم المركزية ـ المحكمة العليا .

٣ ـ الدولة والدين

تقدم أن الصهيونية حركة علمانية وأن زعماءها كانوا لا يؤمنون بالتعاليم التوراتية والتلمودية ولا يحترمون الشعائر الدينية ، ولكنها اتخذت من الدين سبيلاً لدعم الفكرة الصهيونية ولضمان تأييد اليهود فى العالم للحركة .

وكان مؤسس دولة إسرائيل ، داڤيد بن جوريون ، من هؤلاء الزعماء الصهاينة غير المتدينين ويرى أن «على اليهودى ألا ينتظر التدخل الإلهى لتحديد مصيره ، بل عليه أن

يلجأ إلى الوسائل العادية كالفانتوم والنابالم»، ويقول عن المتدينين والحاخامات: «إنه لو تركت حياة اليهود للحاخامات لظلوا حتى الآن كلابًا ضالة فى كل مكان يضربهم الناس بالأقدام.. ويحتمى اليهود فى كل مكان بأحلام العودة إلى أرض الميعاد والأجداد وانتظار المسيح الذى سيهبط عليهم من السماء لينقذهم، ويقوم لهم بكل العمل، بينما هم يصلون ويبكون».

ومع ذلك، فقد كان بن جوريون يدرك أهمية العامل الدينى لدعم الصهيونية والدولة، ومن ثم عقد مع حركة «أجودات إسرائيل» ما يعرف باتفاقية الوضع الراهن فى ١٩ يونيو عام ١٩٤٧م، فى شكل رسالة موجهة من المجلس التنفيذى للوكالة اليهودية إلى تلك الحركة، يتعهد فيها بالاستجابة إلى بعض طلبات المتدينين على النحو التالى:

* أن يكون يوم السبت يوم راحة للدولة اليهودية.

* اتخاذ التدابير اللازمة لتوفير الطعام الكوشر فى كل مطبخ رسمى مخصص لليهود.

* يبذل المجلس التنفيذى كل الجهود لتلبية المطالب الدينية الأرثوذكسية فيما يتعلق بالأحوال الشخصية.

* ضمان استقلال كامل لكل التيارات فى مجال التعليم، مع تحديد الدولة حدًا أدنى من حصص التعليم الإلزامى واللغة العبرية والرياضيات والتاريخ.. إلخ.

وقد حقق اتفاق الوضع الراهن حدًا أدنى من التعايش بين الجانبين العلمانى والدينى، ومهد لقيام الحكومات الائتلافية بين الأحزاب السياسية والدينية.

ولا تزال اتفاقية الوضع الراهن تنظم العلاقات بين الدولة والأحزاب والمؤسسات الدينية، وإن كانت إسرائيل قد أصدرت عددًا من القوانين لإخضاع هذه المؤسسات لسيطرة الدولة من خلال وزارة الشئون الدينية وغيرها.

ويمكن إجمال العلاقة بين الدولة والدين فى إسرائيل فى توزيع المهام على النحو التالى:

* ينظر القضاء الدينى، عن طريق الحاخامية الرئيسية والمحاكم الدينية المختلفة فى قضايا الزواج والطلاق الخاصة باليهود.

* فى قضايا الأحوال الشخصية الأخرى يتم الالتزام بأحكام الشريعة اليهودية أمام المحاكم المدنية أو المحاكم الدينية إذا ارتضى كل أطرافها ذلك .

* تعتبر الحاخامية الرئيسية أعلى سلطة دينية ، وهى من مؤسسات الدولة ، وتقوم على شئون العلاقة بين الدين والدولة .

* للجيش حاخامية عسكرية ، تحافظ على التعاليم الدينية فى صفوفه .

* تتولى وزارة الشئون الدينية تنظيم العلاقة بين الدولة والدين .

* توجد مجالس محلية دينية .

* تسيطر الدولة على التيار التعليمى الدينى الرسمى التابع للصهيونية الدينية ، وعلى دور العبادة والمعابد والكيبوتزات الدينية[١] .

ومع ذلك ، فلا تزال الخلافات قائمة بين الدينيين والعلمانيين وبين التيارات الدينية فيما بينها بالنسبة لمسائل عديدة ، الأمر الذى يؤدى إلى نشوب الأزمات والمصادمات من وقت لآخر .

ومن أهم هذه المسائل الخلافية : وضع الدستور والمبادئ التى يتضمنها ، الأمر الذى أدى إلى عدم التمكن من وضع دستور مكتوب حتى اليوم ـ مسألة من هو اليهودى (حيث تتمسك الأرثوذكسية بأنه من يولد من أم يهودية) ـ حرمة السبت ـ التعليم ـ الخدمة العسكرية ، (حيث يعفى بعض المتدينين من هذه الخدمة أو يؤجل قيام بعضهم بها) الأحكام الدينية الخاصة بالمرأة ـ الزواج المختلط ـ الأطعمة والذبائح ـ تشريح الجثث وزراعة الأعضاء .

والمذهب الدينى السائد فى إسرائيل هو المذهب الأرثوذكسى ، ويتخذ مواقف متشددة تجاه المشاكل المشار إليها . وقد نظرت المحكمة العليا بعض هذه القضايا ، ومنها على سبيل المثال : رفض وزارة الداخلية تسجيل طفلين لضابط يهودى يدعى بنيامين شاليب ، لأنه أنجبهما من أم مسيحية ، وقررت المحكمة تسجيل الطفلين كيهوديين ، وكذا قضية الراهب دانيال اليهودى الذى اعتنق المسيحية ، ثم هاجر إلى إسرائيل وطلب اعتباره يهوديًا ، ولكن رفض طلبه وقرر القضاء أن المرتد عن دينه لا يحق له أن يكون يهوديًا .

---

(١) عبد الفتاح محمد ماضى : الدين والسياسة فى إسرائيل (مكتبة مدبولى) .

ومن ناحية أخرى، ترفض الحاخامية الإسرائيلية الاعتراف بالزيجات التى تعقدها اليهودية الإصلاحية[1].

٤ـ دور الأحزاب الدينية

سبقت الإشارة إلى أن النظام السياسى الإسرائيلى يجعل من الصعب حصول حزب واحد على الأغلبية المطلقة، ومن ثم فإن جميع الوزارات كانت ائتلافية.

ومن هنا كانت أهمية الأحزاب الدينية، حيث تسعى الحكومات إلى إشراكها فى الحكم، الأمر الذى يجعلها تتفاوض معها على برنامج مشترك يلبى طلبات الأحزاب الدينية (وهى عادة زيادة الإعانات المقررة للمدارس الدينية).

وبطبيعة الحال، يكون لهذه الأحزاب تأثيرها على توجهات الحكومة وهى فى العادة توجهات يمينية تدعو لعدم التنازل عن الأراضى العربية المحتلة. فحزب المفدال مثلاً يدعو إلى عدم التنازل عن أرض إسرائيل التاريخية وبقاء القدس موحدة وعاصمة أبدية لإسرائيل.

وحزب شاس يتبنى الموقف نفسه مع شيء من الاعتدال (حيث يشير برنامجه إلى الاحتياجات الأمنية لإسرائيل مع مراعاة ضرورة انقاذ حياة الإنسان) ويرفض حزب مماد إقامة دولة فلسطينية.

٥ـ الأحزاب السياسية

يتسم النظام الحزبى الإسرائيلى بكثرة الأحزاب وكثرة انشقاقاتها واندماجاتها وتأثرها بالاعتبارات الأيديولوچية.

وقد ظل حزب العمل يسيطر على الحياة السياسية منذ إنشاء إسرائيل إلى أن فاز تجمع الليكود اليمينى بزعامة ميناحيم بيجن الحكم عام ١٩٧٧م. وأخذ حزب العمل فى التدهور وخاصة منذ حرب ١٩٧٣م، وبدأ الرأى العام الإسرائيلى يتجه نحو اليمين منذ اغتيال إسحق رابين.

---

(١) عبد الفتاح محمد ماضى: المرجع السابق.

وفى انتخابات الكنيست الأخيرة عام ٢٠٠٦م فاز حزب كاديما (يمين وسط) بـ ٢٩ مقعدًا، وحزب العمل (يسار) بـ ١٩ مقعدًا، فى حين حصل الليكود (يمين) على ١٢ مقعدًا، وإسرائيل بيتنا (يمين متطرف) (على ١١ مقعدًا)، وشاس (دينى) على ١٢ مقعدًا، والمتقاعدون على ٧ مقاعد.

وشكلت الحكومة من ائتلاف بين الأحزاب المذكورة.

أما عن مواقف اليمين واليسار بشأن الأراضى العربية المحتلة، فتعكسها برامج الأحزاب فى المعركة الانتخابية لهذه الانتخابات، فحزب العمل يطالب بإقامة دولتين للشعبين الإسرائيلى والفلسطينى يتم رسم حدودهما من خلال التفاوض مع الأطراف، وضم الكتل الاستيطانية الكبرى لدولة إسرائيل.

وحزب الليكود يرى عدم السماح بإقامة دولة عربية فلسطينية غرب نهر الأردن، مع منح الفلسطينيين حكمًا ذاتيًا وليس دولة مستقلة ذات سيادة، وعلى أن يكون نهر الأردن هو الحدود الدائمة لدولة إسرائيل.

وأما حزب إسرائيل بيتنا ـ اليمينى القومى ـ فمن أهم مبادئ برنامجه تبادل إسرائيل والفلسطينيين المناطق، بحيث يكون الخط الأخضر هو أساس التبادل، وإجراء مبادلات إقليمية وسكانية بين الجانبين.

وأخيرًا ـ فإن حزب كاديميا (حزب الأغلبية)، فيدعو لإقامة دولتين قوميتين، وعدم السماح بعودة أى لاجئ فلسطينى إلى إسرائيل، وأن يكون تحديد حدود إسرائيل فى إطار التسوية الدائمة قائمًا على أساس ضم مناطق مطلوبة لأمن إسرائيل، وضم الأماكن المقدسة الهامة للدين اليهودى، وضم الكتل الاستيطانية الكبرى[١].

* * *

(١) انتخابات الكنيست السابعة عشرة: تحرير د. عماد جاد (مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام).

الفصل الرابع

الجدار الحديدى

١ ـ بن جوريون .. النبى المسلح

كانت نتائج حرب ١٩٤٨م مما لا يمكن للعرب احتماله، سواء خطوط الهدنة التى كرست الانتصارات العسكرية لإسرائيل، وترتب عليها قطع الاتصال البرى بين الدول العربية بل وتقسيم المدن والقرى بين الجانبين، أو مشكلة ٧٥٠ ألف لاجئ فلسطينى كانوا ـ كما كانت الدول العربية ـ يرون من الطبيعى أن يعودوا إلى بيوتهم بعد انتهاء القتال وتوقيع اتفاقات الهدنة.

وقد كان أمل العرب أن تصحح الأمم المتحدة ـ التى تحملت مسئولية النزاع وأصدرت قرار تقسيم فلسطين ـ تلك الأوضاع، ومن ثم تعاونت دول الجامعة العربية مع لجنة التوفيق التى أنشأتها المنظمة الدولية ودخلت فى مفاوضات غير مباشرة مع إسرائيل بهدف حل مشاكل الحدود واللاجئين والقدس.

ومن ناحية أخرى، بدأت بعض الدول العربية تجرى الاتصالات السرية مع إسرائيل بقصد التوصل معها إلى حلول لتلك المشاكل. فقد واصل الملك عبدالله ملك الأردن اتصالاته مع الدولة العبرية بهدف الانتقال من حالة الهدنة إلى السلام الدائم، وتطرقت المفاوضات السرية بين الجانبين إلى تعديل خطوط الهدنة وإعطاء الأردن ممرًا إلى البحر وتناولت مشكلة القدس وغيرها وعقد ميثاق عدم الاعتداء بين البلدين، وقطعت شوطًا كبيرًا ولكنها توقفت، بسبب التفتت الإسرائيلى والانتقادات العربية.

كما أجرى الملك فاروق ـ ملك مصر ـ اتصالات سرية فى باريس بين مندوبه كمال رياض وبين إلياهو ساسون مدير إدارة الشرق الأوسط بالخارجية الإسرائيلية، وكان فاروق يعرض الاعتراف الفعلى بإسرائيل مقابل تنازلها لمصر عن جزء من النقب.

أما سوريا، فقد طرح رئيسها حسنى الزعيم مبادرة هامة إذ عرض الدخول فى مفاوضات سلام دائم مع إسرائيل على أساس إجراء تعديلات على خطوط الهدنة وقبول سوريا توطين ٣٠٠ ألف لاجئ فلسطينى فيها.

وبالرغم من ذلك، وخلافا لما أشاعته إسرائيل عن رغبتها فى السلام وتعنت العرب، فقد كان داڤيد بن جوريون يرى المحافظة على الوضع الراهن الذى أقامته اتفاقات الهدنة وأن عامل الوقت فى صالح إسرائيل فى حين أن الدخول فى مفاوضات سلام دائم مع الدول العربية من شأنه أن يضطر الدولة العبرية إلى تقديم التنازلات سواء بالنسبة للحدود أو اللاجئين أو غيرهما.

ويذكر آڤى شلايم فى كتابه: «الجدار الحديدى» أن بن جوريون أوضح سياسته تلك فى اجتماع لمجلس وزرائه يوم ٢٩ مايو ١٩٤٩م، حيث قال: «إن عدم التوصل إلى سلام رسمى مع العرب لا يعد كارثة كبرى، ففى كافة المسائل يعمل الوقت لصالح إسرائيل: سواء بالنسبة للحدود أو اللاجئين أو القدس. ففى المقام الأول، فإنه مع مضى الوقت سيتعود العالم على الحدود الحالية لإسرائيل وينسى حدود الأمم المتحدة وفكرتها عن الدولة الفلسطينية المستقلة. وكذلك بالنسبة للاجئين الفلسطينيين سوف يستمر تحسن موقف إسرائيل بالرغم من الضغط المعنوى من قبل الأمم المتحدة لقبول عودتهم. كما أنه بالنسبة للقدس، فإن الناس آخذون فى الاعتياد على الوضع القائم، وقد بدءوا يرون مدى سخافة فكرة إقامة نظام دولى للمدينة»(١).

كان من الواضح أن النصر السهل الذى حققته القوات الإسرائيلية على جيوش خمس دول عربية قد أثار مطامع بن جوريون فى استغلال الضعف العربى، كما أن تخاذل الأمم المتحدة والدول الكبرى قد شجعه على التشدد ورفض تقديم أى تنازلات عن المكاسب الكبرى التى حققتها إسرائيل فى الحرب.

---

(١) Avi Shlaim: The Iron Wall (Norton and Company) - p. 51.

لم يكن قد مضى سوى عامين على قرار التقسيم الذى بذلت الصهيونية ـ بمساعدة الولايات المتحدة ـ أقصى الجهود لاستصداره، والذى قبلته بما ينص عليه من حدود للدولة اليهودية (٥٦,٤٪ من مساحة فلسطين) ومن وجود أقلية عربية كبيرة فى تلك الدولة (٤٩٧ ألف عربى مقابل ٤٩٨ ألف يهودى).

وقد اختلف الوضع كثيراً، وتغلبت على بن جوريون المطامع الصهيونية، حيث تم إفراغ فلسطين من الغالبية العظمى لسكانها العرب، ووسعت «الدولة اليهودية» من رقعتها، ومن ثم أصبحت الظروف متاحة لفتح أبواب البلاد للمهاجرين اليهود من كافة أنحاء العالم وتوطينهم فى الأراضى والمبانى التى خلفها اللاجئون الفلسطينيون وراءهم.

وهكذا اختار بن جوريون الطريق الذى تسير فيه إسرائيل طريق الردع والإرهاب بالقوة المسلحة، بدلاً من انتهاج سياسة معتدلة من أجل التعايش السلمى مع جاراتها العربية متناسيًا أن على إسرائيل العيش داخل محيط عربى شامل.

ويذكر آفى شلايم ـ فى كتابه المشار إليه ـ «أن بن جوريون كان قليل المعرفة ـ إلى درجة تثير الدهشة ـ بالتاريخ والثقافة العربيين، ولم تكن العربية من بين اللغات الاثنتى عشرة التى يتحدث بها. وكانت تجربته فى الاتصال المباشر بالعرب العاديين محدودة ولا توحى بالثقة فيهم أو محبتهم. كما كانت الصورة التى يحملها لهم أنهم بدائيون وعدوانيون وأعداء متطرفون لا يفهمون إلا لغة القوة».

٢ ـ سياسة الردع والإرهاب

لم يكن بن جوريون هو وحده الذى ركبه غرور القوة، بل إنه كان يرأس مدرسة تؤمن بأفكار چابوتنسكى عن إقامة جدار حديدى لترويع العرب وحملهم على قبول المشروع الصهيونى.

فقد كان هناك موشى ديان الذى كان يرى ضرورة إبقاء الشعب الإسرائيلى فى أجواء الحرب حتى يكون فى حالة استعداد دائم، وكان يتقدم بمقترحاته العدوانية الواحد تلو الآخر من أجل التوسع، فهو يقترح على القيادة السياسية غزو الضفة الغربية

وجعل نهر الأردن الحد الشرقى الطبيعى لإسرائيل، كما يقترح استيلاء إسرائيل على المناطق المنزوعة السلاح على الحدود مع سوريا ويطرح على شاريت (رئيس الوزراء) إرسال سفينة لاقتحام خليج العقبة بالقوة حتى لو أدى ذلك إلى نشوب الحرب مع مصر.

كما كما هناك بنحاس لاڤون الذى تولى منصب وزير الدفاع والذى كانت له خططه العدوانية التى يخفيها عن شاريت (ولاڤون هو صاحب فضيحة شبكة الجاسوسية والإرهاب فى مصر والتى نشير إليها فيما بعد). ويبدو أن شاريت كان عنصر الاعتدال نسبيًا فى مواجهة ديان ولاڤون وغيرهما ممن كانوا يدعون إلى توسع إسرائيل والدخول فى حروب مع العرب، ويؤيدون سياسة بن جوريون القائمة على أساس استخدام أقصى درجات القوة المسلحة لردع العرب وترويعهم، وخاصة بالانتقام ضد أية عمليات تسلل أو هجمات بمد خطوط الهدنة.

وكانت عمليات التسلل عبر تلك الخطوط من الأمور الطبيعية التى نتجت عن حرب ١٩٤٨ واتفاقات الهدنة وما ترتب عليهما من استيلاء إسرائيل على منازل ومزارع وممتلكات اللاجئين الفلسطينيين، حيث كان اللاجئون الفلسطينيون إلى الدول العربية المجاورة يخترقون تلك الخطوط لأسباب اجتماعية أو اقتصادية، سواء للاتصال بأسرهم أو أصدقائهم أو لمحاولة الاستيلاء على محاصليهم الزراعية أو استعادة بعض المنقولات التى تركوها وراءهم. كما كان يحدث أن يحاول بعضهم الانتقام لطردهم.

وقد بذلت الدول العربية أقصى الجهود لمنع عمليات التسلل.

وكانت الردود الإسرائيلية على أى تسلل عبر خطوط الهدنة بالغة القسوة ولا تتناسب البتة مع ما قد توقعه بعض العمليات من ضحايا أو خسائر على الجانب الإسرائيلى.

ارتكاب عشرات المذابح

شهدت الفترة من عام ١٩٥١ حتى عام ١٩٥٦م عشرات المذابح التى ارتكبتها القوات الإسرائيلية (يذكر سامى هداوى فى كتابه «الحصاد المر» أن الاعتداءات بلغت ٣١ اعتداء

فى الفترة من ١٩٥١ حتى ١٩٦٧م)، ويكفى أن نشير هنا إلى عدد من تلك المذابح[1] :

*** مذبحة قبية : (١٤ - ١٥/ ١٠/ ١٩٥٣م)**

فى الساعة ٧,٣٠ مساء يوم ١٤ أكتوبر ١٩٥٣م، تحركت قوة عسكرية إسرائيلية تقدر بحوالى ٦٠٠ جندى نحو القرية (التى تبعد كيلو مترين عن خطوط الهدنة الأردنية/ الإسرائيلية) وفتحت نيران المدفعية على القرية ووضعت الألغام والمتفجرات حول بعض منازلها، واستمر العدوان حتى الساعة الرابعة من صباح الغد، وقد نجم عن هذا الاعتداء استشهاد ٦٧ من سكانها ـ رجالاً ونساءً وأطفالاً ـ وجرح عدد كبير، وتدمير ٥٦ منزلاً، وقد أدان مجلس الأمن الاعتداء الإسرائيلى بقراره رقم ٥٤ لسنة ١٩٤٨م .

*** مذبحة نحالين : (٢٨/ ٣/ ١٩٥٤م)**

اجتازت قوة من ٣٠٠ جندى خطوط الهدنة وتوغلت مسافة ٤ كم فى أرض الضفة الغربية وشنت عدوانها على قرية نحالين فأسقطت ١١ شهيدًا و١٤ جريحًا، وثبتت الألغام فى بيوت القرية ومسجدها .

*** مذبحة غزة : (٢٨/ ٢/ ١٩٥٥م)**

توغلت قوة إسرائيلية فى قطاع غزة وقامت بنسف محطة السكك الحديدية وبث الألغام والاعتداء على القوات المصرية، فأسقطت ٣٩ شهيدًا و٣٣ جريحًا .

وقد كان لهذه الغارة آثار بعيدة على مواقف مصر، حيث أظهرت ضعف تسلح الجيش المصرى فعقدت صفقة الأسلحة التشيكوسلوفاكية، وتتابعت التطورات على نحو ما سبنينه فيما بعد .

*** مذبحة خان يونس : (عام ١٩٥٥م)**

شنت القوات الإسرائيلية على البلدة غارتين، الأولى فجر ٣٠/ ٥/ ١٩٥٥م وكانت حصيلتها ٢٠ شهيدًا و٢٠ جريحًا، والثانية مساء ٣١/ ٨/ ١٩٥٥م وأوقعت ٤٦ شهيدًا و٥٠ جريحًا .

*** مذبحة قلقيلية : (١٠/ ١٠/ ١٩٥٦م)**

هاجمت قوة إسرائيلية القرية التى تقع فى الضفة الغربية، واستخدمت المدفعية

---

(١) Sami Haddawi: Bitter Harvest (Olive Branch Press).

والطائرات وقامت بإطلاق النار عشوائيًا وتدمير المنازل. وكانت حصيلة العدوان ٧٠ شهيدًا و٦٠ جريحًا.

*** مذبحة كفر قاسم: (٢٩/ ١٠/ ١٩٥٦م)**

وقعت المذبحة عقب العدوان الثلاثى على مصر، وفرضت القوات الإسرائيلية منع التجول على السكان، وارتكبت مذبحة أسقطت ٤٣ قتيلاً، وهدمت المنازل. وكان هدف إسرائيل هو دفع عرب المثلث إلى الرحيل.

٣ـ الاستيلاء على المناطق منزوعة السلاح

كانت اتفاقات الهدنة تتضمن إنشاء مناطق منزوعة السلاح بين إسرائيل وكلٍّ من مصر وسوريا والأردن، ومناطق لا تخضع لسيادة أحد No Mans Land فى الأردن.

وقد ادعت إسرائيل أن المناطق المذكورة تخضع لسيادتها، وأن القيد الوحيد عليها هو منع إدخال أسلحة فيها.

وفى سبتمبر ١٩٥٥م، قامت إسرائيل بالاستيلاء على العوجة فى سيناء، والتى كانت مقرًا للجنة الهدنة المشتركة، وطردت السكان ورجال الأمم المتحدة منها.

وقد كان موقف إسرائيل تجاه المناطق المنزوعة السلاح التى تضمنتها اتفاقية الهدنة السورية الإسرائيلية سببًا فى التوتر والاشتباكات المسلحة المستمرة بين الجانبين. فقد ادعت إسرائيل السيادة على تلك المناطق، وعملت على الاستيلاء عليها وخاصة لتنفيذ مشروعاتها لتجفيف بحيرة الحولة وتحويل مجرى نهر الأردن، فلجأت إلى طرد المزارعين السوريين وإقامة المستوطنات واحتلال بلدة الحمة. وقد أدانت لجنة الهدنة المشتركة المواقف الإسرائيلية، كما أدان مجلس الأمن الاعتداء الإسرائيلى على بلدة الحمة. وظل التوتر والمصادمات المسلحة بين الجانبين وتصاعد الصراع بينهما بسبب تنفيذ إسرائيل لمشروع تحويل مجرى نهر الأردن وقيامها بتدمير أعمال المشروع العربى للاستفادة من مياه النهر والتى كانت فى الأراضى السورية.

٤ ـ إقامة ميناء إيلات

أجازت اتفاقية الهدنة المصرية الإسرائيلية ـ الموقعة فى ٢٤ فبراير ١٩٤٩م ـ لإسرائيل الاحتفاظ بالأراضى التى استولت عليها بانتهاكها الهدنة الثانية التى عقدت فى ١٤ أكتوبر ١٩٤٨م، ولكن لم تعط لإسرائيل الحق إلا فى نصف المسافة إلى خليج العقبة، وقد أوضح ذلك الملحق الثانى لاتفاقية الهدنة، أى أن إسرائيل كانت مستبعدة من الوصول إلى خليج العقبة.

وفى ١٠ مارس ١٩٤٩م، أى بعد ١٣ يومًا من توقيع اتفاقية الهدنة، شنت القوات الإسرائيلية هجومًا على منطقة جنوب النقب حتى وصلت إلى الخليج المذكور، واستولت على قرية أم رشرش العربية وطردت سكانها، واستولت على أراضيهم وشيدت فيها ميناء إيلات.

وهكذا فرضت إسرائيل لنفسها وجودًا على خليج العقبة نتيجة انتهاكها الصارخ لاتفاقية الهدنة مع مصر.

ولم تعترف مصر وبقية الدول العربية بهذا الوجود غير المشروع على الخليج، والذى ليس من شأنه إعطاء إسرائيل حق الملاحة فيه، معتبرة أنه خليج عربى تاريخى.

وظل النزاع العربى الإسرائيلى، فى هذا الشأن، قائمًا، وكان سببًا فى حربى عام ١٩٥٦ و١٩٦٧م بين مصر وإسرائيل.

٥ ـ إفشال مساعى الأمم المتحدة

بالرغم من أن إنشاء دولة إسرائيل قد تم بقرار من الأمم المتحدة، فإن هذه الدولة قد دأبت منذ قيامها على مخالفة قرارات المنظمة الدولية وإفشال كافة مساعيها لتحقيق السلام. وقد قامت منظمة ليحى الإرهابية باغتيال وسيط الأمم المتحدة الكونت برنادوت.

وكانت الأمم المتحدة قد أنشأت «لجنة التوفيق» بهدف تسوية النزاع بين الجانبين العربى والإسرائيلى. وقد سبقت الإشارة إلى أن اللجنة توصلت لاتفاق بين وفود الطرفين على التفاوض على أساس قرارى الأمم المتحدة رقم ١٨١ بشأن التقسيم و١٩٤

بشأن عودة اللاجئين الفلسطينيين وتعويضهم، وقد وافق الوفد الإسرائيلى على بروتوكول لوزان المتضمن ذلك، وصدر قرار الأمم المتحدة بقبول عضوية إسرائيل على هذا الأساس، ومع ذلك لم تنفذ هذه الدولة القرارين المذكورين حتى اليوم.

ومن ناحية أخرى، رفض بن جوريون تنفيذ قرارات الأمم المتحدة بشأن تدويل منطقة القدس، وقام بنقل الكنيست والوزارات إليها معلنًا اتخاذ المدينة عاصمة لإسرائيل.

كما اتخذت إسرائيل مواقف متشددة فى إطار لجان الهدنة المشتركة التى أنشأتها اتفاقات الهدنة، ولم تعر إداناتُ تلك اللجان لانتهاكاتها أحكام الاتفاقات المذكورة أى اهتمام.

وهكذا اتخذت دولة إسرائيل، منذ نشأتها موقف الاستهانة بمنظمة الأمم المتحدة وضربت بجميع قراراتها عرض الحائط، بل وعملت ـ بالتواطؤ مع الولايات المتحدة ـ على إخراج النزاع العربى الإسرائيلى من إطار المنظمة الدولية بقصد التهرب من الالتزامات التى يفرضها القانون الدولى وميثاق الأمم المتحدة، ومحاولة التوصل لتسويات خارج هذا الإطار القانونى.

❋ ❋ ❋

الفصــل الخامس

تطورات الموقـف بيـن إسرائيـل ومصـر

١ ـ موقف مصر من القضية الفلسطينية

ظلت مصر منشغلة بقضيتها الوطنية المتمثلة فى إجلاء القوات البريطانية المحتلة عن الأراضى المصرية والتمسك بوحدة مصر والسودان، فلم تول اهتمامها بالقضية الفلسطينية إلا في وقت متأخر، حيث شاركت فى مؤتمر القدس، فى ديسمبر ١٩٣١م، وهو المؤتمر الذى دعا إليه الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين للنظر فى انتهاك الصهيونية لنظام حائط البراق، حيث وضع اليهود ستائر ومقاعد أمامه خلافًا للنظام السائد الذى لا يسمح لهم بأكثر من التعبد أمامه[١].

ولما قامت الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦م، أبدت مصر تعاطفها معها، وعبر الرأى العام المصرى عن مساندته للحقوق الفلسطينية ورفضه للمشروع الصهيونى، وشاركت مصر فى مؤتمر لندن عامى ١٩٤٦ و ١٩٤٧م ـ بناء على دعوة بريطانيا ـ وهو المؤتمر الذى فشل فى التوصل لتسوية مقبولة للعرب واليهود.

---

(١) أدى خرق اليهود للنظام السائد إلى نشوب ثورة البراق في أغسطس ١٩٢٩م، الأمر الذى حمل عصبة الأمم على تشكيل لجنة تحقيق دولية ـ من سويدى وهولندى ونمساوى ـ وقدمت اللجنة تقريرها عام ١٩٣٠م متضمنا تأكيد حق ملكية الأوقاف الإسلامية للحائط، وأن النظام السائد هو السماح لليهود بزيارة الحائط دون وضع مقاعد أو مناضد وستائر.

وقد حاولت المنظمة الصهيونية إقناع الحكومات المصرية بتأييد تقسيم فلسطين بين العرب واليهود، حيث أجرى إلياهو ساسون مدير الدائرة العربية بالوكالة اليهودية اتصالات مع إسماعيل صدقي وغيره محاولاً إقناعهم بعدم مساندة العرب الفلسطينيين مقابل وقوف الصهيونية إلى جانب المطالب الوطنية المصرية وقبول إقامة قاعدة بريطانية فى فلسطين لتسهيل جلاء القوات البريطانية عن مصر.

وكانت حكومة النقراشى لا ترغب فى الدخول فى حرب فى فلسطين بسبب عدم استعداد الجيش المصرى ولوجود القوات البريطانية فى منطقة القناة، ولكنها قررت فى وقت متأخر المشاركة مع بقية الدول العربية فى الحرب، خاصة مع تصاعد المدّ القومى لدى الرأى العام المصرى تأييداً لشعب فلسطين، وتطوع أعداد من المصريين فى القتال الدائر فى فلسطين منذ قرار التقسيم.

وكان الملك فاروق قد دعا الملوك والرؤساء العرب إلى مؤتمر أنشاص فى مايو ١٩٤٦م، حيث عبر المؤتمرون عن خطورة الصهيونية، وطالبوا بضرورة وقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين ومنع تسرب الأراضى العربية إلى اليهود، وقرروا العمل على استقلال فلسطين ومساعدة الفلسطينيين. (كما عقد مجلس الجامعة العربية اجتماعاً فى بلودان فى يونيو ١٩٤٦م على إثر نشر تحقيق لجنة التحقيق البريطانية الأمريكية، قرر فيه رفض توصيات اللجنة [بقبول مائة ألف مهاجر يهودى إلى فلسطين فى الحال - بناء على ضغط الولايات المتحدة] ورفض أى شكل من أشكال التقسيم ومقاطعة المؤسسات الاقتصادية الصهيونية).

وقد تدخلت مصر بقواتها فى فلسطين فى مايو ١٩٤٨م، وأحرزت انتصارات عسكرية على القوات اليهودية، بالرغم من عدم تناسب عدد القوات المصرية مع اليهودية وعدم وجود إستراتيجية عربية موحدة وانعدام التعاون والتنسيق بين قوات الدول العربية، ولكن إسرائيل استفادت من حالة الهدنة التى فرضها مجلس الأمن بتلقيها كميات كبيرة من الأسلحة التشيكوسلوفاكية وإعادة تنظيم قواتها، وانتهت الحرب بهزيمة العرب. ووقعت مصر اتفاقية الهدنة مع إسرائيل، والتى تضمنت وضع قطاع غزة تحت الإدارة المصرية.

وساندت مصر إقامة حكومة عموم فلسطين برئاسة الحاج أمين الحسينى (ثم أحمد حلمى).

وقد كان لهزيمة القوات العربية آثارها فى تطور الأوضاع الداخلية فى مصر وغيرها من الدول العربية، حيث وقعت الانقلابات فى سوريا، وقامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م فى مصر لتغيير نظم الحكم القائمة.

وفى السنوات الأولى للثورة المصرية، وجه مجلس قيادة الثورة اهتمامه للشئون الداخلية وتحرير مصر من الاحتلال البريطانى، وأدلى رجال الثورة بتصريحات تدل على عدم وجود خطط لديهم تجاه إسرائيل. وفى ١٨ أغسطس ١٩٥٢م، أدلى بن جوريون أمام الكنيست بخطاب عبر فيه عن الأمل فى إقامة السلام والتعاون مع الثورة المصرية.

٢ ـ الاتصالات السرية بين إسرائيل والثورة المصرية

بالرغم من الموقف الذى اتخذه داڤيد بن جوريون عقب توقيع اتفاقات الهدنة من الحفاظ على الوضع الراهن المتمثل فى تلك الاتفاقات بهدف تفادى اضطرار إسرائيل إلى تقديم التنازلات للدول العربية حول الحدود واللاجئين والقدس، وبالرغم من مواصلة إسرائيل المفاوضات مع الأردن، فقد كانت أنظار رئيس الحكومة الإسرائيلية موجهة صوب مصر.

ففى اجتماع مجلس الوزراء فى ٢٩ مايو سنة ١٩٤٩م (السابق الإشارة إليه) ذكر بن جوريون: «إن مصر هى الدولة الوحيدة من بين البلاد العربية التى تشكل دولة حقيقية، إنها دولة كبيرة، وإذا تمكنا من عقد السلام معها فإن ذلك يعد فوزاً عظيماً لنا».

ويروى آفى شلايم ـ فى كتابه عن الجدار الحديدى ـ تفاصيل عن اتصالات جرت فى باريس بين عضو السفارة الإسرائيلية شمويل ديڤون وبين عبدالرحمن صادق الملحق الصحفى بالسفارة المصرية، وتبادل الرسائل عبرهما بين جمال عبدالناصر وموشى شاريت وزير خارجية إسرائيل. ومن خلال هذه الرسائل، طلب عبدالناصر تأييد إسرائيل لطلب مصر المعونات الأمريكية فضلاً عن تأييدها لجلاء القوات البريطانية من

منطقة القناة، مع مطالبتها الحفاظ على سرية هذه الاتصالات. وطالبت إسرائيل بتطوير العلاقات بين البلدين وخاصة بالسماح بمرور السفن الإسرائيلية فى قناة السويس وخليج العقبة.

وكان موشى شاريت يمثل اتجاهًا معتدلاً داخل الحكومة الإسرائيلية، ويفضل العمل الدبلوماسى للتقدم نحو السلام، وذلك على العكس من بن جوريون الذى كان لا يؤمن إلا بالقوة والتشدد. وكانت تعليماته إلى شاريت بأن يبلغ عبدالناصر فى رسالة إليه ضرورة تقديم التزام صريح بالسماح بالملاحة الإسرائيلية فى قناة السويس وخليج العقبة، ورفض عبدالناصر ذلك كما رفض طلب شاريت عقد اجتماع على مستوى عال، وتوقفت الاتصالات فى هذه القناة السرية فى أواخر عام ١٩٥٣م.

٣ـ التجسس والتخريب

كانت حكومة الثورة المصرية قد دخلت فى مفاوضات مع الحكومة البريطانية لعقد اتفاقية الجلاء فى عام ١٩٥٣، وقد تم التوقيع على الاتفاقية فى عام ١٩٥٤م. وقد أثار رحيل القوات البريطانية من مصر والإبقاء على القاعدة الحربية البريطانية فى منطقة قرب القناة ـ حسبما تضمنته الاتفاقية ـ مخاوف إسرائيل من أن هذا الانسحاب قد يخل بالتوازن القائم بين البلدين، وأن بقاء القاعدة البريطانية قد يؤدى إلى وضع مصر يدها على كميات هائلة من الأسلحة المتطورة الموجودة فيها.

وقد دفعت تلك المخاوف عناصر الحكومة والمخابرات العسكرية الإسرائيلية إلى العمل على استعداء بريطانيا والولايات المتحدة على حكومة الثورة المصرية (وكانت الولايات المتحدة تتقرب منها بأمل الحصول على موافقة مصر على الانضمام إلى مشروع الدفاع المشترك فى المنطقة ضد الاتحاد السوڤيتى).

ومن ثم لجأت العناصر الإسرائيلية المذكورة إلى تدبير عملية تخريب لعدد من المنشآت البريطانية والأمريكية فى القاهرة والإسكندرية بهدف إظهار حكومة الثورة المصرية بالعجز عن حفظ النظام ومواجهة أعدائها من الإخوان المسلمين والشيوعيين وحمل بريطانيا على عدم سحب قواتها من مصر.

واعتمدت إسرائيل لتنفيذ تلك الخطة على حلقة جاسوسية كانت قد أقامتها فى مصر منذ عام ١٩٥١م، وقام أعضاء هذه الحلقة فى يوليو ١٩٥٤م بوضع المتفجرات فى المكتبة الأمريكية فى كلٍّ من القاهرة والإسكندرية وعدد من دور السينما فى المدينتين.

وقد تم القبض على أعضاء الحلقة الإسرائيلية، وقدموا للمحاكمة أمام محكمة عسكرية، وصدرت الأحكام بالإعدام على اثنين والسجن لمدد طويلة على بقية المتهمين الثلاثة عشر.

وكانت لهذه الجريمة ـ المعروفة بفضيحة لافون ـ آثارها الخطيرة على الموقف الداخلى فى إسرائيل، حيث شكلت لجنة تحقيق وجهت الاتهام إلى وزير الدفاع الإسرائيلى بنحاس لافون بإصدار الأوامر لتنفيذ تلك العملية فى حين أنكر لافون التهمة.

هذا، وقد كشفت الوثائق الإسرائيلية أن حلقة التجسس والتخريب المذكورة قد بدأ تشكيلها فى أبريل ١٩٥١م، حيث وصل من يدعى أفراهام دار ـ أحد رجال المخابرات الإسرائيلية ـ إلى مصر، وأجرى اتصالات مع اليهود الذين كانوا يمارسون العمل السرى، وقام بتجنيدهم للتجسس لمصلحة إسرائيل، وتدريبهم على أعمال الجاسوسية والتخريب (وصناعة المتفجرات)، على أن يواصل إعدادهم وتدريبهم داخل إسرائيل (التى يسافرون إليها سرًّا). وفى الفترة من عام ١٩٥٢و١٩٥٤م، وصل إلى مصر مبعوثان من المخابرات العسكرية الإسرائيلية وأجريا اتصالاتهما بحلقة التجسس المذكورة وغيرهم من أعضاء الجالية اليهودية، وأوضحا لهما موقف إسرائيل المعادى للثورة المصرية وضرورة العمل على إسقاط النظام المصرى القائم (ويدعى المذكوران مايير بينيت وسيدنبرج، وقد أجريا الاتصالات بأعضاء الحلقة الذين قدموا للمحاكمة فيما بعد)[1].

٤ ـ حادث السفينة بات جاليم

سبقت الإشارة إلى الموقف العربى من اتفاقات الهدنة، حيث اعتبرت الدول العربية هذه الاتفاقات لا تنهى حالة الحرب القائمة بين الجانبين ـ وفقًا لمبادئ القانون

(١). Michael M. Laskier: The Jews of Egypt - 1920 / 1970 - (New York University Press)

الدولى، ومن ثم فرضت مقاطعة إسرائيل دبلوماسيًا وسياسيًا واقتصاديًا، ومنعت مصر الملاحة الإسرائيلية فى خليج العقبة وقناة السويس، خاصة وأن الوجود الإسرائيلى على الخليج (فى ميناء إيلات) وجود غير مشروع؛ إذ كان نتيجة انتهاك إسرائيل لأحكام اتفاقية الهدنة (الملحق الثانى)، ومن ثم اعتبرت الخليج عربيًا، كما اعتبرت مضيق تيران مياهًا إقليمية مصرية، أما المرور فى قناة السويس فإنه وفقًا لاتفاقية القسطنطينية عام ١٨٨٨م من حق مصر ومن واجبها الدفاع عن القناة ضد أى خطر من دولة معادية.

وظلت مصر متمسكة بهذا الموقف رغم صدور قرار من مجلس الأمن عام ١٩٥١م داعيًا لحرية الملاحة فى قناة السويس، حيث اعتبرت القرار سياسيًا ومخالفًا للقانون الدولى.

وفى خطوة استهدفت بها إسرائيل إثارة المشكلة على الساحة الدولية، أرسلت السفينة بات جاليم فى ٢٨ سبتمبر ١٩٥١م للمرور فى قناة السويس إلى حيفا، فأوقفتها مصر واعتقلت بحارتها. ولم يتحقق لإسرائيل الهدف الذى أرادته.

وبعد ذلك، لجأت إسرائيل إلى شن الحروب ضد مصر لتحقيق أهدافها وخاصة لفتح خليج العقبة أمام ملاحتها، وتمكنت من ذلك نتيجة لحرب السويس - حيث سمحت لها قوات الطوارئ للأمم المتحدة المرابطة فى شرم الشيخ بالملاحة - منذ أعقاب العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦م.

٥ - الغارة الإسرائيلية على غزة عام ١٩٥٥م

كان للغارة الإسرائيلية التى شنتها إسرائيل على قطاع غزة يوم ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٥م - والسابق الإشارة إليها - تداعيات خطيرة على تطورات الموقف فى الشرق الأوسط، فقد دفعت الخسائر التى منى بها الجيش المصرى (٣٩ شهيدًا و٣٣ جريحًا) الرئيس عبدالناصر إلى الاتجاه نحو الكتلة الشرقية للحصول على الأسلحة اللازمة للقوات المصرية بعد فشل جهوده فى الحصول عليها من الغرب، ومن ثم عقد صفقة الأسلحة التشيكوسلوفاكية فى سبتمبر ١٩٥٥م.

ومن ناحية أخرى، قام بدفع الفدائيين إلى القيام بعمليات عسكرية داخل إسرائيل ردًا على عدوانها، وازداد التوتر بين البلدين، وسيطرت على بن جوريون والقادة العسكريين فى إسرائيل فكرة شن حرب واسعة ضد مصر، وخاصة قبل أن يتم تدريب القوات المصرية على الأسلحة الحديثة. وقامت إسرائيل، فى الوقت نفسه، بالبحث عن مصادر جديدة للسلاح، فاتجهت إلى فرنسا التى كانت حكومتها تشاطرها مشاعر العداء لعبدالناصر بسبب دعمه لثورة الجزائر.

وهكذا تطور الموقف - وخاصة بعد تأميم شركة قناة السويس - إلى أن تآمرت إسرائيل وفرنسا وبريطانيا لشن حرب السويس ضد مصر فى أكتوبر ١٩٥٦م.

* * *

الفصـــل الســادس

إسرائيل (١٩٥٦ ـ ٢٠٠٦م)

الحــروب الإســرائيليــة العربيــة

أولاً: حرب السويس ١٩٥٦م

١ ـ المؤامـرة الكبـرى

سيطرت على بن جوريون فكرة شن حرب على مصر، سواء لفرض مرور السفن الإسرائيلية فى خليج العقبة وقناة السويس أو لحملها على وقف عمليات الفدائيين، وخاصة قبل إتمام تدريب الجيش المصرى على الأسلحة الحديثة.

وقد شاركت الحكومتان الفرنسية والبريطانية بن جوريون فى مشاعر العداء لعبدالناصر، الأولى بسبب مساعدة مصر للثورة الجزائرية، والثانية بسبب تزعمه دعوة القومية العربية التى أدت إلى تصفية الاستعمار البريطانى، وخاصة نفوذه فى الأردن (بطرد جلوب وعرقلة انضمام الأردن لحلف بغداد)، وذلك فضلاً عن تأميم عبدالناصر لشركة قناة السويس بعد سحب الولايات المتحدة وبريطانيا والبنك الدولى عرض تمويل مشروع السد العالى وبطريقة مهينة.

تآمرت الدول الثلاث على العدوان على مصر، ففى ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٥٦م سافر بن جوريون إلى فرنسا، وعقد اجتماعًا بينه وبين جى موليه رئيس الجمهورية الفرنسية فى بلدة سيڤر تم فيه الاتفاق على خطة تتضمن قيام إسرائيل بالهجوم على مصر

والإعلان عن وجود القوات قرب قناة السويس، وعندها توجه فرنسا وبريطانيا إنذاراً إلى مصر وإسرائيل بسحب قواتهما بعيداً عن القناة، وفى حالة رفض مصر - كما هو متوقع - تقوم الدولتان العظميان بالهجوم على مصر. وقد وافقت بريطانيا على الخطة، وبدأ تنفيذها يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦م.

٢ - العدوان الثلاثى على مصر

فشل العدوان الثلاثى على مصر لعدة أسباب أهمها: المقاومة المصرية والموقف الحازم لإدارة الرئيس الأمريكى أيزنهاور ضد العدوان والتمسك بطلب وقفه وانسحاب القوات المعتدية، والإنذار السوڤييتى بضرب عاصمتى الدولتين الكبريين المعتديتين بالصواريخ، فضلاً عن المعارضة الشعبية فى دول العالم وخاصة فى بريطانيا ودول العالم الثالث وتنديدها بالعدوان.

أرغم مجلس الأمن الدول المعتدية الثلاث على الانسحاب من مصر، وتم انسحاب القوات الفرنسية والبريطانية فى ديسمبر ١٩٥٦م. أما بن جوريون، فقد تلكأ فى سحب قواته من سيناء زاعمًا أن سيناء جزء من «أرض إسرائيل»! وطالب بعدم عودة الإدارة المصرية لغزة، ولكن طلبه رفض، واضطر إلى سحب قواته تمامًا فى مارس ١٩٥٧م.

ومع ذلك، فقد سمحت قوات الطوارئ التى أنشأتها الأمم المتحدة والتى انتشرت على الحدود وفى شرم الشيخ، سمحت بمرور السفن الإسرائيلية فى خليج العقبة، فى الوقت الذى تعهدت فيه الإدارة الأمريكية لإسرائيل بضمان حرية ملاحتها فى الخليج. وظل هذا الوضع قائمًا حتى مايو ١٩٦٧م عندما طلب عبد الناصر سحب قوات الطوارئ وقرر إغلاق خليج العقبة فى وجه الملاحة الإسرائيلية.

٣ - نتائج الحرب

إذا كانت إسرائيل قد حصلت على مكسب مرور سفنها فى خليج العقبة، فقد حقق عبدالناصر مكاسب سياسية كبيرة نتيجة صموده أمام العدوان الثلاثى وتحديه لدولتين كبريين، فقد ارتفعت أسهمه فى العالم العربى وفى دول العالم الثالث كقائد يحارب

الاستعمار ويعمل على تحرير الشعوب، كما أنه نجح فى تأميم شركة قناة السويس وفرض السيادة المصرية عليها.

ومن ناحية أخرى، كانت الهزيمة السياسية لبريطانيا وفرنسا إيذانًا بانقضاء مرحلة الاستعمار القديم، وحلول الولايات المتحدة محله ببسط نفوذها على منطقة الشرق الأوسط.

أما شعوب العالم الثالث، وخاصة فى إفريقيا. فقد بدأ تحريرها من الاستعمار الغربى، واستقلال دولها تباعًا. وقد لقيت حركات التحرر الوطنى لهذه الشعوب كل الدعم من مصر، وفتحت مكاتب تمثلها فيها.

ثانيًا: حرب يونيو ١٩٦٧م وحرب الاستنزاف

١ - مقدمات الحرب

لجأت النظم العربية المعادية لعبدالناصر إلى المزايدة واتهام مصر بالاحتماء بقوات الأمم المتحدة واتخاذ مواقف سلبية تجاه إسرائيل، وربما كان هذا الموقف أحد الأسباب التى دفعت عبدالناصر إلى مطالبة الأمم المتحدة بسحب قواتها المرابطة على الحدود من أجل إفساح الطريق للقوات المصرية التى قام بتحريكها إلى سيناء لمواجهة إسرائيل فى حالة عدوانها على سوريا، وذلك بعد تلقى معلومات من الاتحاد السوفيتى عن حشد القوات الإسرائيلية على الحدود معها وتهديدات القادة الإسرائيليين بغزوها، خاصة وأن مصر كانت قد وقعت اتفاقًا للدفاع المشترك مع سوريا.

ودون الإغراق فى التفاصيل المعروفة عن تطورات الموقف، يكفى التذكير بأن سكرتير عام الأمم المتحدة رفض السحب الجزئى للقوات الدولية على أساس سحبها كلية أو بقائها، وقيام مصر بعد انسحاب هذه القوات بإعادة قواتها إلى شرم الشيخ وإغلاق خليج العقبة فى وجه الملاحة الإسرائيلية، الأمر الذى انتهزته إسرائيل لشن عدوانها على مصر مدعية أن إغلاق الخليج يعد من أعمال الحرب.

ويتعين، بهذا الصدد، ملاحظة أنه كان يمكن تسوية المشكلة سلميًا، وهو ما حاوله عبدالناصر إذ وافق على ما عرضه أوتانت سكرتير عام الأمم المتحدة عليه من تجميد الموقف فى خليج العقبة، كما وافق على إرسال زكريا محيى الدين إلى واشنطون للتفاوض على حل سلمى.

ولكن إسرائيل انتهزت الفرصة لشن الحرب على مصر وفرض شروطها عليها وعلى سوريا والأردن اللتين شاركتا فى القتال.

٢ ـ نتائج الحرب

حققت إسرائيل نصرًا ساحقًا على الدول العربية، فاستولت قواتها على كافة الأراضى الفلسطينية وعلى سيناء والجولان السورية.

وتمسكت بعدم الانسحاب من تلك الأراضى قبل الاتفاق مع الدول العربية على حدود جديدة لها تكون ـ حسب رأيها ـ آمنة ومعترفًا بها لتحل محل خطوط الهدنة القائمة منذ عام ١٩٤٩م.

ووقفت الولايات المتحدة إلى جانب إسرائيل تساند طلباتها وتدعم احتلالها للأراضى العربية سياسيًا وعسكريًا واقتصاديًا.

وأصدر مجلس الأمن فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧م قراره رقم ٢٤٢ بصياغة غامضة (سميت بالغموض البناء) بدعوى تمكين الأطراف من التوصل لاتفاقات سلام على أساس بنوده (على نحو نبينه فى الفصل التالى).

وكانت النتيجة هى بقاء الاحتلال الإسرائيلى للأراضى العربية ـ باستثناء المصرية ـ حتى اليوم، مع قيام إسرائيل بالتغييرات الجغرافية والسكانية والقانونية فى الأراضى المحتلة بهدف الاستيلاء على أجزاء كبيرة منها.

وسوف نتناول ـ بشىء من التفصيل ـ الممارسات الإسرائيلية فى الأراضى العربية المحتلة فى فصل قادم.

٣ـ حرب الاستنزاف (يونيو ١٩٦٧مـ أغسطس ١٩٧٠م)

بالرغم من شيوع إطلاق تعبير حرب الستة أيام على العدوان الإسرائيلى عام ١٩٦٧م، فإن حقيقة الأمر أن الحرب لم تتوقف، بل استؤنفت فى صورة حرب استنزاف عنيفة استمرت حتى وقف إطلاق النار فى أغسطس ١٩٧٠م.

وقد بدأت مصر هذه الحرب بعد إعادة تنظيم قواتها وتسليحها. (وحتى قبل ذلك بالتصدى للعدوان الإسرائيلى فى رأس العش فى ١/ ٧/ ١٩٦٧م، وبإغراق المدمرة إيلات فى ٢١/ ١٠/ ١٩٦٧م). ومنذ مارس ١٩٦٩م وحتى وقف إطلاق النار فى أغسطس ١٩٧٠م، ظلت الجبهة المصرية مشتعلة، حيث تواصل قصف المدفعية والقيام بعمليات ضد القوات والأهداف الإسرائيلية وشن غارات عليها.

وقد لجأت إسرائيل إلى ضرب العمق المصرى بهدف التأثير على الرأى العام المصرى أملاً فى إسقاط عبدالناصر، فشنت غارة على نجع حمادى وغارات متعددة على ساحل البحر الأحمر والسويس، وأنزلت سرية دبابات على الساحل المذكور، وشنت غارة على مدرسة بحر البقر، واستمر القصف الجوى الإسرائيلى أربعة شهور متواصلة من أول يناير حتى ٨ أغسطس ١٩٧٠م.

وقد تطور الصراع بين الجانبين بعدما لجأ عبدالناصر إلى الاستعانة بطيارين سوفييت، وأقام حائط الصواريخ المنيع على طول الجبهة، الأمر الذى أدى إلى تقدم الولايات المتحدة بمبادرة روجرز فى ٨/ ٨/ ١٩٧٠م لوقف إطلاق النار وتجميد الموقف العسكرى على الجبهة.

وبعد تجديد وقف إطلاق النار، بعد وفاة عبدالناصر، قامت مصر بشن حرب أكتوبر المجيدة فى ٦/ ١٠/ ١٩٧٣م.

ولعل من أهم نتائج حرب ١٩٦٧م وحرب الاستنزاف واحتلال إسرائيل للأراضى الفلسطينية إحياء القضية الفلسطينية على الساحة الدولية، بحيث أصبحت قضية شعب يناضل من أجل حقوقه وخاصة حق تقرير المصير بعد أن حاولت إسرائيل طمس القضية ومناقشتها فى الأمم المتحدة كقضية لاجئين.

ثالثًا: حـرب أكتوبر ١٩٧٣م

١ ـ الانتصارات المصرية والسورية

فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣م، تحركت كلٌّ من القوات المصرية والسورية فى الوقت نفسه ـ تنفيذًا لخطة متفق عليها ـ فعبرت القوات المصرية قناة السويس وحطمت خط بارليف ثم احتلت شريطًا شرق القناة، واحتلت القوات السورية هضبة الجولان؛ وعندما توقف القتال كانت مصر قد استردت ما بين ١٠ و ١٢ كيلومترًا من أراضى شرق القناة أما الجولان، فقد استعادتها القوات الإسرائيلية كما تمكنت من إيجاد ثغرة فى غرب قناة السويس (كان من الممكن القضاء عليها عسكريًا ولكن رؤى سياسيًا ربط الانسحاب منها باتفاق ترعاه الولايات المتحدة للفصل بين القوات).

وقد مهدت حرب أكتوبر الطريق أمام إقامة السلام بين مصر وإسرائيل، كما شجعت الدول العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية على قبول إجراء تسويات سياسية مع الدول العبرية.

٢ ـ الطريق إلى الصلح مع إسرائيل

سادت حالة اللاسلم والحرب الموقف بين إسرائيل والعرب منذ أعقاب حرب ١٩٦٧م، وعرقلت إسرائيل كافة الجهود التى بذلت من أجل تحقيق تسوية سلمية بين الجانبين.

فقد تسببت إسرائيل فى فشل مهمة يارنج (ممثل الأمم المتحدة المعين تطبيقًا لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢) حيث أبلغته بصراحة أنها لا تقبل عقد اتفاق سلام مع مصر على أساس الانسحاب إلى حدود مصر الدولية. كما أنها رفضت مبادرة السادات فى فبراير ١٩٧١م الخاصة بعقد تسوية مرحلية على أساس فتح قناة السويس وقيام القوات الإسرائيلية بانسحاب جزئى شرق القناة. وكذلك فشلت مفاوضات حافظ إسماعيل مستشار الأمن القومى المصرى مع هنرى كيسنجر.

ولم يكن ثمة مناص من شن الحرب على إسرائيل لتحريك الموقف، ومن ثم تم الاتفاق بين مصر وسوريا على خوض حرب أكتوبر على نحو ما تقدم.

وكان الرئيس السادات مؤمنًا بأن «٩٩٪ من أوراق اللعبة فى يد الولايات المتحدة»، ومن ثم قبل أن يقوم كيسنجر بدوره من أجل عقد تسوية سياسية بين إسرائيل والدول العربية.

وقام كيسنجر بتنفيذ سياسته بالتحرك خطوة بخطوة، ومن خلال زياراته المكوكية تم التوصل إلى اتفاق الفصل بين القوات المصرية والإسرائيلية فى ١٧ يناير سنة ١٩٧٤م، وبين القوات السورية والإسرائيلية فى ٣١ مايو ١٩٧٤م، كما عقد اتفاق ثان للفصل بين القوات المصرية والإسرائيلية فى أول سبتمبر ١٩٧٥م. وكان الاتفاق الأخير يمهد بوضوح لعقد تسوية نهائية بين البلدين، حيث نص على تسوية الخلافات بين الجانبين بالطرق السلمية، وبتعهد الطرفين بعدم استخدام القوة أو التهديد بها أو الحصار البحرى فى مواجهة الطرف الآخر (مادة ١) وبالسماح بمرور الشاحنات غير العسكرية المتجهة من إسرائيل وإليها فى قناة السويس (مادة ٧) وكذا النص على اعتبار الاتفاقية خطوة هامة نحو سلام عادل ودائم (مادة ٨).

وقد عقدت مصر وإسرائيل اتفاق إطار السلام فى الشرق الأوسط فى كامپ ديڤد بتاريخ ١٧ سپتمبر ١٩٧٨م متضمنًا مبادئ عقد معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل، وكذا مبادئ لعقد معاهدات سلام بين إسرائيل والدول العربية، فضلاً عن أحكام لتسوية انتقالية للقضية الفلسطينية، وفى ٢٦ مارس سنة ١٩٧٩م، عقدت مصر وإسرائيل معاهدة السلام(١).

وإذا كان اتفاق كامپ ديڤد قد مهد للسلام بين مصر وإسرائيل، فإنه ووجه برفض بقية الدول العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية التى قاطعت مصر، وإن عادت فقبلت مبادئ مماثلة للتفاوض مع إسرائيل فى إطار مؤتمر مدريد فى أكتوبر ١٩٩١م.

رابعًا: الغزو الإسرائيلى للبنان عام ١٩٨٢ وحرب ٢٠٠٦م

١ ـ مخطط آرييل شارون

فى عام ١٩٥٤م، أعد بن جوريون مشروعًا لتقسيم لبنان، وإقامة دولة مسيحية

(١) تولى المؤلف رئاسة الوفود المصرية فى المفاوضات مع إسرائيل لتنفيذ معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية (على مستوى الخبراء) فى الأعوام ١٩٨٠ ـ ١٩٨٢م، ومن بينها مباحثات الحكم الذاتى الفلسطينى تنفيذًا لاتفاق كامب ديفيد.

مارونية تتحالف مع إسرائيل، وذلك ضمن خطته للتعاون مع الأقليات فى الدول العربية لمقاومة السيطرة الإسلامية فى الشرق الأوسط، وقام بعرض مشروعه على مجلس الوزراء ذاكراً أن الوقت مناسب لتشجيع الموارنة على إعلان دولتهم. وقد رفض موسى شاريت المشروع على أساس أن الموارنة فى لبنان منقسمون وضعفاء، كما أنه يؤدى إلى تدمير الاقتصاد اللبنانى[1].

وقد تبنى شارون أفكار بن جوريون فيما بعد.

٢ـ غزو لبنان عام ١٩٨٢م

فى عام ١٩٨٢م، تبنى شارون فكرة إقامة حكومة لبنانية صديقة تتحالف مع إسرائيل، ووضع خطة لغزو لبنان تستهدف تنفيذ هذه الفكرة، فضلاً عن القضاء على وجود منظمة التحرير الفلسطينية فى لبنان.

ودخلت القوات الإسرائيلية لبنان، وتوغلت فى أراضيه، وفرضت الحصار على بيروت (وهى أول عاصمة عربية تحاصرها).

وقد فشلت عملية الغزو فى تحقيق أهدافها إلا فيما يتعلق بإنهاء وجود منظمة التحرير الفلسطينية وانسحابها مع قواتها من لبنان، أما حكومة بيير الجميل، فرفضت التحالف مع إسرائيل على عكس ما توقعه شارون وتم اغتياله، كما فشلت إسرائيل والولايات المتحدة فى حمل لبنان على تنفيذ «اتفاق السلام» الذى توصلت إليه مع حكومة أمين الجميل الذى تولى الرئاسة بعد شقيقه بسبب رفض البرلمان اللبنانى له.

هذا.. وقد مكنت القوات الإسرائيلية قوات الكتائب اللبنانية من اقتحام مخيمى صابرا وشاتيلا للاجئين الفلسطينيين واحتلالهما وارتكاب مذبحة أوقعت أكثر من ثلاثة آلاف قتيل من الرجال والنساء والأطفال.

---

(١) Avi Shlaim _ opcit P. 106.

٣ ـ الانسحاب الإسرائيلى من لبنان

استولت إسرائيل على قطاع فى جنوب لبنان، وأنشأت فيه قوات لبنانية عميلة بقيادة أنطوان لحد.

وقد واجهت قوات إسرائيل والقوات اللبنانية العميلة مقاومة شرسة من قبل المعارضة اللبنانية بقيادة حزب الله، واضطرت حكومة إيهود باراك إلى الانسحاب كلية من لبنان فى يونيو سنة ٢٠٠٠م، وتم تحرير الجنوب من كل القوات المذكورة.

٤ ـ حرب ٢٠٠٦م

فى يوليو ٢٠٠٦م، عادت إسرائيل للعدوان على لبنان بهدف القضاء على حزب الله، وذلك بعد أن تمكن حزب الله من أسر جنديين إسرائيليين، ولكنها منيت بفشل ذريع.

فلأول مرة فى تاريخ إسرائيل، تصيب صواريخ حزب الله مدنها وتحدث خرابًا فى مبانيها، وتضطر السكان إلى الهجرة خارج مدى الصواريخ.

ولأول مرة يقف الجيش الإسرائيلى عاجزًا عن التقدم فى جنوب لبنان، وتفشل محاولته تدمير منصات صواريخ حزب الله.

وكل ما استطاعت إسرائيل هو إطلاق طائراتها لتقذف الأراضى اللبنانية بطريقة عشوائية لتحدث الدمار وتصيب المدنيين.

ومما يدعو إلى الاستهجان أن الولايات المتحدة ظلت تطالب إسرائيل بمواصلة الحرب إلى أن تحققت من فشل العدوان الإسرائيلى عن إلحاق الهزيمة بحزب الله.

والواقع، أن هذه الحرب كانت كارثة كبرى لإسرائيل، حيث أثبتت أن قدرتها على الردع التى دأبت على تخويف الدول العربية بها قد تآكلت، وكان للأخطاء الجسيمة التى ارتكبت فى شن الحرب دون رسم إستراتيجية سليمة وفى إدارة المعارك، والتى تضمنها تقرير لجنة ڤينوجراد المبدئى آثار عميقة على الموقف الداخلى فى إسرائيل، وبالذات إلى اهتزاز مركز إيهود أولمرت واحتمال هزيمته فى الانتخابات القادمة.

خامسًا: جرائم الحرب الإسرائيلية

١ـ جرائم الحرب فى القانون الدولى

تعارفت الدول فيما بينها على مبادئ للتخفيف من ويلات الحروب، سواء فى إدارة المعارك وتجنيب غير المقاتلين أخطارها أو الامتناع عن استخدام أسلحة تحدث آلامًا غير محتملة لا مبرر لها. وقد عقد العديد من الاتفاقات الدولية المتضمن هذه المبادئ ومنها لائحة لاهاى لعام ١٩٠٧م، واتفاقات چنيف الأربعة لعام ١٩٤٩م وپروتوكولاها الأول والثانى لعام ١٩٧٧م والپروتوكول الثالث لاتفاقية الأسلحة التقليدية لعام ١٩٨٠م، واتفاقية حظر الأسلحة الكيماوية لعام ١٩٩٣م وپروتوكول چنيف لعام ١٩٢٥م بشأن حظر استخدام الغازات السامة والخانقة. . إلخ. وقد أصبحت معظم المبادئ التى تضمنتها بعض هذه الاتفاقات أعرافًا دولية لها حكم القانون.

وقد نصت المادة الثامنة من النظام الأساسى للمحكمة الجنائية الدولية على عدد من جرائم الحرب التى تمثل انتهاكات لقوانين وأعراف الحرب ومنها ـ بوجه خاص ـ الاعتداءات المتعمدة على المدنيين أو الأهداف المدنية ـ وضرب المدن والقرى والأماكن السكنية التى لا تكون أهدافًا عسكرية بالقنابل ـ وقتل الأسرى المستسلمين ـ واستخدام أسلحة أو مواد محرمة قانونًا ـ وقتل المدنيين جوعًا أو عطشًا. . إلخ.

كما نصت على الانتهاكات الجسيمة لاتفاقات چنيف لعام ١٩٤٩م، وخاصة: القتل العمد ـ والتعذيب، والمعاملة غير الإنسانية ـ والتدمير الواسع للممتلكات لغير ضرورة حربية ـ وأخذ الرهائن . . . إلخ.

٢ـ جريمة قتل الأسرى المصريين

لعل من أبشع الجرائم التى ارتكبتها إسرائيل قتل الأسرى المصريين فى حربى عام ١٩٥٦ و ١٩٦٧م.

وقد اعترف بعض الضباط الإسرائيليين بارتكاب هذه الجرائم، حيث نشرت صحيفة جيروزاليم پوست فى عددها الصادر يوم ٤ أغسطس ١٩٩٥م اعترافًا مفصلاً للعميد احتياط آرييه بيرو عن قتل الجنود المصريين وارتكاب مذبحة جماعية لهم فى

حربى عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧م، وأدلى العقيد احتياط دانى وولف والمقدم احتياط شارون زيف باعترافات مماثلة.

ونشرت صحيفة معاريف فى ٤/ ٨/ ١٩٩٥م تحقيقًا لرونيثل فيشر تضمن ما أدلى به شهود عيان من اعترافات عن قيام القوات الإسرائيلية بقتل أسرى مصريين والتمثيل بجثث عمال التراحيل والمحاجر قرب ممر متلا فى حرب ١٩٥٦م، وأن عدد القتلى من الأسرى بلغ ٤٩ شهيداً، وقد تورطت الكتيبة ٨٩٠ مظلات التى كان يقودها آرييه بيرو واللواء التاسع بقيادة آرييل شارون فى قتل كل من كان يصادفهم من عمال وجنود ألقوا أسلحتهم وتم أسرهم.

كما أثبت المؤرخ الإسرائيلى أرييه إسحاقى أنه خلال حرب ١٩٦٧م قتلت القوات الإسرائيلية مئات الأسرى المصريين (حوالى ٩٠٠ أسير) وكانت أكبر مذبحة جرت فى منطقة العريش حيث قتلت وحدات من الجيش الإسرائيلى ٣٠٠ جندى مصرى وفلسطينى.

ومن ناحية أخرى، عرضت القناة الثانية للتليفزيون الإسرائيلى فيلمًا وثائقيًا بعنوان «روح شاكيد» يظهر بوضوح كيفية قتل وسحل الكتيبة الإسرائيلية التى تحمل نفس الاسم الأسرى المصريين فى حرب ١٩٦٧م بدم بارد، حيث قامت الدبابات الإسرائيلية بسحق هؤلاء الأسرى وهم مقيدون فى طوابير طويلة، كما أمر ضباط الكتيبة المذكورة الأسرى بحفر قبورهم بأيديهم وإطلاق الرصاص على رءوسهم.

ومن الغريب أن يتباهى الذين ارتكبوا هذه الجرائم البشعة، ولا يتورعون عن الإدلاء بتفاصيل دقيقة لطريقة الإجهاز على الأسرى المصريين العزل من السلاح، والتى تعكس التجرد الكامل من أية مشاعر إنسانية.

وجدير بالذكر أن جريمة قتل الأسرى من أبشع الجرائم الدولية، وتعد انتهاكًا خطيراً للأعراف الدولية ولاتفاقية چنيف الثالثة لعام ١٩٤٩م.

٣ ـ بعض جرائم الحرب الإسرائيلية الأخرى

ارتكبت إسرائيل فى الحروب التى خاضتها ضد الدول العربية العديد من جرائم الحرب المشار إليها فيما سبق.

ويكفى ـ فى هذا الصدد ـ أن نشير إلى بعض هذه الجرائم :

* المذابح التى ارتكبتها القوات الإسرائيلية ضد المدنيين والأهداف المدنية التى سبق الكلام عنها (انظر الباب / الرابع ـ الفصل الرابع) .

* الغارة الإسرائيلية على مدرسة بحر البقر فى مصر خلال حرب الاستنزاف .

* الغارات الإسرائيلية على الأهداف المدنية (مثل منشآت الرى) فى العمق الداخلى لمصر خلال حرب الاستنزاف .

* نسف المنشآت البترولية فى مدينة السويس خلال حرب الاستنزاف (الأمر الذى أدى إلى ترحيل سكانها) .

* الغارات التدميرية على الأهداف المدنية اللبنانية خلال حرب عام ٢٠٠٦م .

* استخدام أسلحة محرمة دوليًا فى الحروب ضد الدول العربية (مثل القنابل العنقودية والانشطارية) .

* نهب البترول والآثار من سيناء والاستيلاء على الآثار الموجودة فى الأراضى الفلسطينية المحتلة .

٤ ـ المحاكمة عن جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية

جرائم الحرب لا تسقط بالتقادم، بل إنه يمكن محاكمة وعقاب مرتكبيها فى أى وقت مضى على ارتكابها . وقد أقيمت محاكم دولية لمحاكمة مجرمى الحرب العالمية الأخيرة فى نورمبرج وطوكيو، وحديثًا فى يوغوسلافيا السابقة وروواندا .

وأخيرًا أنشئت المحكمة الجنائية الدولية وأصبح نظامها الأساسى نافذًا، وفيما يلى الأحكام الرئيسية لممارسة المحكمة لولايتها :

* لمجلس الأمن والمدعى إحالة القضايا إلى المحكمة . وللمدعى أن يبدأ التحقيق بناء على المعلومات المقدمة من الضحايا أو من المنظمات غير الحكومية أو غير ذلك من المصادر (بشرط موافقة الغرفة المختصة بالمحكمة) .

* تمارس المحكمة ولايتها فى حالة ما إذا كان المتهم من مواطنى دولة طرف فى اتفاقية إنشائها، أو كانت الجريمة قد ارتكبت فى دولة طرف فيها (ويجوز للدولة عند التصديق على الاتفاقية أو الانضمام إليها أن تعلن عدم قبول ولاية المحكمة عن جرائم الحرب لمدة سبع سنوات).

* فى حالة ما إذا تولت الدولة محاكمة المتهم بارتكاب جريمة حرب، لا تمارس المحكمة الدولية ولايتها، إلا إذا كان هناك تباطؤ من جانب الدولة فى الإجراءات أو كانت المحاكمة تجرى بطريقة غير مستقلة أو منحازة.

* فى حالة إذا ما أحيلت القضية من مجلس الأمن، وفقًا للفصل السابع من الميثاق، فإن المحكمة تمارس ولايتها مع عدم توافر الشروط السابقة. كما أن للمجلس المذكور أن يوقف المحاكمة أو التحقيق بقرار منه يصدر وفقًا للفصل السابع من الميثاق.

هذا - ويلاحظ أن إسرائيل لم تصدق على اتفاقية النظام الأساسى للمحكمة الدولية أو تنضم إليها، ومن ثم فإن الوسيلة لمحاكمة المسئولين عن جرائم الحرب تكون إما بتشكيل محكمة خاصة على غرار المحاكم الدولية السابق الإشارة إليها، أو بمقتضى قرار يصدره مجلس الأمن وفقًا للفصل السابع من الميثاق، أو بمقتضى قانون داخلى لإحدى الدول ينص على محاكمة المسئولين عن هذه الجرائم فى أى مكان، كما أنه يمكن إقامة الدعوى لدى محاكم مصر والدول العربية الأخرى.

* * *

الفصـــل السابـع

إسرائيل ١٩٦٧ ـ ٢٠٠٧م

الاحتلال الإسرائيلى للأراضى العربية

١ ـ موقف إسرائيل والولايات المتحدة من القرار رقم ٢٤٢

ما إن توقف القتال فى عام ١٩٦٧م حتى أعلنت إسرائيل أنها لن تسحب قواتها من الأراضى العربية المحتلة إلا بعد التوصل إلى حدود جديدة لها تتفق عليها مع الدول العربية .

وقد تولى اللورد كارادون ـ المندوب البريطانى لدى الأمم المتحدة ـ إعداد مشروع قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، وتمسك بعدم إدخال أى تعديل على صياغته لعدم الإخلال بالتوازن الذى روعى فيه .

وفى حين نص القرار بكل وضوح على مبدأ عدم جواز اكتساب الأراضى بالحرب ، ومطالبة إسرائيل بالانسحاب ، فإنه صاغ الفقرة المتعلقة بهذا الانسحاب بأن يكون من «أراض محتلة» [بحسب الصياغة الإنجليزية (بعكس صياغتها ببقية اللغات الرسمية المستخدمة فى المنظمة الدولية] كما أورد فقرة عن حق دول المنطقة فى العيش بسلام داخل حدود آمنة ومعترف بها .

وقد أتاحت صياغة القرار على النحو السابق الفرصة أمام إسرائيل والولايات المتحدة لتفسير القرار بأنه يعنى الاتفاق على «حدود آمنة ومعترف بها» لإسرائيل . أما

الولايات المتحدة، فمع تأييدها لهذا التفسير المغلوط للقرار، فإنها كانت ترى إما الاتفاق بين الأطراف على حدود جديدة، أو إقرار خطوط الهدنة على أنها الحدود بينها، وأنه على أية حال فإن الحدود الجديدة - فى حالة الاتفاق عليها - يجب ألا تعكس ثقل الغزو الإسرائيلى، ومع مرور الوقت تغير هذا الموقف إلى أن أصبحت واشنطن تؤيد التوسع الإسرائيلى.

أما بقية أعضاء مجلس الأمن، فقد أدلوا ببيانات تؤكد أن فهمهم للقرار هو أنه يعنى الانسحاب الكامل لإسرائيل من الأراضى العربية المتحدة.

(انظر مستند مجلس الأمن رقم ١٠٩٤٨/ ٥ فى ١٣/ ٦/ ١٩٧٣م الذى أعد بناء على طلب المجموعة العربية).

وقد أدى الموقف الإسرائيلى من القرار المذكور - ودعم الولايات المتحدة بالذات لهذا الموقف - إلى بقاء الاحتلال الإسرائيلى للأراضى العربية السورية والفلسطينية قائمًا حتى اليوم، أى لأكثر من أربعين عامًا.

٢ - عدم مشروعية الاحتلال فى القانون الدولى المعاصر

أكد القانون الدولى المعاصر - وفقًا لنظام ميثاق الأمم المتحدة - عدم شرعية الحرب، حيث نص الميثاق على حظر استخدام القوة أو التهديد بها فى العلاقات الدولية (مادة ٢/ ٤).

ومن الواضح أن موقف إسرائيل الخاص بالتفاوض مع العرب تحت ضغط الاحتلال العسكرى بهدف رسم حدود جديدة لها ينطوى على إهدار حق تقرير المصير للشعب الفلسطينى والشعوب العربية الأخرى.

ومن ناحية أخرى، فإن مبدأ عدم اكتساب الأراضى بطريق الحرب قد أصبح مبدأ مستقرًا من مبادئ القانون الدولى، حيث إن تطور هذا القانون قد أسقط من بين وسائل اكتساب الأراضى وسيلة الغزو والضم التى كانت سائدة من قبل.

وسوف نتحدث - فى الفصل العاشر - عن موقف إسرائيل من النظام الدولى.

٣ ـ أحكام القانون الدولى بشأن الاحتلال الحربى

القاعدة الأساسية فى القانون الدولى هى أن الاحتلال الحربى لا ينقل السيادة على الإقليم إلى الدولة المحتلة، وإنما يعطيها سلطة واقعية مؤقتة تمارسها هذه الدولة لإدارة الإقليم والحفاظ على الأمن، مع وضع قيود عليها لحماية السكان.

وقد تضمنت لائحة لاهاى لعام ١٩٠٧م عدة مواد تقنن العرف الدولى المتعلقة بالاحتلال، ومنها المادة ٤٦ التى تنص على ضرورة احترام الحقوق والشرف العائليين، وحياة الأشخاص، والملكية الخاصة، والمعتقدات والممارسات الدينية، وعلى عدم مصادرة الأملاك الخاصة، وكذا المادة ٥٦ التى تحظر تدمير ممتلكات البلديات والمؤسسات الدينية والخيرية والتعليمية والفنية والعلمية أو الإضرار بها أو بالمعالم التاريخية والأعمال الفنية والعلمية.

وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية ـ التى شهدت انتهاكات ألمانيا النازية للأحكام العرفية والتعاهدية بشأن الاحتلال الحربى ـ تبنى المؤتمر الدبلوماسى المعقود فى چنيف عام ١٩٤٩م اتفاقية چنيف الرابعة الخاصة بحماية السكان المدنيين فى زمن الحرب (ضمن الاتفاقات الأربعة التى تبناها) وتنص الفقرة الثانية من المادة الثانية من هذه الاتفاقية على أنه «تنطبق الاتفاقية أيضًا فى جميع حالات الاحتلال الجزئى أو الكلى لإقليم أحد الأطراف السامية المتعاقدة، حتى لو لم يواجه هذا الاحتلال مقاومة مسلحة».

وتخصص الاتفاقية القسم الثالث للأحكام الخاصة بالأراضى المحتلة، وتنص المادة ٤٧ على أنه «لا يحرم الأشخاص المحميون الذين يوجدون فى أى إقليم محتل بأى حال ولا بأية كيفية من الانتفاع بهذه الاتفاقية، سواء بسبب أى تغيير يطرأ نتيجة لاحتلال الأراضى على مؤسسات الإقليم المذكور أو حكومته، أو بسبب أى اتفاق يعقد بين سلطات الإقليم المحتل ودولة الاحتلال، أو كذلك بسبب قيام هذه الدولة بضم كل أو جزء من الأراضى المحتلة».

ومن أحكام الاتفاقية:

* استمرار النظام القانونى والقضائى السائد فى الإقليم المحتل (المواد: ٢٣ و٤٦ و٦٤ و ٦٦).

* عدم نقل دولة الاحتلال رعاياها إلى الإقليم المحتل (المادة ٤٩).

* حظر العقاب الجماعى (مادة ٣٣).

* حظر الإبعاد (مادة ٤٩).

* حظر تدمير الممتلكات الخاصة إلا إذا كانت العمليات الحربية تقتضى حتمًا هذا التدمير (مادة ٥٣).

هذا ـ وسوف نتناول مبادئ القانون الدولى الخاصة بحق الشعوب الخاضعة للسيطرة فى تقرير المصير وحقها فى مقاومة الاحتلال فى الفصل العاشر من الباب الرابع.

٤ ـ موقف إسرائيل من اتفاقية جنيف الرابعة

ترفض إسرائيل تطبيق اتفاقية جنيف الرابعة الخاصة بحماية الأشخاص المدنيين فى زمن الحرب فى الضفة الغربية وقطاع غزة، زاعمة أن هذه الاتفاقية تفترض أن الإقليم المحتل كان تابعًا لدولة لها السيادة عليه، فى حين أن الأردن لم تكن لها السيادة الشرعية على الضفة الغربية، وأن مصر لم تدع السيادة على قطاع غزة، وقد استولت الدولتان على الإقليمين نتيجة الحرب العدوانية التى شنتاها على إسرائيل.

ومن الواضح أن هذا تفسير سقيم ومغلوط للاتفاقية، حيث إن الاتفاقية المذكورة لا تتعلق بالسيادة، وإنما تنظم أحكام الاحتلال الحربى فى جميع الحالات على نحو ما نصت عليه المادة ٢/ ٢ المشار إليها فيما سبق.

وبالرغم من أن إسرائيل قد انضمت لهذه الاتفاقية، فإنها تتعلل بأنها لم تصدر التشريع الذى يقضى بتنفيذها، وهى حجة مرفوضة أيضًا، إذ إنه لا يجوز للدولة الاستناد إلى نظامها القانونى للتهرب من تنفيذ التزاماتها الدولية التى تترتب على انضمامها للاتفاقات الدولية.

وقد كان من الطبيعى أن يرفض المجتمع الدولى هذه الحجج الإسرائيلية، وأن تؤكد الأمم المتحدة انطباق اتفاقية جنيف الرابعة على الأراضى الفلسطينية المحتلة ـ بما فيها

القدس ـ وتطالب إسرائيل بتنفيذ أحكامها واعتبار كل الإجراءات التى تتخذها فيها انتهاكًا لأحكامها إجراءات غير مشروعة .

والواقع ، أن إسرائيل قد اتخذت هذا الموقف من الاتفاقية المذكورة لتغطية ممارساتها فى الأراضى العربية المحتلة ، وإطلاق يدها فى تنفيذ سياسة الضم الزاحف لها .

٥ ـ انتهاكات حقوق الإنسان

تتسم معاملة إسرائيل للفلسطينيين بالقسوة البالغة ، وانتهاك المبادئ الإنسانية وحقوق الإنسان المعترف بها فى كافة المواثيق ، بما فيها الإعلان العالمى لحقوق الإنسان ، وأحكام القانون الدولى الإنسانى . وقد سبق لنا الكلام عن الانتهاكات الإسرائيلية للأحكام القانونية التى تحدد طبيعة الاحتلال الحربى ، والقيود على سلطة دولة الاحتلال فى إدارة الإقليم المحتل ، ونكتفى ـ فيما يلى ـ بالإشارة إلى بعض ممارسات إسرائيل فى الأراضى المحتلة من واقع التقرير الذى أعدته منظمة العفو الدولية فى ديسمبر ٢٠٠٦م بمناسبة مرور ست سنوات على اندلاع الانتفاضة الفلسطينية (انتفاضة الأقصى) ضد الاحتلال .

يذكر التقرير فى مقدمته : «إن اتجاهات العنف وانتهاكات حقوق الإنسان الأساسية ، والاستهتار بالقانون الدولى التى ميزت الاحتلال العسكرى الإسرائيلى للضفة الغربية وقطاع غزة طوال ٤٠ عاما أصبحت مستحكمة للغاية ومستمرة . . وقد قتل نحو ٤٠٠٠ فلسطينى معظمهم مدنيون عُزل ، وبينهم قرابة ٨٠٠ طفل على أيدى القوات الإسرائيلية فى عمليات قصف عشوائى ومتهور ، فضلاً عن القصف المدفعى وإطلاق النار من قبل القوات الإسرائيلية على المناطق السكنية المكتظة ومخيمات اللاجئين فى شتى أنحاء الأراضى المحتلة فى السنوات الماضية . . وبالإضافة إلى الخسائر فى الأرواح بين الجانبين ، فقد تعرض الفلسطينيون فى سائر الأراضى المحتلة إلى مجموعة هائلة من انتهاكات حقوق الإنسان ، فقد هدمت القوات الإسرائيلية آلاف المنازل الفلسطينية ، ودمرت مناطق شاسعة من الأراضى المزروعة ، وقسمًا كبيراً من البنية التحتية المدنية بما فيها منشآت الطاقة الكهربائية والطرق والجسور وشبكات المياه

والمجارى والهاتف، كما أن القيود المتزايدة باستمرار والمفروضة على حرية تنقل الفلسطينيين وحركة البضائع سواء داخل الأراضى المحتلة أو منها أو إليها جعلت أى شكل من أشكال الحياة ضربًا من المستحيل.

وتشكل مئات نقاط التفتيش العسكرية وعمليات الحصار، بالإضافة إلى السور/ الجدار الذى تقوم إسرائيل بإنشائه فى شتى أنحاء الضفة الغربية - على الرغم من أن محكمة العدل العليا أعلنت أنه غير قانونى - عائقًا أو مانعًا لوصول الفلسطينيين إلى أراضيهم وأماكن عملهم ومدارسهم ومستشفياتهم وغيرها من المرافق الطبية. أما ما يقرر مسار السور/ الجدار ومواقع نقاط التفتيش العسكرية وعمليات الإغلاق، وهى جميعًا تعيق حركة الفلسطينيين - فهو وجود المستوطنات الإسرائيلية وموقعها، وقد أقيمت هذه المستوطنات لمنفعة المستوطنين الإسرائيليين حصريًا على أرض فلسطينية تم الاستيلاء عليها فى مختلف مناطق الضفة الغربية، وهى غير شرعية بموجب القانون الدولى.. وفى قطاع غزة، وهى المنطقة الوحيدة التى سحب منها المستوطنون الإسرائيليون - فإن الإغلاق الذى تفرضه القوات الإسرائيلية يترك سكان القطاع وعددهم ١٫٤ مليون نسمة مقطوعين ومعزولين عن بقية أجزاء الأراضى المحتلة وعن العالم الخارجى فى معظم الأوقات...».

ويمضى التقرير متحدثًا تفصيليًا عن عمليات الإعدام خارج نطاق القضاء التى ترتكبها إسرائيل، وعن أعمال التدمير المتعمد وغير المبرر للبنية التحتية المدنية والممتلكات على أيدى السلطات الإسرائيلية ذاكرًا أنها تصل إلى حد جريمة الحرب، وعن تضييق الخناق على غزة وفك الارتباط الخادع لها، وحصار مدينة نابلس، وكذا عن السور/ الجدار. كما يعدد أمثلة لانتهاكات إسرائيل للحقوق الاجتماعية والاقتصادية، وعمليات هدم المنازل (أكثر من ٥٠٠٠ منزل) ومئات الورش والمصانع والمبانى العامة وغيرها واقتلاع كروم الزيتون والبيارات وتشريد الآلاف من منازلهم، واعتقالات الفلسطينيين الذين لا يزال أكثر من عشرة آلاف منهم خلف القضبان، ومنع جمع شمل العائلات.

(وتمارس إسرائيل التعذيب فى التحقيقات مع الفلسطينيين والسجناء، وهى الدولة الوحيدة التى أصدرت تشريعًا يبيح التعذيب).

٦ـ سياسة الضم الزاحف للأراضي المحتلة (Creeping Annexation)

(أ) المواقف الإسرائيلية تجاه الأراضي المحتلة

فاقت الانتصارات التى حققتها القوات الإسرائيلية فى حرب ١٩٦٧م كل التوقعات، بما فى ذلك توقعات إسرائيل نفسها، فقد وجدت حدود غزوها تمتد إلى قناة السويس ومرتفعات الجولان وتشمل كافة الأراضى الفلسطينية، وكان عليها أن تتخذ قرارًا بشأن هذه الأراضى العربية الممتدة بملايين سكانها العرب، وذلك بعد أن أعربت فى أعقاب وقف القتال مباشرة عن عزمها على البقاء فى هذه الأراضى التى احتلتها إلى أن يتم الاتفاق بينها وبين كل من الدول المجاورة على حدود جديدة آمنة.

وعلى مدى الاحتلال الطويل للأراضى العربية، لم تحدد إسرائيل تلك الحدود التى تطالب بها وتعتبرها محققة لأمنها، وإنما بدأت فى تثبيت احتلالها وخلق أمر واقع فيها عن طريق إقامة المستوطنات الإسرائيلية بوجه خاص، وذلك بعد أن قامت بضم القدس، وفرض القانون الإسرائيلى على الجولان السورية.

(ب) مشروع إيجال آلون

كان من الواضح أن إسرائيل تطمع فى الاستيلاء على أكبر مساحة من الأراضى العربية المحتلة فى فلسطين وسوريا ومصر، ولكنها كانت ترغب فى الوقت نفسه فى أن تكون مأهولة بأقل عدد من السكان.

وقد وضع إيجال آلون مشروعًا يحقق لها رغبتها بقدر الإمكان، وكان هذا المشروع يقترح ما يلى:

* إنشاء حزام يتراوح عرضه بين ١٠و١٥ كم يمتد على طول وادى نهر الأردن ويضم أقل عدد ممكن من السكان العرب، وتضم إسرائيل أراضيه.

* إنشاء شريط يصل من طريق القدس لأريحا حتى نتوء اللطرون، وتضم إسرائيل أراضيه.

* احتواء صحراء يهودا بأكملها من جبل الخليل حتى البحر الميت ومنطقة النقب داخل إسرائيل .

* ضم قطاع غزة وتوطين اللاجئين خارجه ، سواء فى الضفة الغربية أو فى منطقة العريش .

* ضم القدس الشرقية وتوحيد المدينة تحت السيادة الإسرائيلية .

* ضم إسرائيل لمنطقة رفح وغرب السويس والضفة الغربية للبحر الأحمر جنوبًا من إيلات حتى شرم الشيخ وبناء مطارين قرب الحدود الدولية لمصر .

* ضم الجولان السورية .

(ج) سياسة الحكومات العمالية

بالرغم من عدم المصادقة على مشروع إيجال آلون بصفة رسمية ، اتخذت الحكومات العمالية سياسة استيطانية تهتدى به ، بحيث بدأت بإقامة المستوطنات الإسرائيلية فى المناطق التى يقترح المشروع ضمها لإسرائيل فى التسويات التى تعقدها مع الدول العربية .

واتبع موسى ديان ـ المسئول الأول عن تلك الأراضى ـ سياسة الجسور المفتوحة التى تعنى إتاحة الاتصالات بين سكان الأراضى المحتلة وسكان الدول العربية وخاصة الأردن ـ مع قدر من التقاسم الوظيفى يسمح للحكومة الأردنية بدفع رواتب موظفيها فى الضفة الغربية ، ووضع المسجد الأقصى وقبة الصخرة تحت الإدارة الفلسطينية والإشراف الأردنى .

ومن ناحية أخرى كان ديان راغبًا فى استيلاء إسرائيل على الأراضى التى احتلتها ويرفض مشروع إيجال آلون ، ومن ثم مارس الضغوط على الحكومات العمالية ؛ لكى تواصل النشاط الاستيطانى خارج المناطق التى يقترح المشروع إعادتها للدول العربية ، وبدأت تلك الحكومات بالفعل إقامة المستوطنات فى أماكن متفرقة فى الأراضى المحتلة ، وذلك تحت ضغط قطاع من الرأى العام شكل حركة سميّت «حركة أرض إسرائيل الكاملة» .

وكـان حـزب العـمل الإسـرائيلى يرى الاتفـاق مع الأردن على أسـاس حل وسط إقليمى لتلك الأراضى، وهو ما عرف بالخيار الأردنى.

(د) حركة جوش إيمونيم والليكود

تشكلت فى أعقاب حرب عام ١٩٧٣م حركة أصولية يهودية تتخذ لنفسها شعاراً «أرض إسرائيل لشعب إسرائيل، بحسب توراة إسرائيل». وأقامت الحركة المذكورة تحالفًا مع حكومات الليكود التى تولت السلطة منذ عام ١٩٧٧م، حيث وضعت تلك الحكومات موارد مالية ضخمة تحت تصرف الحركة ودعمت مشاريعها الاستيطانية.

وتؤمن هذه الحركة بالأفكار الدينية اليهودية، وخاصة العقيدة المسيحانية، وفكرة خلاص إسرائيل.

وللحركة منظمتها الاستيطانية الخاصة المسماة (أمناه ـ أى العهد). ولها رابطة للمجالس المحلية فى الضفة الغربية وقطاع غزة تسمى (ييشع ـ أى الخلاص) وهى هيئة شبه رسمية لها مواردها المالية والاقتصادية، وتتدخل مباشرة فى تنفيذ سياسة الدولة فى الأراضى المحتلة. كما أنها تصدر مجلة شهرية باسم (ليكوداه ـ أى نقطة).

وقد حظيت حركة جوش إيمونيم بتأييد وتعاطف من وزراء ونواب الليكود، وخاصة آرييل شارون، وموشى أرينس، وإسحاق موداعى، وموشى نسيم، . . . وغيرهم.

وقد قامت الحركة بنشاط استيطانى مكثف، وخاصة بإقامة مستعمرات يهودية فى أماكن حساسة كثيفة السكان فى الضفة الغربية بهدف ضمان ضمها إلى إسرائيل، والحيلولة دون قيام كيان فلسطينى قابل للحياة.

ومن أوائل المستوطنات التى أنشأتها جوش إيمونيم مستوطنة «إيلون موريه» عام ١٩٧٣م بهدف تأسيس مستعمرة يهودية فى قلب منطقة السامرة (شمال الضفة) ذات الكثافة السكانية العالية، فى تحد لسياسة حكومة العمل، وقد أصدرت المحكمة العليا الإسرائيلية فى ٢٢ أكتوبر ١٩٧٩م حكمًا يقضى بإزالة المستعمرة مؤكدة أن القانون الدولى يحظر مصادرة الممتلكات الخاصة من أجل الاستيطان، الأمر الذى أثار ثائرة

الحركة المذكورة، ولكن حكومة الليكود اضطرت إلى الامتثال للحكم، ووضعت تحت تصرف الحركة قطعة أرض أخرى، وقررت توسيع نطاق الاستيطان فيما اعتبرته أراضى الدولة.

وقد قدمت الحركة المذكورة إلى مناحيم بيجين عام ١٩٧٨م مشروعها القاضى بإقامة ١٢ مستوطنة جديدة بالضفة الغربية، وفى عام ١٩٨٠م قدمت خطتها الاستيطانية الثانية لإقامة ١٥ مستوطنة أخرى وتوسيع عدد من المستوطنات، وذلك بهدف توطين ما بين ٧٥٠ ألفًا إلى مليون مستوطن فى الضفة الغربية لتحقيق عدة أهداف من بينها المحافظة على عمق البلاد من نهر الأردن وحتى السهل الساحلى، والسيطرة على سلسلة الجبال فى الضفة، والسيطرة على وادى الأردن.

(هـ) خطط الاستيطان

فى عام ١٩٧٩، أقرت المنظمة الصهيونية مشروع متتياهو دروبلس الذى أطلق عليه اسم «المشروع الرئيسى لتنمية الاستيطان فى يهودا والسامرة» واستهدف المشروع إقامة ٧٠ مستوطنة مجتمعية مدنية خلال خمس سنوات، وتكثيف المستوطنات القائمة، وزيادة عدد المستوطنين ليبلغ ما بين ١٢٠و١٥٠ ألف مستوطن، بحيث يتم توزيع المستوطنات على مواقع إستراتيجية. وقد عدلت الخطة عام ١٩٨٢م لزيادة عدد المستوطنين إلى ١ر٣ مليون بحلول عام ٢٠١٠م.

ووضع شارون خطة تسمى العمود الفقرى المزدوج، وتقضى بإقامة قطاع استيطانى يقطع الضفة الغربية من شمالها إلى جنوبها، ويشمل كل الجناح الشرقى للضفة تمتد منه قطاعات عرضية واسعة لتحقيق عدة أغراض هى: إقامة اتصال استيطانى مباشر بين القطاع الشرقى وإسرائيل، وتركيز الاستيطان فى الحواف الغربية للمرتفعات الشمالية بالضفة، وعزل التجمعات العربية عن بعضها بقطاعات يهودية وتطويقها (بما يشمل تطويق مدن نابلس ورام الله وطريق القدس/ أريحا ومدينة الخليل ومدينة بيت لحم). وقد تولى شارون تنفيذ خطته عندما تولى منصب وزير الزراعة ورئيس اللجنة الوزارية العليا لشئون الاستيطان عام ١٩٧٧م، وفى المناصب

الأخرى التى تولاها ومنها رئاسة الحكومة، كما أنه وجه نداء للإسرائيليين بإقامة المستوطنات فى الأماكن الجبلية، الأمر الذى أدى إلى إقامة عدد كبير من البؤر الاستيطانية العشوائية.

ومن الصعب معرفة العدد الحالى للمستوطنات الإسرائيلية، حيث لا يعلن عن كثير من العمليات الاستيطانية، وإن كانت الضفة أصبحت مقسمة إلى ثلاثة كانتونات غير متصلة، تربط بينها الطرق الالتفافية المخصصة لاستخدام الإسرائيليين.

(و) خطة تطوير القدس الكبرى

قامت إسرائيل بضم مدينة القدس الشرقية عقب احتلالها فى يونيو ١٩٦٧م. حيث أصدر الكنيست فى ٢٥ من ذلك الشهر قانونًا يسمح بفرض القانون والإدارة الإسرائيليين على أى أجزاء كانت من أرض إسرائيل التاريخية، وتخويل وزير الداخلية سلطة توسيع الحدود البلدية للقدس، وأصدر الوزير قراراً يقضى بمد حدود المدينة بما يشمل ٢٨ قرية وبلدة فلسطينية (مراعيًا استبعاد ما بها كثافة سكانية)، وتم توحيد شطرى المدينة وإزالة الحواجز بينهما.

كما استولت إسرائيل على حى المغاربة المواجه لحائط البراق (حائط المبكى) وأزالته وقامت بتوسيع الساحة المواجهة للحائط، ومصادرة الأراضى المحيطة بالقدس الشرقية، وأقامت حزامًا من المستوطنات يحيط بها من كل جانب.

وفى ٣٠ يوليو ١٩٨٠م، أصدر الكنيست قانونًا أساسيًا باعتبار القدس الموحدة عاصمة لإسرائيل.

وفى عام ١٩٨٣م، كشف النقاب عن خطة لتطوير منطقة القدس، بإقامة المزيد من المستوطنات (١٥ مستوطنة خلال عامين) وشق عدد من الطرق المركزية لربط القدس بشبكة من المواصلات بقصد إقامة «القدس الكبرى».

وقررت حكومة نتنياهو (١٩٩٦/ ١٩٩٩م) البدء بإنشاء مستوطنة حارحوما على

جبل أبى غنيم ببناء ٦٥٠٠ وحدة سكنية على مساحة ٢٠٥٨ دونمًا مع توسيع مستوطنة معالى أدوميم شرقًا لتحقيق التواصل الإقليمى مع القدس وفصل «القدس الكبرى» عن بقية أراضى الضفة الغربية.

وواصلت الحكومات التالية تنفيذ الخطة المذكورة بتوسيع الحدود البلدية للقدس، وإتمام فصلها عن أراضى الضفة بإقامة المزيد من المستوطنات، فضلاً عن الاستيطان فى البلدة القديمة، وإسكان اليهود فى أحيائها الفلسطينية لإتمام عملية تهويدها، مع التضييق على السكان الفلسطينيين بإلغاء تصاريح إقامتهم وهدم المنازل التى يقيمونها بحجة عدم الحصول على تراخيص بالبناء.

(ز) إقامة الجدار العازل

ترجع فكرة الفصل بين الإسرائيليين والفلسطينيين إلى إسحاق رابين الذى رأى فيه وسيلة لمنع هجمات الفلسطينيين، وقد تبنى شارون الفكرة ومضى فى تنفيذها بهدف اقتطاع مزيد من الأراضى الفلسطينية من جهة، ورسم حدود بين إسرائيل والكيان الفلسطينى من جهة أخرى، وذلك تنفيذاً لمشروعه الخاص بعقد اتفاق مرحلى طويل الأجل بين الجانبين، الأمر الذى يمكن إسرائيل من التهرب من تسوية قضايا الوضع الدائم، وخاصة الحدود النهائية، والقدس، واللاجئين بإرجاء التفاوض بشأنها زمنًا طويلاً مما يؤدى إلى إسقاطها.

وادعى شارون أن الجدار ذو طبيعة مؤقتة، وأنه أقيم لاعتبار أمنى هو منع الاعتداءات الفلسطينية على الإسرائيليين.

وقد أوضح سكرتير عام الأمم المتحدة فى تقريره المقدم إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة فى نوفمبر ٢٠٠٣م الأضرار الخطيرة للجدار على الأوضاع الاقتصادية والأمنية والإنسانية للفلسطينيين.

وأدانت محكمة العدل الدولية إقامة الجدار المذكور فى فتواها الصادرة فى ٩/ ٧/ ٢٠٠٤م، واعتبرته عملاً غير مشروع، ومخالفًا لمبادئ القانون الدولى، وطالبت إسرائيل بإزالته.

(ح) الانسحاب من قطاع غزة وخطة الانطواء

قام آرييل شارون بتنفيذ خطته للانسحاب من قطاع غزة وتصفية المستوطنات الإسرائيلية فيه، وذلك من جانب واحد ودون الاتفاق مع الجانب الفلسطينى، وسميت هذه الخطة بخطة الانطواء.

وإذا كان هذا الانسحاب يبدو غريبًا من شخص مثل شارون عرف طوال تاريخه بأنه رائد الاستيطان فى الأراضى الفلسطينية المحتلة، فإن هذا الإجراء جزء من إستراتيچية استهدف منها رسم الحدود الإسرائيلية من جانب واحد، تنفيذًا لخطته المشار إليها فى البند السابق، وذلك بعد أن قدّر أن الانسحاب الإسرائيلى من قطاع غزة يحقق لإسرائيل مزايا أمنية واقتصادية، فضلاً عن التأثير الإيجابى السياسى والدعائى على المستوى الدولى، وخاصة لدى الولايات المتحدة التى اعتبرته تحريكًا لعملية السلام المتوقفة.

ومع ذلك، فإن إسرائيل لا تزال تفرض الحصار على القطاع برًا وبحرًا، وتواصل التوغل فيه واعتداءاتها عليه وتشن الغارات الجوية وخاصة لاغتيال قادة المقاومة الفلسطينية بالصواريخ التى تطلقها طائراتها.

* * *

الفصـــل الثامــن

نسف عملية السلام

١ ـ مؤتمر مدريد للسلام

وجهت الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي الدعوة إلى سوريا ولبنان والأردن والفلسطينين (للمشاركة بوفد أردنى/ فلسطينى مشترك) وإسرائيل لحضور مؤتمر يعقد فى مدريد يوم ٣٠ أكتوبر ١٩٩١م، وذلك للتفاوض على أساس قرارى مجلس الأمن رقمى ٢٤٢و٣٣٨، وعلى أن يتم التفاوض بشأن القضية الفلسطينية على مرحلتين: الأولى للاتفاق على فترة انتقالية مدتها خمس سنوات يطبق خلالها نظام للحكم الذاتى الفلسطينى، والثانية ـ بعد عامين ـ للاتفاق على الوضع النهائى للضفة الغربية وقطاع غزة، على أن تجرى بالتوازى مع هذه المفاوضات مفاوضات متعددة الأطراف تشارك فيها مع أطراف النزاع دول أخرى، وذلك للاتفاق على المسائل المتعلقة بمنطقة الشرق الأوسط ككل (الأمن ـ التنمية الاقتصادية ـ البيئة ـ اللاجئين . . إلخ).

وقد قبلت الأطراف العربية الشروط التى تضمنتها الدعوة - والتى فرْضتها حكومة إسحاق شامير ـ بسبب ضعف موقف العرب عقب الغزو العراقى للكويت، ومن هذه الشروط أن يتم التفاوض المباشر فى مسارات مستقلة بين إسرائيل وكلٍّ من الأطراف العربية، كما أن منها حرمان منظمة التحرير الفلسطينية من المشاركة وتشكيل الوفد الفلسطينى (ضمن الوفد المشترك مع الأردن) من أهالى الضفة والقطاع دون القدس.

وقد تعثرت المفاوضات التى عقدت فى واشنطن، ولكن منظمة التحرير الفلسطينية

وإسرائيل تمكنتا من التوصل - من خلال قناة سرية فى أوسلو - إلى اتفاق لإعلان المبادئ[1] .

٢ - اتفاقات أوسلو

نص إعلان المبادئ - الموقع فى ١٣/ ٩/ ١٩٩٣م - على إنسحاب إسرائيلى من غزة وأريحا وإعادة انتشار القوات الإسرائيلية تدريجيًا فى الضفة الغربية، كما تضمن إقامة سلطة فلسطينية للحكم الذاتى، ومبادئ خاصة بدور كلٍّ من هذه السلطة وإسرائيل بالنسبة للأمن، وكذا تأجيل التفاوض بشأن قضايا الوضع النهائى (القدس - الحدود - المستوطنات - اللاجئين - الترتيبات الأمنية - العلاقات مع الدول المجاورة) إلى المرحلة الثانية التى تبدأ بعد مضى عامين.

وواصل الطرفان المفاوضات بصعوبة بالغة (بسبب مماطلة حكومة رابين وإجراءاتها القمعية) إلى أن عقدا الاتفاقية الانتقالية فى ٢٨/ ٩/ ١٩٩٥م، والتى قسمت الضفة إلى ٣ مناطق (المنطقة «أ» حيث تتولى السلطة الفلسطينية مسئولية الإدارة والأمن - والمنطقة «ب» والتى تمارس فيها السلطة مسئولية الإدارة دون الأمن - والمنطقة «ج» التى تتولى فيها إسرائيل كل المسئوليات)، كما تضمنت نصوصًا بشأن إعادة الانتشار التدريجى للقوات الإسرائيلية فى الضفة (دون تحديد توقيتات زمنية واضحة).

٣ - مقتل إسحاق رابين والانحراف نحو اليمين

لا شك أن اغتيال إيجال أمير لإسحاق رابين كان من تأثير حملة اليمين والأصولية التى شنها أنصارهما عليه بسبب عقد الاتفاقية الانتقالية مع الفلسطينيين فى سبتمبر ١٩٩٥م.

وقد ذكر القاتل فى التحقيقات التى أجريت معه: «لم أكن لأفعل ذلك إلا بسبب التزامى الدينى بالدفاع عن أرض إسرائيل ضد المذنب رابين كما أوضحه عدة حاخامات. . لقد فعلته لوجه الله والشعب والبلد».

---

(١) كان المؤلف مستشارًا للوفد الفلسطينى فى المفاوضات التى عقدت فى واشنطون على مدى سنتين عقب مؤتمر مدريد وظل يعمل مع الوفد حتى توقيع اتفاق غزة / أريحا، دون مشاركته فى مفاوضات أوسلو.

والواقع، أن المجتمع الإسرائيلى قد انحرف منذ ذلك الوقت انحرافًا حادًا نحو اليمين والأصولية اليهودية، وتصاعدت المعارضة لاتفاقات أوسلو، وفى عام ٢٠٠٠ شن شارون وغيره من زعماء اليمين حملة ضارية ضد ما اعتبروه تنازلات خطيرة من جانب إيهود باراك فى مفاوضات كامپ ديڤيد (٢)، الأمر الذى أدى إلى سقوط حكومته.

٤ ـ نسف شارون لعملية السلام

فى ٤ نوڤمبر ١٩٩٥م، دفع إسحاق رابين حياته ثمنًا لعملية السلام، وتولى الحكم بعده شيمون پيريس ـ الذى أجريت فى عهده الانتخابات التشريعية الفلسطينية وانتخاب ياسر عرفات رئيسًا ـ وفاز نتنياهو فى الانتخابات التالية وأوقف تنفيذ اتفاقات أوسلو إلا من عقد اتفاق بشأن مدينة الخليل وآخر بشأن إعادة انتشار محدود (اتفاق واى ريفر). وبعد أن سقطت حكومته، تولى إيهود باراك الحكم وطلب إلى الرئيس الأمريكى بيل كلينتون عقد مؤتمر فى كامب ديڤيد للتفاوض مع ياسر عرفات بشأن الوضع النهائى للضفة والقطاع، ولكن المفاوضات فشلت وتسببت زيارة آرييل شارون الاستفزازية للحرم القدسى إلى انفجار انتفاضة الأقصى. وقد ضاعفت الانتفاضة من معارضة الإسرائيليين لعملية السلام.

وتولى شارون الحكم. وقام بنسف عملية السلام تمامًا. فأعلن انتهاء اتفاقات أوسلو، وقام بعرقلة كافة المحاولات لاستئناف العملية السلمية باشتراط توقف كافة أعمال العنف قبل البدء فيها، ومن ثم رفض توصيات لجنة ميتشل، والچنرال زينى، والنقاط الأمنية لتينيت وكانت كلها محاولات لدفع عملية السلام.

وقد وجد شارون فى الرئيس چورج بوش الابن حليفًا يدعم كل مواقفه وممارساته القمعية (وخاصة منذ أحداث ١١ سپتمبر ٢٠٠١م)، حيث وافقه على اعتبار انتفاضة الأقصى أعمالاً إرهابية (وليست من قبيل المقاومة الشرعية للاحتلال).

وفى ٢٤/ ٦/ ٢٠٠٢م، أعلن بوش مبادرة عن إقامة دولتين إسرائيلية وأخرى فلسطينية يعيشان بسلام جنبًا إلى جنب.

وشكلت رباعية دولية من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبى وروسيا والأمم المتحدة لتنفيذ «رؤية بوش»، وأعدت ما عرف بخريطة الطريق لتسوية النزاع على مراحل (وتشمل الأولى وقف جميع أعمال العنف، ووقف جميع أشكال الاستيطان الإسرائيلى والقيام بإصلاحات فلسطينية، أما المرحلة الثانية فتتضمن إقامة دولة فلسطينية ذات حدود مؤقتة. وتتضمن الأخيرة التفاوض على قضايا الوضع النهائى وإنهاء النزاع العربى الإسرائيلى) وقدم شارون ١٤ تحفظًا على خريطة الطريق. (ومن هذه التحفظات: أن يقوم الجانب الفلسطينى فى المرحلة الأولى بحل جميع المنظمات الإرهابية (حماس والجهاد وغيرهما) وجمع أسلحتها وتدميرها - وعدم الانتقال إلى المرحلة الثانية قبل الوقف الكامل للعمليات الإرهابية وإسناد آلية الرقابة على التنفيذ للولايات المتحدة - واعتراف الجانب الفلسطينى بحق إسرائيل فى الوجود كدولة يهودية والتخلى عن حق عودة اللاجئين).

وظلت عملية السلام متوقفة، وقام شارون بإجراء أحادى بالانسحاب من قطاع غزة وتصفية المستوطنات فيه. وبدأ العمل فى إقامة الجدار العازل بالضفة الغربية.

وواضح أن الهدف الذى كان يسعى إليه شارون هو اعتبار الجدار العازل هو الحدود «المؤقتة» لها، وتفادى التفاوض بشأن الحدود النهائية والقدس واللاجئين وغيرها من قضايا الوضع النهائى تنفيذًا لفكرته عن التسوية الانتقالية طويلة الأجل.

هذا ولا شك فى أن أفكار آرييل شارون ومواقفه تعكس إستراتيجية الصهيونية وأهدافها ووسائلها التى تحدثنا عنها فى الباب الثالث.

وقد اتسم تاريخ شارون العسكرى والسياسى بعدائه الشديد للعرب، وللفلسطينيين بوجه خاص، حيث تميزت اعتداءاته عليهم بالقسوة البالغة والاستخدام المفرط للقوة العسكرية.

كما أنه يعد رائد الاستيطان فى الأراضى العربية المحتلة، وإذا كان قد لجأ إلى الانسحاب من قطاع غزة، فإنما يدخل ذلك فى إطار إستراتيجيته التى تقوم على أساس رسم حدود لإسرائيل من جانب واحد، ومن ثم أقام الجدار العازل فى الضفة الغربية

للاحتفاظ بالكتل الرئيسية للمستوطنات فيها، مع المحافظة على الطابع اليهودى لدولة إسرائيل بتقليصها عدد السكان الفلسطينيين فيها إلى أدنى حد، وهو يستهدف بفكرة عقد تسوية انتقالية طويلة الأجل مع الجانب الفلسطينى (لمدة ١٠ إلى ٢٠ عامًا) دون الدخول فى مفاوضات الوضع النهائى إسقاط قضايا القدس والحدود الدائمة واللاجئيين . . إلخ مع مضى الزمن ومواصلة إسرائيل التغييرات فى الأراضى المحتلة .

* * *

الفصل التاسع

المواقف الإسرائيلية من قضايا الوضع النهائى

حدد اتفاق إعلان المبادئ فى ١٣ سبتمبر ١٩٩٣م القضايا التى يجرى التفاوض عليها لعقد التسوية النهائية، وهى: الحدود ـ والقدس ـ واللاجئون ـ والمستوطنات ـ والأمن ـ والعلاقات مع الدول المجاورة (مادة ٥).

ونستعرض ـ فيما يلى ـ مواقف إسرائيل من هذه القضايا تحقيقًا لأهدافها الصهيونية[١]:

١ ـ الحدود

تقدمت المنظمة الصهيونية العالمية فى ٢ فبراير ١٩١٩م بمذكرة إلى المجلس الأعلى لمؤتمر السلام بباريس، أوضحت فيها الحدود التى تطالب بها لإقامة الدولة اليهودية فى فلسطين، بحيث تكون على النحو التالى:

* أن تتضمن الأراضى اللبنانية الواقعة ضمن خط صيدا/ القرعون/ بيت جن.
* الاستيلاء على أكبر نسبة ممكنة من مياه نهر الليطانى.
* الاستيلاء على أجزاء جنوب سوريا.
* الاستيلاء على الأراضى الخصبة شرق الأردن.

(١) انظر كتابنا: مفاوضات التسوية النهائية والدولة الفلسطينية (دار الشروق).

* الاستيلاء على الجزء الشمالى الغربى من الحجاز غرب الخط الحديدى الحجازى حتى مدخل خليج العقبة وتلك الممتدة بين المدينة المنورة وأقصى الشمال الحجازى .

* الاستيلاء على أجزاء من سيناء بالاتفاق مع الحكومة المصرية (كانت مصر تحت الحماية البريطانية) .

* أوضحت المذكرة أن الدولة اليهودية يجب أن تكون واسعة بحيث تكفى لتهجير اليهود من كافة أنحاء العالم إليها ، وأن تسيطر على مصادر المياه لتكون قابلة للحياة .

وقد راعت بريطانيا فى رسم حدود فلسطين مع جاراتها العربية توسيع رقعة فلسطين على حساب تلك الدول ، وذلك فى المفاوضات التى أجرتها مع فرنسا (دولة الانتداب على سوريا ولبنان) .

واضطرت المنظمة الصهيونية إلى قبول الحدود التى رسمها قرار التقسيم عام ١٩٤٧م للدولة اليهودية ، وذلك بصفة مرحلية لحين التمكن من توسيع رقعة هذه الدولة .

وأعلن بن جوريون قيام دولة إسرائيل دون تعيين حدودها ، وصرح بأن حدود هذه الدولة ستكون حيث يصل جنودها . وحاول فى حرب السويس أن يستولى على سيناء وقطاع غزة .

وبعد أن تمكنت إسرائيل عام ١٩٦٧م من الاستيلاء ، على كل الأراضى الفلسطينية وعلى الجولان السورية وسيناء وجدت إسرائيل أن الفرصة متاحة لإقامة إسرائيل الكبرى والتوسع فى معظم الأراضى العربية المحتلة .

وكانت المشكلة التى واجهت إسرائيل هى المشكلة السكانية الفلسطينية . فإسرائيل تريد أرضًا خالية من السكان العرب لتتوسع فيها ، خاصة وأن نسبة تزايد هؤلاء السكان عالية إلى حد توقع أن تكون لهم الأغلبية فى وقت قريب إذا ما قامت إسرائيل بضم الأراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧م .

لذا تقدم إيجال آلون بمشروعه الذى يحدد الأراضى التى تقتطعها إسرائيل وتضمها إليها وتعيد بقيتها إلى الدول العربية . ورغم عدم اعتماد هذه الخطة بصفة رسمية ، سارت الحكومة العمالية على هديها فى بناء المستوطنات اليهودية ، إلا أنها ما لبثت أن تجاوزتها ،

وأخذت تقيم المستوطنات فى غيرها من مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان، ثم كثفت حكومات الليكود من بناء المستوطنات فى كل أنحاء الأراضى العربية تحت ضغط اليمين الإسرائيلى والأصولية اليهودية، وخاصة حركة جوش إيمونيم.

وأصبحت المستوطنات عاملاً أساسيًا فى تحديد موقف إسرائيل من رسم حدود الدولة فى مفاوضات الوضع النهائى التى عقدت فى مؤتمر كامپ ديڤيد فى يوليو عام ٢٠٠٠م، حيث اقترحت ضم كتل المستوطنات إليها ضمن حوالى ٥ إلى ١٠٪ من أراضى الضفة الغربية (مقابل التنازل عن ٢٪ من أراضى النقب جنوب قطاع غزة).

كما مضت إسرائيل فى إقامة الجدار العازل بهدف رسم حدود الضفة التى تستولى عليها خلف الجدار، بحيث لا يبقى من الضفة فى أيدى الفلسطينيين سوى حوالى ٤٠٪ منها. أما قطاع غزة، فقد انسحب آرييل شارون منه من جانب واحد، وفرض عليه الحصار من الخارج.

وقد سبقت الإشارة إلى أفكار شارون فى هذا الشأن.

٢ـ القدس

تتمسك إسرائيل بضم القدس الشرقية وتوحيدها مع القدس الغربية وتوسيع حدودها وتقليص عدد سكانها الفلسطينيين؛ لتكون عاصمة إسرائيل الأبدية.

وتعتبر إسرائيل القدس (أورشاليم) أقدس المدن باعتبارها المدينة التى استولى عليها داود من اليبوسيين، وأصبحت تسمى باسمه واتخذ منها عاصمة لدولته، وبها جبل الهيكل، حيث بنى سليمان هيكل الرب، الذى تسعى للبحث عن آثاره وتنوى بناءه من جديد، وبها حائط المبكى والحوض المقدس وقبر داود.. إلخ. وقد خلعت الكتابات الدينية اليهودية على القدس طابعًا فريدًا، فهى ـ فى هذه الكتابات ـ «تحوى تسعة أعشار الجمال فى العالم ومن يعش فيها يؤت الحكمة، بل هى مركز العالم وسرة الأرض، ولن يدخل الإله القدس ملكوته السماوية قبل أن يدخل القدس الأرضية».

ومع ذلك، فإن للمدينة قدسيتها لدى المسيحيين أيضًا، فهى التى شهدت دعوة المسيح ومحاوراته مع اليهود، كما شهدت صلبه وقيامته، وبها مقبرته وطريق الآلام

الذى سار فيه حاملاً صليبه . وبها كذلك كنيسة القيامة وغيرها من الكنائس التى يحج إليها المسيحيون .

وهى كذلك مدينة مقدسة فى الإسلام، فهى أولى القبلتين وثالث الحرمين والمدينة التى أسرى منها محمد إلى السماء، والتى تحوى المسجد الأقصى الذى بناه عبد الملك ابن مروان وقبة الصخرة التى تعد آية من فن العمارة الإسلامية، وبها قبور عدد من الصحابة والتابعين .

ولا يمكن إغفال الطابع العربى الإسلامى للقدس بمبانيها وطرقها ومدارسها وأسواقها التى تحكى تاريخها فى ظل الدولة الإسلامية .

ومع ذلك، فإن إسرائيل تتمسك بفرض سيادتها على القدس بجميع أجزائها : الغربية التى استولت عليها عام ١٩٤٨م والشرقية والبلدة القديمة اللتين استولت عليهما عام ١٩٦٧م، وسارعت إلى ضم القدس وتوحيدها واعتبارها العاصمة الأبدية لدولة إسرائيل .

وقد تحطمت مفاوضات كامب ديفيد (٢) على صخرة القدس، حيث طالبت إسرائيل بفرض سيادتها حتى على المسجد الأقصى ولم تتنازل إلا بقبول السيطرة الفلسطينية على الأحياء العربية فى القدس القديمة .

ومنذ احتلال إسرائيل للقدس الشرقية، بدأت تحيطها بحلقة من المستوطنات، وتصادر الأراضى الفلسطينية، وتوسع من حدودها البلدية وتربط بينها وبين بقية المستوطنات بعدد آخر منها لتفصل بين «القدس الكبرى» وبين بقية أراضى الضفة الغربية على نحو ما سبق بيانه .

ومن ناحية أخرى، عملت إسرائيل على تقليص عدد السكان الفلسطينيين فى القدس باتخاذ عدد من التشريعات والإجراءات لإلغاء تصاريح إقامتهم فيها وهدم منازلهم بحجة البناء بغير ترخيص .

وكانت الأمم المتحدة قد وضعت ـ بقرار التقسيم رقم ١٨١ ـ نظاما خاصًا للقدس يتضمن تدويل منطقة القدس وما حولها واعتبارها «منطقة منفصلة ـ Corpus Separatum» تتمتع باستقلال واسع فى الحكم والإدارة، ويحكمها حاكم يعينه مجلس

الوصاية وإلى جانبه مجلس تشريعى منتخب، ويكون لها قضاؤها المستقل، وعلاقاتها مع الدولتين العربية واليهودية، كما يكون لسكانها جنسية مستقلة. غير أن إسرائيل لم تقبل هذا النظام وبادر بن جوريون بنقل الوزارات والكنيست إليها، وإعلانها عاصمة للدولة (كما لم يقبل الأردن تدويل القدس وقام بضم القدس الشرقية).

وبالرغم من تغاضى الأمم المتحدة عن تنفيذ قرار تدويل القدس، فإنها ظلت متمسكة بأن القدس الشرقية أرض محتلة، وتنطبق بشأنها اتفاقية چنيف الرابعة، ويعتبر كل ما قامت به إسرائيل من إجراءات قانونية (كقرار اعتبارها عاصمة لإسرائيل) وجغرافية (بناء المستوطنات ومصادرة الأراضى) وسكانية (طرد الفلسطينيين) وإدارية وغيرها إجراءات باطلة وغير مشروعة.

ومن ناحية أخرى، قام المتطرفون اليهود بالتعدى على المسجد الأقصى ومحاولة الصلاة فيه (وأقرت ذلك المحكمة العليا الإسرائيلية) كما حاولوا عدة مرات نسف المسجد، وشكلت عدة جمعيات إرهابية للدفاع عن «جبل الهيكل» والاستيلاء على الحرم القدسى وفرض السيادة الإسرائيلية عليه وإعادة بناء الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى ومنها منظمة جبل الهيكل وحركة كاخ وحركة كاهاناحىّ.

٣ـ اللاجئون

خلال عامى ١٩٤٧ و١٩٤٨م. فر حوالى ٧٥٠ ألف فلسطينى تحت رصاص الجنود الإسرائيليين وخوفًا من المذابح التى ارتكبها اليهود فى دير ياسين وغيرها.

وفى ١١ ديسمبر ١٩٤٨م، أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها رقم ١٩٤ متضمنًا عودة اللاجئين الراغبين فى العودة وتعويض غير الراغبين، وكذا التعويض عن الأضرار المادية والمعنوية لكل اللاجئين.

وفى عام ١٩٦٧م، فر حوالى ١٠٠ ألف فلسطينى بسبب الحرب وقرر مجلس الأمن عودتهم (قراره رقم ٢٣٧ فى ١٤ يونيو ١٩٦٧م).

وقد اتخذت إسرائيل منذ عام ١٩٤٨م موقفًا صارمًا يرفض عودة أى لاجئ فلسطينى إلى بيته وممتلكاته وأسكنت فيها المهاجرين واستولت عليها)، وذلك بزعم أن فرار اللاجئين كان تلبية لدعوة القادة العرب، الأمر الذى أثبتت التحقيقات

عدم صحته. وكل ما قامت به إسرائيل هو قبول أعداد ضئيلة فى إطار ما سمته جمع شمل العائلات، فضلاً عن عدد محدود من نازحى حرب ١٩٦٧م.

وتدعى إسرائيل أنه حدث نوع من المقاصة بين يهود الدول العربية الذين هاجروا إليها وبين اللاجئين الفلسطينيين، وواضح أنه لا يمكن تحميل الفلسطينيين تبعة هجرة يهود الدول العربية الطوعية إلى إسرائيل.

أما الأمم المتحدة، فقد دأبت على إصدار قرارات سنوية تؤكد ضرورة تنفيذ القرار رقم ١٩٤، وأنشأت وكالة غوث اللاجئين التى تقدم معونات إنسانية لهؤلاء اللاجئين - تكاد تصل إلى حد الكفاف - وتعتمد فى تمويلها على معونات الدول.

هذا، وتطالب إسرائيل بأن تكون عودة اللاجئين إلى الدولة الفلسطينية فى حالة إنشائها. وتؤيدها فى ذلك الولايات المتحدة. وجدير بالذكر أن ثمة دراسة فلسطينية (لسلمان أبو سنة) تدل على إمكان استيعاب إسرائيل لكل اللاجئين الفلسطينيين فى أماكن منها لا تزال تسمح بتوطينهم فيها. ولا يمنع من تنفيذ هذا المشروع إلا تمسك إسرائيل بالطابع اليهودى للدولة(١).

٤ - المستوطنات (المستعمرات)

الاستيطان هو أداة الصهيونية للاستيلاء على الأراضى الفلسطينية. فهو الوسيلة التى تبناها المؤتمر الصهيونى الأول عام ١٨٩٧م، وهو الذى لجأت إليه الوكالة اليهودية لبناء الدولة على أجزاء من تلك الأراضى، ثم مضت فيه إسرائيل بعد إقامتها، واستمرت فى بناء المستوطنات فى الأراضى العربية التى احتلتها عام ١٩٦٧م بقصد ضمها إلى إسرائيل فى حالة عقد تسويات مع الدول العربية.

وكما سبقت الإشارة كان التفكير المبدئى للحكومات العمالية عقب حرب ١٩٦٧م هو إقامة المستوطنات فى المناطق التى تنوى ضمها إلى إسرائيل، وكانت تستهدى بمشروع وضعه إيجال آلون يحدد تلك المناطق.

وتحت ضغط موشى ديان وغيره وقطاعات من الرأى العام الإسرائيلى، بدأت تلك الحكومات تقيم المستوطنات خارج المناطق المذكورة وحتى فى المناطق المأهولة بالسكان

---

(١) د. سلمان أبو ستة: حق العودة، (المركز القومى للدراسات والتوثيق).

الفلسطينيين، ثم جاءت حكومة الليكود لتكثف النشاط الاستيطانى، وتحيط المدن والقرى الفلسطينية بالمستوطنات اليهودية، وتحقق الاتصال بين الأخيرة وبينها وبين إسرائيل بشق الطرق الالتفافية، وذلك بهدف الحيلولة دون انفصالها فى أية تسوية مستقبلية للنزاع (انظر ما تقدم فى الفصل السابع من الباب الرابع).

وقد لجأت إسرائيل إلى وسائل متعددة للاستيلاء على الأراضى الفلسطينية من أجل إقامة المستوطنات: منها الاستيلاء على أراضى الغائبين ـ وعلى الأراضى المسجلة باسم الحكومة الأردنية ـ وتلك التى تعلن الاستيلاء عليها لأغراض عسكرية أو إغلاقها للتدريب. وأخيراً، قررت حكومة الليكود عام ١٩٧٧م اعتبار كل الأراضى الفلسطينية أرضًا مملوكة للدولة ما لم تثبت ملكيتها لآخرين، وكانت تصادر حتى الأراضى المملوكة ملكية خاصة.

ويمثل بناء المستوطنات الإسرائيلية فى الأراضى العربية المحتلة انتهاكًا صارخًا للقانون الدولى، حيث تنص المادة ٤٩ من اتفاقية جنيف الرابعة على: «أن على دولة الاحتلال ألا تبعد أو ترحل أجزاء من سكانها المدنيين إلى الإقليم الذى تحتله»، فضلاً عن أنه من الواضح أن بناء المستوطنات فى الأراضى المحتلة وسيلة غير مشروعة للاستيلاء على هذه الأراضى رغمًا عن أصحابها الشرعيين، وكانت إسرائيل تدعى أن عملية الاستيطان لا تحول دون الاتفاق فى أية تسوية نهائية على تصفية المستوطنات، إلا أن مواقفها أثبتت أنها أقيمت كجزء من مخططات إسرائيل لضمها إليها ورسم حدودها، وقد انتهى بها الأمر إلى تصفية المستوطنات من قطاع غزة (بقرار أحادى من قبل حكومة آريل شارون)، وإقامة جدار عازل بطول الضفة الغربية يحيط بالمستوطنات وأجزاء أخرى من الأراضى الفلسطينية، وذلك بهدف محاولة الاتفاق مع الفلسطينيين على دولة ذات حدود مؤقتة.

وكعادتها، ضربت إسرائيل عرض الحائط بقرارات الأمم المتحدة التى تعتبر المستوطنات المذكورة غير شرعية، وتطالب بإزالتها، وبتطبيق اتفاقية جنيف الرابعة فى الأراضى العربية المحتلة، ومنها القدس.

وتتمسك إسرائيل بضم الكتل الرئيسية للمستوطنات فى الضفة فى التسوية النهائية.

أما عن موقف الولايات المتحدة من تلك المستوطنات، فقد أخذ فى التآكل تدريجيًا. فبعد أن أكد المستشار القانونى هيربرت هانزيل لوزير الخارجية سيروس ڤانس فى تقريره بتاريخ ٢١/ ٤/ ١٩٧٨م عدم شرعية المستوطنات المذكورة لمخالفتها أحكام لائحة لاهاى لعام ١٩٠٧م واتفاقية چنيڤ الرابعة لعام ١٩٤٩م، وبعد أن ظل الرئيس كارتر يعتبرها غير شرعية، إذا بالرئيس رونالد ريجان يذهب إلى أنه من الخطإ اعتبارها غير شرعية وإن كانت عملا استفزازيًا لا ضرورة له. وكان موقف الرئيس بوش الأب حازمًا عندما تمسك بأن يوقف إسحاق شامير الاستيطان، فلما رفض قطع عنه ضمانات القرض الذى طلبه (وإن كان عاد فسمح لرابين ببناء بعضها)، وأخيرًا بدأت الولايات المتحدة تستعمل تعبيرات عامة مثل أن بناء المستوطنات غير منتج أو أنه عامل معقد.. إلخ.

وقد تضمنت خطة خريطة الطريق (التى أشرنا إليها من قبل) إلزام إسرائيل فى مرحلة تنفيذها الأولى بالتوقف تمامًا عن الاستيطان.

هذا - وقد تضمنت رسالة الرئيس بوش (الابن) إلى شارون فى إبريل ٢٠٠٤م الموافقة على بقاء المستوطنات فى التسوية النهائية وتعديل الحدود.

٥ - الأمن

أمن إسرائيل هو الصخرة التى تتحطم عليها أى آمال للتوصل إلى تسوية قابلة للدوام بينها وبين العالم العربى، ذلك أن مفهوم الأمن لدى إسرائيل مفهوم مطلق حيث تستبعد أى خطر حقيقى أو وهمى يتهددها من أى مصدر.

والجيش الإسرائيلى من أقوى جيوش العالم وأكثرها تسليحًا، سواء بأحدث الأسلحة التقليدية أو بالسلاح النووى وأسلحة الدمار الشامل الأخرى.

ومع ذلك، فإن الدولة العبرية تطالب بالأمن الكامل - بنسبة مائة فى المائة - الأمر الذى لا يكاد يتحقق لأية دولة فى العالم.

وأمن إسرائيل - فى نظرها - يعنى أمنها وحدها بدون أى اعتبار لأمن الدول والشعوب العربية، بل إنه فى حقيقة الأمر يقصد به السيطرة الحربية على كل هذه الدول والشعوب.

ومن الغـريب أن الدولة العظمى ـ الولايات المتحـدة ـ تشـاطر إسـرائيل هـذا المفـهـوم الأمنى، فتؤكد دائمًا أنها تكفل لإسرائيل التفوق الحربى على كل الدول العربية مجتمعة، وتصدر لها أحدث ما تحويه الترسانة الأمريكية من الأسلحة أولاً بأول، وتزودها بآخر التطورات العلمية والتكنولوچية فى هذا المجال، وتواصل التدريبات المشتركة معها على استخدام الطائرات والدبابات والصواريخ والقنابل وغيرها من الأسلحة.

وتعطى إسرائيل نفسها الحق فى أن تمتلك التفوق الحربى التام على الدول العربية، فهى وحدها التى تملك حق حيازة الأسلحة النووية، ومن ثم قامت بنسف وتدمير المفاعل النووى العراقى كما تهدد بأن تفعل ذلك مع أية دولة فى المنطقة تحاول الحصول على هذه الأسلحة، بما فى ذلك إيران.

ولا تعترف إسرائيل بنظام الأمن الجماعى الذى وضعه ميثاق الأمم المتحدة ـ بعد أن ذاقت البشرية آلام حربين عالميتين ـ بل إنها تناصب المنظمة الدولية العداء، وتعلن عدم ثقتها فيها، بل ولا تتورع عن الاعتداء على رجالها وحبسهم.

وقد اتخذت من صياغة قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ذريعة للمطالبة بحدود جديدة تكون آمنة، وبلغت مطامعها حد اعتبار الحدود التى بلغتها الجنود الإسرائيليون فى حرب ١٩٦٧م حدودا طبيعية لإسرائيل (من قناة السويس إلى هضبة الجولان ومن البحر الأبيض إلى نهر الأردن). وكادت المفاوضات المصرية الإسرائيلية تفشل بسبب تمسك إسرائيل بالمطارين والمستوطنات التى أنشأتها فى سيناء، ولم تتوصل إلى اتفاق إلا بناء على ترتيبات أمنية بين البلدين تشمل الحد من الوجود العسكرى ومن الأسلحة مع مرابطة القوات الدولية (وخاصة الأمريكية) فيها وغير ذلك مما يؤمن إسرائيل ضد أى أخطار.

وفى المفاوضات مع سوريا، طالبت إسرائيل بخفض عدد القوات السورية وإقامة مناطق منزوعة السلاح ومحطات إنذار مبكر وترتيبات أمنية أخرى.

كما تضمنت الاتفاقية التى عقدتها مع لبنان ـ بعد غزوه عام ١٩٨٢م ـ ترتيبات أمنية مماثلة، وكان مآل الاتفاقية المذكورة رفض البرلمان اللبنانى لها.

(وربما كان أكبر مثال على الهاجس الأمنى لدى الإسرائيليين ذلك الملحق الأمنى للاتفاقية الانتقالية المعقودة مع الجانب الفلسطينى فى ٢٨ سبتمبر ١٩٩٥م والذى يبلغ عدد صفحاته ٧٦ صفحة!)

ويتبارى رجال الإستراتيجية العسكرية الإسرائيلية فى إبداء آرائهم ورسم خططهم الأمنية. ولعل من أمثلة ذلك ما تضمنه كتاب أشهر الخبراء العسكريين زيف شيف بعنوان «الأمن من أجل السلام» حيث يذكر أن الضفة الغربية فى فلسطين لها أهميتها البالغة فى الدفاع عن إسرائيل؛ وذلك بسبب طبيعتها الجغرافية والطبوغرافية، كما أن طبيعة أرضها تحقق مزايا هامة للقوات الإسرائيلية، وهى تشكل العمود الفقرى الجبلى لأواسط الأراضى الإسرائيلية، وتمكن إسرائيل من صد هجوم القوات المعادية القادمة من غور الأردن[١].

وفى مفاوضات كامب ديفيد (٢)، تقدمت إسرائيل باقتراح ترتيبات أمنية فى الأراضى الفلسطينية من بينها ما يلى:

* أن تكون الأراضى الفلسطينية منزوعة السلاح.
* التواجد العسكرى الإسرائيلى فى غور الأردن ومناطق أخرى.
* إقامة محطات إنذار مبكر.
* حرية حركة القوات الإسرائيلية من مواقعها.
* السيطرة الإسرائيلية على المجال الجوى الفلسطينى.

٦ـ المياه

سبقت الإشارة إلى المذكرة التى قدمها اليهود إلى مؤتمر السلام فى باريس عام ١٩١٩م، والتى تركز على أهمية استيلاء الدولة اليهودية على مصادر المياه. كما أن حرب عام ١٩٦٧م نشبت بعد تطورات الموقف منذ بدأت إسرائيل فى تنفيذ خططها المتعلقة بتحويل مجرى نهر الأردن.

(١) Zeev Schiff: Security For Peace: (The Washington Lustitute For Near East Policy).

وبعد احتلال إسرائيل للأراضى الفلسطينية عام ١٩٦٧م، سارعت إلى وضع يدها على مصادر المياه الجوفية فى الضفة والقطاع.

والحوض الرئيسى فى الأراضى الفلسطينية هو خزان الجبل بأحواضه الشرقى والشمالى الشرقى والغربى (الذى يعد أغنى هذه الأحواض). أما الحوض الرئيسى الثانى للمياه الجوفية فهو خزان غزة الجوفى الساحلى تحت السهول الساحلية لغزة وإسرائيل. وقد استولت إسرائيل على كل هذه الأحواض وأقامت عليها مستوطناتها، وتحصل على حوالى ٤٠٪ من احتياجاتها من المياه الجوفية فى الأراضى المحتلة.

وتتبع إسرائيل سياسة مجحفة بالفلسطينيين، حيث تميز تمييزاً صارخًا بين مواطنيها من المستوطنين وبين السكان الفلسطينيين، وتبلغ مساحة الأراضى الفلسطينية المروية بالنسبة للفرد الفلسطينى ١/٤ النسبة المقررة للإسرائيلى، وقد أخضعت الزراعة الفلسطينية لمتطلبات الاقتصاد الإسرائيلى، حيث بلغت نسبة الواردات الفلسطينية من إسرائيل ٨٠٪ من المواد الغذائية غير المصنعة. وقامت إسرائيل بتدمير المضخات المملوكة للمزارعين الفلسطينيين فى بعض المناطق، فى الوقت الذى قام الإسرائيليون فيه بحفر عشرات الآبار الارتوازية لاستخدام المستوطنين مما أدى إلى نضوب الآبار الفلسطينية، كما أدى الإفراط فى استخدام المياه فى قطاع غزة إلى ملوحة الأراضى حتى أصبح ٥٠٪ منها غير صالحة للزراعة. ومن ناحية أخرى، يمثل الاستهلاك المنزلى للفلسطينيين ١/٣ استهلاك الإسرائيليين (٢٢ جالونًا مقابل ٧٢).

وقد تضمنت اتفاقات أوسلو پروتوكولات للتعاون بين الجانبين بشأن المياه، ونص بروتوكول المسائل المدنية الملحق بالاتفاقية الانتقالية على عدد من المبادئ، وحدد الكميات الإضافية التى يحتاجها الفلسطينيون فى الضفة الغربية مستقبلاً بما بين ٧٠ و٨٠ مليون م٣، وتم الاتفاق على إتاحة ٦ر١٨ مليون م٣ لسد الحاجات العاجلة لهم من المياه العذبة، ومع ذلك فلا تزال إسرائيل تغتال حقوق الشعب الفلسطينى فى مصادر مياهه الطبيعية.

أما عن الموارد السطحية الرئيسية فتتمثل فى نهر الأردن الذى أشرنا من قبل إلى قيام إسرائيل بتحويل مجراه. وكانت المفاوضات التى تولاها إريك چونستون ـ مبعوث

الرئيس أيزنهاور - فى الخمسينيات من القرن الماضى مع الأطراف قد حددت نصيب كلٍّ من دول حوض النهر ، إلا أن إسرائيل قد تجاوزت الحصة المقررة لها، حيث تستهلك ما بين ٦٢٠ و٧٠٠ مليون م٣ سنويًا، فى حين لا تحصل الضفة الغربية على أية كمية من مياه النهر، كما لا يحصل لبنان على شىء منها (رغم تحديد حصته بحوالى ٣٥ مليون م٣ سنويًا). أما الأردن، فقد نصت معاهدة السلام الأردنية الإسرائيلية على تنظيم استهلاك الجانبين من نهرى الأردن واليرموك، وتمكنت سوريا من الحصول على ١٧٠ مليون م٣ سنويًا بفضل السدود التى أقامتها على النهر بالاتفاق مع الأردن.

وفى المفاوضات المتعددة الأطراف التى عقدت بعد مؤتمر مدريد، وفى حين تمسكت الوفود العربية بمناقشة حقوق المياه فى المنطقة، اعترض الوفد الإسرائيلى، وتمسك بقصر المناقشات على المسائل الفنية والإدارة المشتركة بهدف زيادة موارد المياه فى المنطقة.

***

الفصل العاشر

إسرائيل والنظام الدولى المعاصر

١ - أسس النظام الدولى المعاصر

وضع ميثاق منظمة الأمم المتحدة أسس النظام الدولى المعاصر التى تحكم العلاقات الدولية منذ نفاذه عقب الحرب العالمية الثانية.

ومن أهم هذه الأسس ما يلى:

* حظر التهديد باستخدام القوة أو استخدامها ضد سلامة الأراضى أو الاستقلال السياسى لأية دولة (مادة ٢/ ٤).
* فض المنازعات بالوسائل السلمية (مادة ٢/ ٣).
* الأخذ بنظام الأمن الجماعى وإسناد الدور الأساسى فيه لمجلس الأمن.
* حق الشعوب فى تقرير مصيرها.

٢ـ موقف إسرائيل من حظر استخدام القوة

يقتصر استخدام القوة ـ فى ظل النظام الدولى المعاصر ـ على حالتى الدفاع الشرعى للدولة ضد الاعتداء المسلح (مادة ٥١ من الميثاق)، ولجوء مجلس الأمن إلى استخدامها طبقًا لنظام الأمن الجماعى (مادة ٤١ من الميثاق).

ويوضح الميثاق أحكام استخدام الدولة للقوة فى حالة الدفاع الشرعى، حيث ينص على أن ذلك موقوت إلى أن يتخذ مجلس الأمن التدابير اللازمة لحفظ السلم والأمن الدولى، وأن على الدولة إبلاغ المجلس فوراً بالتدابير التى اتخذتها ليمارس هو مسئولياته (مادة ٥١ من الميثاق).

بالرغم من ذلك فقد تجاهلت إسرائيل منذ قيامها الأحكام السابقة. ولجأت إلى استخدام القوة ضد الدول العربية خارج إطار نظام الأمن الجماعى الذى يعد المحور الأساسى للعلاقات الدولية فى ظل الميثاق، وادعت لنفسها حق استخدام القوة استباقًا دون وقوع اعتداء مسلح عليها.

٢- اكتساب الأراضى بالقوة

كان القانون الدولى فى الماضى يجعل الغزو والضم (الفتح) من أسباب ملكية الدولة للأراضى وفقًا لشروط محددة.

أما القانون الدولى المعاصر، فقد أسقط هذه الوسيلة من أسباب تملك أراضى الدول الأخرى، وأكد ذلك ميثاق الأمم المتحدة بحظره استخدام القوة.

والواقع أن عدم جواز اكتساب الأراضى بالقوة أصبح قاعدة قانونية عرفية وتضمنته تقارير ومشاريع واتفاقات دولية متعددة، مثل مشروع بودابست لتفسير ميثاق بريان كيلوج عام ١٩٢٨، ومشروع هارفارد عام ١٩٣٩ بشأن اتفاقية حقوق الدولة وواجبات فى حالة العدوان وميثاق منظمة الدول الأمريكية عام ١٩٤٨.

كما تضمن قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ النص على عدم جواز اكتساب الأراضى بالحرب.

وبالرغم من ذلك، تعمل إسرائيل على انتهاكها لهذا المبدأ القانونى بمواصلة احتلالها للأراضى العربية منذ يونية ١٩٦٧، مدعية أن لها الحق فى الحصول على حدود آمنة، وتحاول - تحت ضغط الاحتلال الحربى لهذه الأراضى - حمل الدول العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية على التنازل لها عن أجزاء من أراضيها، ومن الواضح أنه لا يمكن لأية دولة تحقيق أمنها على حساب دول أخرى.

هذا ـ وتزعم إسرائيل أن حقوقها فى تملك الأراضى العربية تقوم على أساس أنها استولت عليها لدى ممارستها حق الدفاع الشرعى فى حرب عدوانية شنتها الدول العربية عليها عام ١٩٦٧ ، وواضح أن هذا زعم باطل سواء لأن حرب ١٩٦٧ لم تبدأها الدول العربية أم لأن القانون الدولى لا يعترف بهذا التملك للأراضى حتى بفرض الاستيلاء عليها لدى ممارسة حق الدفاع الشرعى .

٤ ـ حق تقرير المصير وحق المقاومة

حق الشعوب فى تقرير مصيرها بحرية ودون تدخل خارجى حق معترف به فى القانون الدولى المعاصر .

فقد نص عليه ميثاق الأمم المتحدة في المادتين ١ / ٢ و ٥٥ والفصل الحادى عشر ، وأكدته الجمعية العامة فى قرارات متعددة ، وخاصة القرار ١٥١٤ بتاريخ ١٤ ديسمبر ١٩٦٠ الذى يعلن استقلال البلدان والشعوب المستعمرة ، والعهدان الدوليان للحقوق المدنية والسياسية وللحقوق الاقتصادية والاجتماعية لعام ١٩٦٦ ، واعتبر إعلانها لمبادئ القانون الدولى الخاصة بالعلاقات الودية بين الدول الصادر برقم ٢٦٢٥ فى ٢٤ أكتوبر عام ١٩٧٠ أن حق تقرير المصير من مبادئ هذا القانون ، كما أكدته محكمة العدل الدولية فى رأيها الإفتائى فى قضيتى ناميبيا عام ١٩٧١ والصحراء الغربية عام ١٩٧٥ .

ومع ذلك ، وبالرغم من تصفية الأوضاع الاستعمارية فى العالم فإن الشعب الفلسطينى لا يزال محرومًا من ممارسة حقه فى تقرير مصيره بحرية ودون تدخل إسرائيلى ومن حقه فى إقامة دولته المستقلة وذلك بالرغم من القرارات المتعددة التى أصدرتها الأمم المتحدة ، وفى مقدمتها قرار التقسيم رقم ١٨١ الذى ينص على إقامة دولة عربية (ودولة يهودية) ، وقراراتها المتضمنة الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ومنها القرار رقم ١٨٢٧ فى ١٠/ ١٢/ ١٩٦٩ الذى ينص على «تأكيد الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى» ، والقرار رقم ٢٠٠١ فى ٦/ ١٢/ ١٩٧١ الذى ينص على أن الجمعية العامة : «تعترف بأن شعب فلسطين له الحق فى حقوق متساوية

لتقرير المصير طبقًا لميثاق الأمم المتحدة، وقرار مجلس الأمن رقم ١٣٩٧ فى ١٣/ ٣/ ٢٠٠٢ بشأن إقامة الدولة الفلسطينية.

وحق الشعوب الخاضعة للاستعمار أو السيطرة الأجنبية فى المقاومة بكل الوسائل من أجل ممارسة حقها فى تقرير المصير حق معترف به فى القانون الدولى المعاصر.

وقد أكدت الأمم المتحدة هذا الحق فى قرارات متعددة، منها قرار الجمعية العامة رقم ٢٦٤٩ (٢٥) فى ٣٠/ ١١/ ١٩٧٠م الذى ينص على أن الجمعية العامة: «تؤكد شرعية نضال الشعوب الخاضعة للسيطرة الاستعمارية والأجنبية والمعترف بحقها فى تقرير مصيرها باسترداد هذا الحق بكل الوسائل المتاحة».

وقرارها رقم ٢٧٨٧ (٢٦) فى ٦/ ١٢/ ١٩٧١م المتضمن أن الجمعية العامة: «تؤكد شرعية نضال الشعوب الخاضعة للسيطرة الاستعمارية والأجنبية وخاصة فى جنوب إفريقيا وبالأخص شعوب زمبابوى وناميبيا وأنجولا وموزامبيق وجينيا (بيساو)، وكذا الشعب الفلسطينى، وبكل الوسائل المتاحة التى تتفق مع ميثاق الأمم المتحدة.

ومن ناحية أخرى، أصدرت الجمعية العامة عدة قرارات، تدعو فيها الدول والمنظمات الدولية إلى تقديم كل وسائل الدعم المادى والمعنوى إلى حركات المقاومة وحجبها عن القوى الاستعمارية التى تناوئ الشعوب المناضلة من أجل حريتها، ونذكر من هذه القرارات: قرار ٢٠٧٤ (٢)، والقرار ٢٤٢٦ (٣) والقرار ٢٧٨٧ (٢٦)[١].

وتأسيسًا على ما تقدم، قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٠/ ١١/ ١٩٧٥م دعوة منظمة التحرير الفلسطينية للمشاركة فى أعمال كافة المؤتمرات والجهود الدولية من أجل السلام، وحصلت المنظمة على عضوية الأمم المتحدة بصفة مراقبة.

وقد اعترفت إسرائيل - فى إعلان المبادئ الموقع فى ١٣/ ٩/ ١٩٩٣م (اتفاق أوسلو) -

---

(١) دكتور صلاح الدين عامر: المقاومة الشعبية المسلحة فى القانون الدولى العام (دار الفكر العربى).

بالحقوق السياسية للشعب الفلسطينى، وبمنظمة التحرير الفلسطينية، ممثلاً للشعب الفلسطينى دون أن تعترف له صراحة بحق تقرير المصير.

هذا، وقد استغلت إسرائيل الحرب التى تشنها الولايات المتحدة ضد الإرهاب الدولى، منذ أحداث سبتمبر ٢٠٠١م لدفع الرئيس بوش إلى اعتبار انتفاضة الأقصى الفلسطينية جزءاً من الإرهاب الدولى الذى يجب محاربته، وكانت النتيجة تأييد الولايات المتحدة لإجراءات القمع الإسرائيلية ضد الفلسطينيين ـ والتى تجاوزت كافة الحدود الإنسانية من قتل وتدمير واغتيالات وتعذيب ـ الأمر الذى أدى ـ على العكس ـ إلى انتشار الإرهاب فى المنطقة، وزاد من مشاعر العداء والكراهية للولايات المتحدة.

٥ ـ القدس والمستوطنات

سبق الكلام عن أحكام القانون الدولى الخاصة بالاحتلال الحربى، وانتهاكات إسرائيل لهذه الأحكام ببناء المستوطنات فى الأراضى المحتلة وإحداث التغييرات فيها وضم القدس وتهويدها.

ونشير ـ هنا ـ إلى عدد من قرارات الأمم المتحدة التى تمثل الشرعية الدولية وتدين الإجراءات التى اتخذتها ـ وتتخذها ـ إسرائيل فى الأراضى المحتلة وخاصة فيما يتعلق بالقدس والمستوطنات.

فبالنسبة للقدس أصدرت الجمعية العامة قرارات متعددة أدانت فيها ضم إسرائيل للقدس والإجراءات التى اتخذتها لتغيير وضعها، ومنها القرار ٢٢٥٣ فى ٤/ ٧/ ١٩٦٧، والقرار ٣٥/ ١٦٩ فى ١٥/ ٢/ ١٩٨٠ الذى يدين إصدارها القانون الأساسى المتضمن جعلها عاصمة لإسرائيل ويطالبها بإلغاء كل التدابير والإجراءات التشريعية والإدارية فيها، والقرار رقم ٣٧/ ١٢٣ الذى يطالب كذلك الدول الأعضاء بسحب بعثاتها الدبلوماسية من القدس وقرار مجلس الأمن رقم ٤٧٨ فى ٢٠/ ٨/ ١٩٨٠ فى الموضوع نفسه.

وبالنسبة للمستوطنات، أصدرت الأمم المتحدة العديد من القرارات التى تؤكد

انطباق اتفاقية جنيف الرابعة على الأراضي العربية المحتلة بما فيها القدس، وتعتبر الإجراءات التي تتخذها إسرائيل فيها انتهاكًا لهذه الاتفاقية إجراءات غير شرعية وتطالب بإلغائها. ومن هذه القرارات - على سبيل المثال - القرار رقم ٢٣٠ بتاريخ ٢٩/ ١٢/ ١٩٧٤ الذي ينص على الإعراب عن الأسف لعدم تطبيق إسرائيل لاتفاقية جنيف الرابعة، وتأكيد أن كافة الإجراءات التي اتخذتها إسرائيل لتغيير الطابع المادي والديموغرافي والكيان المؤسسي والوضع القانوني Status للأراضي المحتلة وأي جزء منها باطل وغير نافذ null and void. وكذا قرار مجلس الأمن رقم ٤٦٥ لسنة ١٩٨٠م الذي يؤكد بطلان هذه الإجراءات بما فيها عمليات الاستيطان في هذه الأراضي.

٦- اللاجئون

تنص المادة ٣ من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان أن: «لكل شخص الحق في مغادرة كل بلد بما فيها بلده والعودة إليه»، كما تنص المادة ١٢ من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية لعام ١٩٦٦ أنه: «لكل فرد حرية مغادرة أي بلد بما فيها بلده» وأنه «لا يجوز حرمان أحد بصورة تعسفية من الدخول إلى بلده».

فحق العودة، إذن، حق مقرر في القانون الدولي.

وقد أكد قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٩٤ الصادر في ١١ ديسمبر ١٩٤٨ حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة والتعويض، كما طالب قرار مجلس الأمن رقم ٢٣٧ في ١٤/ ٦/ ١٩٦٧ إسرائيل بتسهيل عودة السكان الذين فروا من المناطق منذ نشوب حرب ١٩٦٧.

وبالرغم من ذلك، ترفض إسرائيل رفضًا قاطعًا الاعتراف بحق اللاجئين الفلسطينيين في العودة إلى منازلهم، وتعويض غير الراغبين، مع تعويض الجميع عن الأضرار التي لحقت بهم - طبقًا لما نص عليه قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٩٤ بتاريخ ١١ ديسمبر ١٩٤٨، وذلك بالرغم من تأكيد الجمعية لهذا القرار سنويًا.

بل إن إسرائيل تطالب العرب بالاعتراف بها كدولة يهودية، بحيث تكون عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى الدولة الفلسطينية في حالة إقامتها وبما يهدد مستقبل عرب إسرائيل، وواضح أن هذا الموقف يتعارض مع حق العودة المقرر في القانون الدولي.

٧ـ موقف إسرائيل من الأمم المتحدة ومن القانون الدولى

يتسم موقف إسرائيل من الأمم المتحدة بالكراهية وعدم الثقة، حيث تدعى أنها تتخذ مواقف معادية لها بفضل تمتع الدول العربية والإسلامية (والاشتراكية قبل ذلك) بالأغلبية العددية التى تستطيع بها استصدار أية قرارات.

ومن ناحية أخرى، تتخذ إسرائيل من مبادئ وأحكام القانون الدولى موقفًا يتسم بعدم المبالاة وعدم الالتزام، سواء بتجاهلها كلية أو بمحاولة إعطائها تفسيرات غير مقبولة على نحو ما سبقت الإشارة إليه من محاولة الادعاء لنفسها بحق تملك الأراضى الفلسطينية المحتلة.

* * *

الباب الخامس

المسئولية عن الصراع العربى الإسرائيلى

الفصل الأول: الرفض العربى للمشروع الصهيونى

الفصل الثانى: الصهيونية والتراث الدينى والتاريخى

الفصل الثالث: الصهيونية والعبرانى الجديد

الفصل الرابع: العلاقات الخاصة بين الولايات المتحدة وإسرائيل

الفصــل الأول

الرفـض العـربى للمشـروع الصهيـونى

١ ـ حقيقة الرفض العربى

ترجع إسرائيل الصراع العربى الإسرائيلى إلى رفض العرب أساسًا إنشاء دولة يهودية فى فلسطين، وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها، وإنما يجب عدم فصلها عن سياقها، سواء طبيعة المشروع الصهيونى، أو ظروف إقامته، وما اتسمت به العلاقات العربية اليهودية منذ بدء تنفيذه، وما اتبعته إسرائيل من سياسات تجاه العرب منذ إنشائها، ثم ما اتجه إليه العرب من السير فى طريق السلام مع إسرائيل وتقديم التنازلات لها.

وقد سبق الكلام عن الأمور المشار إليها، ونخصص الباب الحالى لمحاولة تفسير ظاهرة العدوانية الإسرائيلية من خلال تحليل العوامل الدينية والتاريخية والسياسية التى حددت الإستراتيجية الصهيونية، فرسمت أهدافها ووسائل تحقيقها، ومن ثم صبغت سياسة دولة إسرائيل بطابع العدوانية التى تتبعها منذ إنشائها وأدت إلى استمرار الصراع العربى الإسرائيلى.

٢ ـ الانعزالية وتجميع اليهود فى دولة إسرائيل

تقوم الصهيونية على المبادئ الرئيسية الآتية:

* إن كل يهود العالم يشكلون أمة واحدة.

* إن إسرائيل دولة يهودية أنشأها اليهود من أجل جميع يهود العالم .

* إن تفرق اليهود (فى الدول المختلفة) ليس إلا أمراً مؤقتًا ، وإنهم سوف يذهبون إلى إسرائيل عاجلاً أو آجلاً حتى وإن كان ذلك راجعًا إلى الاضطهاد المعادى للسامية لهم .

* إن جمع المشتتين هو الغرض من إنشائها وهدفها الأساسى الذى تندرج منه بقية الأهداف(١) .

فالهدف من إنشاء دولة إسرائيل هو تجميع يهود الدول المختلفة فى دولة واحدة تتمتع بالسيادة ، لتبسط حماية عليهم ، وتنهى اضطهادهم .

والواقع أن هذا الهدف لا يختلف كثيراً عن «الانعزالية» التى كانت الجماعات اليهودية فى الشتات تتسم بها فى حياتهم داخل «الجيتو» سواء كان ذلك مفروضًا عليهم أو كان بمحض اختيارهم . ففى حين فرض البابا بولس الرابع (١٥٥٠ ـ ١٥٥٩) العزلة الإجبارية على اليهود ، فإن الثابت تاريخيًا أن العزلة اليهودية كانت قائمة على مر العصور بسبب واقع وحياة اليهود ، ولأسباب دينية وطقوسية ، ومن ثم عرفت أحياء وشوارع وحارات اليهود فى الدول المختلفة .

وتبالغ الصهيونية فى الكلام عن اضطهاد اليهود ، فلم يكن تاريخ الجماعات اليهودية كله تاريخًا من اضطهاد الشعوب المختلفة لهم ، بل عرفت هذه الجماعات تسامحًا وازدهاراً فى بعض مراحل تاريخها على نحو ما حدث فى فترة التنوير ، وفى ظل الدولة الإسلامية ، وخاصة فى الأندلس ، بل وفى بابل أثناء مرحلة السبى ، حيث ازدهرت أحوالها ، وفضل كثيرون من اليهود البقاء فيها على العودة إلى «أرض إسرائيل» .

وعلى أية حال ، فقد فشلت الصهيونية فى تحقيق هدفها الأساسى ، فلا يزال يهود إسرائيل يشكلون أقلية من يهود العالم ، كما أن جمع اليهود فى دولة إسرائيل لم يحقق لهم الأمن الذى كانوا يفتقدونه فى الدول التى اضطهدتهم ، ولم تستطع إسرائيل الاندماج فى محيطها الشرق أوسطى ، واعتقدت أن سياستها العدوانية كفيلة بإخضاع العرب وفرض شروطها عليهم ، ولكنها أخفقت فى ذلك رغم الحروب السبع التى خاضتها ضدهم .

---

(١) Uri Avnery: Israel without Zionism (Traduction en Francais) P.138.

٣ ـ اغتيال حقوق الشعب الفلسطينى

لم يكن من الممكن للشعب الفلسطينى أن يقبل المشروع الصهيونى الذى يغتال حقه المشروع فى الحصول على استقلال وطنه، فى الوقت الذى كان يتطلع فيه إلى تحقيق هذا الاستقلال بعد أن قام بتنفيذ التزاماته فى الحرب العالمية الأولى، وشارك فى الثورة العربية الكبرى إلى جانب بريطانيا ضد الدولة العثمانية.

كانت المراسلات التى تبادلها الشريف حسين حاكم مكة مع ماكماهون صريحة فى تأكيد التعهد البريطانى بإقامة الدولة العربية الكبرى مقابل قيام حسين بالثورة، فإذا بالدولة العظمى تنكص فى تنفيذ تعهداتها وتتقاسم مع فرنسا مناطق النفوذ فى المشرق العربى، وتدعى أن تلك التعهدات لم تشمل فلسطين التى تآمرت بريطانيا مع الصهيونية العالمية على إقامة الدولة اليهودية فيها، واستصدرت من عصبة الأمم صك انتدابها على فلسطين، وقدمت للصهيونية كل الدعم حتى أنشأت دولة إسرائيل رغمًا عن إرادة الشعب الفلسطينى، وبالرغم من مقاومته المتواصلة للمشروع الصهيونى، وفى انتهاك صارخ لمبادئ الرئيس ويلسون عن حقوق الشعوب، بل لأحكام نظام الانتداب الذى وضعته عصبة الأمم.

والواقع، أن هيرتزل وأعوانه قد استخفوا بشكل فاضح بالشعب الفلسطينى، مدعين أن المشروع الصهيونى لا بد وأن يقابل بالرضا والامتنان من قبل الفلسطينيين العرب، ومتصورين فى سذاجة غريبة ـ أو من قبيل الخداع ـ أن العرب سوف يقفون مكتوفى الأيدى فى الوقت الذى تعمل فيه الصهيونية على تحقيق الغالبية السكانية والسيادة اليهودية على فلسطين.

وبعد ما يقرب من ستين عامًا مضت على صدور قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين وإقامة دولتين إحداهما يهودية والأخرى عربية، لا تزال إسرائيل تعمل كل ما فى وسعها للحيلولة دون إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة والقابلة للحياة حتى فى ٢٢٪ من أرض فلسطين.

٤ ـ مقاومة الصهيونية كمشروع استعمارى غربى

اعتبر العرب المشروع الصهيونى جزءاً من مؤامرات الدول الاستعمارية الغربية ضد الوطن العربى.

فلم يكن خافيًا عليهم أن تصريح بلفور صدر لتحقيق المصالح الاستعمارية لبريطانيا مقابل إقامة الدولة اليهودية فى فلسطين، وتنفيذ الدور المتفق عليه بين الجانبين، لكى تكون هذه الدولة عازلاً يقسم العالم العربى، ويقف حائلاً دون تكرار «الخطر» الذى كان يمثله محمد على.

وقد أكد دور بريطانيا طوال انتدابها على فلسطين صحة هذه النظرة العربية للمشروع الفلسطينى، ثم أكدته المؤامرة الثلاثية بين إسرائيل وفرنسا وبريطانيا وعدوانها الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦م.

واتسمت سياسة إسرائيل منذ إنشائها بتأييد ودعم السياسات الاستعمارية الغربية على الساحة الدولية، وظلت مواقفها متفقة تمامًا مع مواقف الدول الاستعمارية فى الأمم المتحدة تجاه قضايا التحرير الوطنية فى العالم الثالث.

ومن ناحية أخرى، لم يخف هيرتزل أن الدولة اليهودية التى يسعى لإقامتها «سوف تكون قطعة من أوروبا فى مواجهة آسيا، وموقعًا متقدمًا للحضارة فى وجه البربرية» (كتيب هيرتزل عن دولة اليهود).

وظلت تصرفات الإسرائيليين تجاه العرب تعكس هذا التوجه، حيث اتسم تعاملهم معهم بالتعالى، واتسمت السياسة الإسرائيلية بالتميز العنصرى بين اليهود والعرب، وكانت صورة العربى لدى الصهاينة منذ بداية تنفيذ المشروع الصهيونى أنه متخلف وغادر ومخادع، وعبر چاپوتنسكى عن الفكر الصهيونى عن الأمة العربية بأن «العرب متخلفون ثقافيًا عن اليهود بخمسمائة عام».

٥ـ التنازلات العربية من أجل السلام

مهدت حرب أكتوبر المجيدة الطريق أمام توجه العرب نحو إقامة السلام مع إسرائيل، حيث أدت الانتصارات العربية فى الحرب إلى استرداد العرب الثقة بأنفسهم وقدرتهم على تحمل استحقاقات السلام، بما فى ذلك الاعتراف بإسرائيل وإقامة علاقات طبيعية معها بشرط تنفيذ إسرائيل لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ وقرارات الأمم المتحدة التى تؤكد الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى.

وقد قبلت منظمة التحرير الفلسطينية قرار مجلس الأمن المشار إليه ـ بعد سنوات من رفضه بسبب عدم تعرضه لتسوية القضية الفلسطينية ـ وقبلت إقامة دولة فلسطينية فى الأراضى المحتلة عام ١٩٦٧م، والتى لا تمثل سوى ٢٢٪ من أرض فلسطين، وعقدت المفاوضات مع الحكومة الإسرائيلية فى إطار القناة السرية فى أوسلو، حيث توصل الجانبان إلى اتفاق إعلان المبادئ الذى يتضمن الاعتراف المتبادل بين الطرفين، وإقامة السلطة الفلسطينية فى الأراضى المحتلة، وعقدت معها بقية اتفاقات أوسلو.

ومع ذلك، أفشلت إسرائيل العملية السلمية ولا تزال تعرقل إقامة الدولة الفلسطينية.

أما عن الدول العربية، فقد عقدت كلٌّ من مصر والأردن معاهدة سلام مع إسرائيل، وطرحت الدول أعضاء الجامعة العربية مبادرة سلام مع الدولة العبرية تقوم على أساس الاعتراف بإسرائيل وإقامة علاقات طبيعية معها مقابل انسحابها من كافة الأراضى العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧م، وإقامة دولة فلسطينية مستقلة عاصمتها القدس على الضفة الغربية وقطاع غزة، والاتفاق على حل عادل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين. وقد رفض شارون المبادرة العربية ورد عليها بإعادة احتلال المناطق الفلسطينية التى سبق أن نقلت إليها طبقًا لاتفاقات أوسلو.

وهكذا، لم يعد مقبولاً من إسرائيل أن تدعى أن عدم قبول العرب لإنشاء الدولة اليهودية هو الذى يعوق إقامة السلام بين الجانبين.

ولا تزال إسرائيل ماضية فى سياساتها العدوانية، وتحاول فرض شروطها، والقيام بإجراءات أحادية لرسم حدودها على حساب الأراضى الفلسطينية والسورية، مع رفض تسوية القضايا الرئيسية العالقة بينها وبين الأطراف العربية.

* * *

الفصـــل الثــانى

الصهيونيــة والتــراث الدينــى والتاريخى

١ ـ حركة علمانية.. ذات أساس دينى

كان تيودور هيرتزل ـ مؤسس الحركة الصهيونية ـ حريصًا على تأكيد الطابع العلمانى للحركة، وقد أراد خلال زيارته لفلسطين إظهار عدم احترامه للعقيدة الدينية اليهودية.

ومع ذلك، فهو ذات الشخص الذى قال: «إن الصهيونية تعنى العودة إلى اليهودية حتى قبل العودة إلى أرض اليهود».

ولم يكن هيرتزل يرى فى موقفه أى تناقض، فاليهودية التى يقصدها ليست قاصرة على العقائد الدينية البحتة، بل لها مفهوم واسع يمثل خليطًا من هذه العقائد والتراث الثقافى والتاريخى والقومى.

ومع ذلك، فقد كانت نتيجة هذا الفهم أن جمعت الحركة بين الملحدين من أمثال ماكس نورداو، الذى كان لا يؤمن بالتوراة ويفضل عليها كتيب هيرتزل عن «دولة اليهود» والحاخامات الذين أصدروا الفتاوى التى تبيح قتل العرب (والأغيار بصفة عامة)، وتضم الشيوعيين والاشتراكيين واليساريين واليمينيين، كما كانت تضم المتمسكين بأن تقام دولة اليهود على «أرض إسرائيل» التوراتية (فلسطين) وأولئك الذين لا يعنيهم مكان إقامتها، سواء كان أوغندا أو الأرجنتين أو غيرهما (وكان هيرتزل أحد هؤلاء).

وقد ظل تأثير الديانة اليهودية ـ بعقائدها وأساطيرها ـ قويًا على الحركة الصهيونية حتى بعد إقامة دولة إسرائيل، وأصبح الحفاظ على الطابع اليهودى للدولة أول مبادئ سياستها حيث تطالب العرب بالاعتراف بها كدولة يهودية، الأمر الذى تستند إليه لرفض حق اللاجئين الفلسطينيين فى العودة.

٢ ـ تسخير الدين لخدمة الصهيونية

لجأ دعاة الصهيونية إلى الدين اليهودى فى سعيهم إلى اكتساب الشرعية وسط الجماعات اليهودية المختلفة، وبخاصة المتدينة منها، وراحوا يظهرون حركتهم كما لو كانت امتدادًا لليهودية، بل إن التسمية التى اتخذتها الحركة لها أساسها الدينى؛ إذ إن «صهيون» أحد مترادفات «أرض إسرائيل».

وقد شكل التراث الدينى معينًا لا ينضب أمام مفكرى الصهيونية فى خلق الرموز والأعياد والأساطير التى قامت فى دولة إسرائيل فيما بعد، وأصبحت رموزًا وأعيادًا وأساطير قومية. ولم تهتم الصهيونية بالتعاليم الدينية السامية لليهودية ـ كالوصايا العشر[١] وغيرها ـ بل ركزت على العقائد ذات الطابع القومى مثل، عودة اليهود إلى «أرض إسرائيل» وخلاصهم على يد المسيح المنتظر فى آخر الزمان، وقد سبق الكلام عن المسيحانية وما قوبلت به هذه الحركة من معارضة رجال الدين، ومن تبريرات أنصار الصهيونية منهم من أمثال الحاخام إبراهام كول تأييدًا لها.

ونتناول ـ فيما يلى ـ بعض العقائد الدينية التى سخرها الصهاينة، والتى كان لها تأثيرها على السياسة العدوانية لإسرائيل:

٣ ـ أرض إسرائيل التوراتية

بالرغم من أن تيودور هيرتزل كان يؤيد إقامة دولة لليهود فى أى مكان من العالم (أوغندا ـ الأرجنتين ـ سيناء.. إلخ)، إلا أنه أدرك فى النهاية أن الدعوة لإقامتها فى

(*) سبقت الإشارة إلى الوصايا العشر فى الفصل الأول من الباب الأول ص٢٠، وانظر الجزء الخاص بتابوت العهد وتابوت الشريعة وقدس الأقداس ص٣٩ من هذا الكتاب.

فلسطين من شأنها تحقيق التأييد اللازم لحركته من الجماعات اليهودية فى العالم بسبب العقيدة الدينية المرتبطة بـ«أرض إسرائيل».

وقد تساءل فى كتيبه عن (دولة اليهود) عما إذا كان يختار فلسطين أم الأرجنتين، ذاكراً أن اليهود سيقبلون ما يعطى لهم ويوافق عليه المجتمع، وتحدث عن الأرجنتين وما تتميز به من خصوبة واتساع مع قلة عدد السكان واعتدال المناخ، ثم تحدث عن فلسطين قائلاً: «إنها الوطن التاريخى الذى لا ينسى، وإن اسمها سوف يجذب (شعبنا) بقوة هائلة».

والمفهوم الدينى لـ «أرض إسرائيل» يعنى الحدود التوراتية لهذه الأرض، والتى تمتد من نهر النيل إلى نهر الفرات. وقد رسمت الحركة الصهيونية حدود الدولة التى تطالب بها ـ على النحو السابق بيانه ـ فى المذكرة التى تقدمت بها إلى مؤتمر السلام فى پاريس عام ١٩١٩م، وهى الحدود التى تشمل الأراضى الفلسطينية شرق وغرب نهر الأردن، وأجزاء من سوريا ولبنان ومصر، كما تشمل مصادر المياه فى المنطقة.

وإذا كانت الصهيونية قد قبلت قرار التقسيم (١٨١ فى ٢٩/ ١١/ ١٩٤٧م)، فإن داڤيد بن جوريون قالها بصراحة: «إنه يقبل حدود الدولة اليهودية كما رسمها القرار بصفة مرحلية».

وأعلنت دولة إسرائيل دون تحديد حدودها، وأعلن قادتها أن حدودها هى ما يصل إليها جنودها.

وكان اليهود يفسرون تصريح بلفور بأنه يعنى تحويل فلسطين بأكملها إلى دولة يهودية، الأمر الذى اضطر تشرشل إلى إصدار الكتاب الأبيض عام ١٩٢٢م مفنداً هذا التفسير، ومؤكداً أن التصريح مفاده إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين، مع عدم الإضرار بالحقوق المدنية والدينية لبقية الطوائف.

ومع ذلك، فقد ظل مفهوم «أرض إسرائيل» التوراتية يسيطر على الصهاينة مع اعتبارها أرض إسرائيل التاريخية، ومن ثم ظل التوسع فى مقدمة أهداف دولة إسرائيل تعمل على تحقيقه على مراحل كلما سمحت الظروف بذلك.

توسعت نتيجة حرب ١٩٤٨م، وحاولت التوسع فى حرب ١٩٥٦م، ولا تزال مطامعها فى الأراضى العربية التى احتلتها عام ١٩٦٧م تحول دون تحقيق السلام، وتتبع

سياسة العنف والإرهاب من جهة، وسياسة فرض الأمر الواقع من جهة أخرى من أجل التمكن من ضم أجزاء كبيرة منها.

ومنذ احتلال إسرائيل للأراضى العربية المذكورة، يقع ساستها تحت ضغط رجال الدين وأنصار الاستيطان لعدم التخلى عن هذه الأراضى، بل إن الانتصارات التى حققها الجنود فى حرب ١٩٦٧م قد اعتبرت من قبيل المعجزات الإلهية التى حققها رب إسرائيل لشعبه المختار.

أما الأصولية اليهودية، فقد وجدت فى الديانة ما تفسر به التنازل عن أى أجزاء من «أرض إسرائيل» بالخطيئة الدينية الكبرى، الأمر الذى يعرض الشعب اليهودى للعقاب الإلهى.

فالحاخام تسفى يهودا كوك يذكر فى كتاباته: «لقد أمرنا بأن نستولى على الأرض وبأن نستوطن. أما معنى الاستيلاء فهو الغزو، ونحن إذ نؤدى هذه الفريضة (الميستڤا) نستطيع تأدية الأخرى: الاستيطان.. التوراة والحرب والاستيطان ثلاثة فى واحد».

ويهودا إليتسور ـ أحد كبار علماء جوش إيمونيم ـ يرسم عدة أشكال إقليمية للدولة اليهودية مبنية على مصادر توراتية، فحدود الآباء عنده تمتد حتى نهر الفرات وجنوب تركيا وعبر الأردن ودلتا النيل.

والحاخام يسرائيل أريئيل يصف حدود أرض إسرائيل بأنها تضم لبنان حتى طرابلس وسوريا وقسمًا من العراق وآخر من الكويت فضلاً عن سيناء.

ويوئيل بن نون يقول: «لن ننسى أبدا أردننا..» وقد ظل حزب حيروت يتخذ له شعارًا خريطة شرق الأردن وغربه تتوسطهما بندقية(١).

٤ ـ الدين واستيطان الأراضى المحتلة

تقدم ما ذكره الحاخام تسفى يهودا كوك من أن استيطان الأرض فريضة دينية.

كما سبق الكلام عن تطور عمليات الاستيطان فى الأراضى العربية منذ احتلالها عام ١٩٦٧م، وكيف أصبح النشاط الاستيطانى فى هذه الأراضى مكثفًا، وخاصة منذ

---

(١) إيان لوستيك: الأصولية اليهودية فى إسرائيل (مؤسسة الدراسات الفلسطينية ـ ١٩٩١).

إنشاء منظمة جوش إيمونيم الأصولية وتحالف حكومات الليكود معها، ثم كيف أن ضم الكتل الرئيسية للمستوطنات المقامة فى الضفة الغربية فى مقدمة المطالب الإسرائيلية، وأوضحنا دورها - مع الجدار العازل - فى رسم حدود إسرائيل.

كما ألقينا بعض الضوء على حركة جوش إيمونيم والأصولية اليهودية والنفوذ الذى تتمتع به جماعات المستوطنين لدى الحكومات الإسرائيلية ومواقفها العدوانية من العرب.

٥ - القدس والمسجد الأقصى

سبقت الإشارة إلى أن إسرائيل قامت - عقب احتلالها للقدس الشرقية عام ١٩٦٧م - بضمها إلى أراضيها، وأعلنت توحيد شطرى المدينة وجعلها عاصمة أبدية للدولة، ثم قامت بتوسيع الحدود البلدية لها، وصادرت مساحات كبيرة من الأراضى الفلسطينية، وطوقت القدس الشرقية بسلسلة من المستوطنات، كما بادرت عقب الاحتلال بهدم حى المغاربة وتوسيع المساحة المواجهة لحائط البراق (حائط المبكى)، وأخذت تستولى على مساكن فى البلدة القديمة ليسكنها الإسرائيليون.

وقد ألهب احتلال القدس مشاعر الإسرائيليين، وبدأت أعمال استفزاز الفلسطينيين بمحاولات إقامة بعض المتطرفين الصلاة داخل المسجد الأقصى. ومع ذلك، فقد أيدت المحكمة العليا طلب إقامة اليهود الصلاة فى الحرم القدسى.

وأنشئت عدة جماعات يهودية متطرفة تدعو إلى هدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل اليهودى، ومن هذه الجماعات حركة كاخ، ومنظمة جبل الهيكل، وحركة كاهاناحىّ.

وكان أحد اليهود قد حاول حرق المسجد عام ١٩٦٩، وادعت إسرائيل أنه مختل عقليًا.

وقد قام المتطرفون اليهود بعدة محاولات لهدم المسجد الأقصى بنسفه بالمواد المتفجرة أو بإلقاء قنابل وصواريخ من الطائرات.. إلخ، ومن هذه المحاولات ما كشفته السلطات عام ١٩٨٢م، حيث قبضت على أعضاء جماعة متطرفة خططت لنسف المسجد.

٦ـ فتاوى الحاخامات وجرائم المستوطنين ضد العرب

عارضت جوش إيمونيم معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية، وحرضت أنصارها على عرقلة الانسحاب من مستعمرة ياميت فى سيناء، ودبرت حوادث الاعتداء البشع على العرب عام ١٩٨٢م.

وفى مايو ١٩٨٤، تم القبض على ٧٢ شخصًا من مؤسسة المستوطنين ـ من بينهم عدد من نشطاء جوش إيمونيم ـ بتهمة ارتكاب سلسلة من جرائم من بينها محاولة قتل عرب من الضفة الغربية بعمل كمائن لأوتوبيسات عربية فى القدس الشرقية وقتل جميع ركابها، وقد أدين المذكورون بالاشتراك فى تلك المؤامرة، وفى التآمر لنسف المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة، ومحاولة قتل عمد لعدد من عرب مدن الضفة الغربية، ووضع قنبلتين فى مسجد بمدينة الخليل. كانت تلك شبكة إرهابية سرية، وبالرغم من خطورة نشاطاتها، فإنها حظيت بدفاع وتعاطف الحاخامات، بل اعترف أحدهم (حاجاى سيجال) بأن الحاخام موشيه ليفينجر كان يحرض على ارتكاب هذه الجرائم ويعتبرها من الفرائض الدينية، وأصدر حاخام آخر ـ هو الراباى أرييل ـ بيانًا يهاجم فيه الحكومة بسبب موقفها من أولئك الإرهابيين.

وفى ٢٥ فبراير ١٩٩٤م، ارتكب باروخ جولدستاين مذبحة شنعاء فى المسجد الإبراهيمى، حيث قتل ٢٩ فلسطينيًا أثناء أدائهم الصلاة فى شهر رمضان، ومن الغريب أن يصبح قبره مزارًا للمستوطنين!

وقد أسهم الحاخامات فى إهدار دم العرب، ويكفى أن نشير فى هذا الصدد إلى كتاب أصدره الراباى إسحق جنزبرج يمجد فيه عمل جولدستاين مستشهدًا بخمس وصايا دينية هى: التضحية باسم الرب، وإنقاذ أرواح، والانتقام، والتطهر من الشرور، والقتال من أجل «أرض إسرائيل»[1].

٧ـ النفوذ السياسى لجماعات الاستيطان

كان أول نجاح لأنصار الاستيطان المكثف فى الأراضى العربية المحتلة عندما فرض

---

(١) Amnon Robinstein: From Herzl To Rabin (Holmes and Meier).

الحاخام موشيه ليفنجر على الحكومة العمالية إقامة مستوطنة فى مدينة الخليل، ففى إبريل ١٩٦٨م قامت ٣٢ عائلة يهودية - بقيادة الحاخام المذكور - باحتلال طابقين فى المدينة، وأعلن ليفينجر أنهم قد استوطنوا المكان ولن يغادروه، متحديًا بذلك سياسة حكومة ليفى أشكول العمالية، ومتسببًا فى أزمة حادة بسبب وضع المدينة التى شهدت مصادمات دامية عام ١٩٢٩م أدت إلى إخلائها من اليهود.

وقد تعرضت الحكومة الإسرائيلية لضغوط شديدة حتى من بين بعض وزرائها أدت فى النهاية إلى عدم التعرض للمستوطنين، وسلمت بإقامة مستوطنة كريات عربة فى ضواحى مدينة الخليل، الأمر الذى جعل من هذه المدينة - التى تحوى المسجد الإبراهيمى - من أخطر بؤر الصدام الدامى بين سكان المدينة اليهود البالغ عددهم ٤٠٠ يهودى والفلسطينيين البالغ عددهم مائة ألف.

ولم تكن حركة جوش إيمونيم قد أنشئت - حيث كان ليفينجر وأتباعه ينتمون إلى حركة أرض إسرائيل الكاملة التى أسست بعد شهرين من حرب ١٩٦٧م - وقد أدى نجاح سياسة فرض الأمر الواقع التى لجأ إليها الحاخام المذكور إلى إنشاء جوش إيمونيم فى أعقاب حرب ١٩٧٣م.

وشهدت الحركة المذكورة نجاحًا كبيرًا منذ تولى الليكود بقيادة ميناحيم بيجين الحكم عام ١٩٧٧م، وقامت بنشاطها الاستيطانى المكثف، وخاصة فى المناطق الآهلة بالسكان الفلسطينيين، وأصبحت لها مؤسساتها وصحيفتها، وصارت قوة ضغط كبيرة على الحكومات الإسرائيلية التى مضت فى إقامة المستوطنات فى كل مكان، على نحو ما سبقت الإشارة إليه، بحيث أصبح ضم الكتل الكبرى للمستوطنات أحد الأهداف الرئيسية لإسرائيل.

وإذا كان شارون قد نجح فى إزالة مستوطنة ياميت فى سيناء تنفيذًا لمعاهدة السلام المصرية الإسرائيلية، كما تمكن من تصفية المستوطنات فى قطاع غزة - رغم مقاومة المستوطنين - فإنه قام بذلك تنفيذًا لإستراتيجية إسرائيلية عليا تحدد ما ترى الدولة الاحتفاظ به وضمه إليها، وما ترى الاستغناء عنه لأسباب سياسية أو أمنية أو اقتصادية.

٨ـ موقف الأصولية اليهودية من عرب فلسطين

يذكر إيان لوستيك فى كتابه عن الأصولية اليهودية فى إسرائيل أنه «ليس ثمة من بينة على وجود خطط عملية لتنفيذ إجراءات الإبادة الجماعية تجاه عرب أرض فلسطين، إلا أن تحليل مدى التباين داخل الحركة الأصولية اليهودية بشأن مسألة العرب لا بد أن يستهل بالقول إن نفراً من الحاخامين المؤيدين لجوش إيمونيم قد تقدموا بآراء من شأنها أن توفر الأساس الهالاخى ـ أى الدينى التشريعى ـ لإجراءات كهذه».

كما يذكر أنه «فى استطلاع لآراء الحاخامين المقيمين فى الضفة الغربية وغزة أجرى سنة ١٩٨٧م ذهبت ٨٦٪ من الإجابات بإباحة استعمال العقوبات الجماعية ضد مخيمات اللاجئين أو العائلات والأقارب. أما الأسلوب المفضل (٦٤٪) فكان نفيهم.

أما عن نظرة جوش إيمونيم للمقاومة العربية لإسرائيل، فإن هذه الحركة «تنظر إلى الصراع مع العرب بطريقة مغايرة جذريّا؛ وذلك باعتباره الحقبة الأخيرة والحاسمة فى معركة إسرائيل الدائمة لقهر قوى الشر». ويتجلى هذا الموقف فى الكلمات التى ألقاها أليعيزر فالدمان ـ رئيس إليشيفا فى كريات أربع عضو الكنيست وممثل حزب تحيا، حيث قال: «إن إسرائيل إذ تحارب العرب، تؤدى مهمتها» وينفى فيش (أحد الأصوليين) أن يكون الفلسطينيون بمنزلة النقيض للشعب اليهودى. فاليهود هم الأمة التى عينها الله الحى خالق العالم شعبًا شرعيّا أبديّا لا مطعن فى حقه فى أرض إسرائيل كلها. أما الفلسطينيون فلا حق شرعيّا لهم على الإطلاق فى ادعاء المواطنة أو المطالبة بأية قطعة من البلد.. إن صورة الفلسطينيين من حيث هم هالكون فى مقاومتهم الانتحارية للحكم اليهودى فى أرض إسرائيل تقابل تصنيفًا أعمق جذوراً لهم. فحاخامو جوش ومنظروها ينظرون إلى المواطنين العرب باعتبارهم كنعانيين أو بنى إسماعيل»[١].

٩ـ السياسة الصهيونية التعليمية

فى مقال له بعنوان (الجذر الدينى للتعليم فى الدولة العبرية) ـ فى كتاب «المعرفة» الصادر عن وزارة المعارف السعودية عن (التعليم فى إسرائيل دينى أم علمانى) ـ يذكر

(١) إيان لوستيك ـ مرجع سابق ـ ص ٩٠، و٩١.

الكاتب الإسلامى السعودى زين العابدين الركابى أن التعليم الدينى فى إسرائيل يتسم بخصائص ثلاث هى: الاستغراق الزمنى (لكافة المراحل)، والتكثيف على نحو يشبه التخصص، والتثقيف المشبع، بحيث إن كل خريج فى أية مرحلة لا يتخرج إلا بعد أن يتلقى زادًا دينيًا مشبعًا يعين نفسه وشعوره بالعقائد والمفاهيم اليهودية.

وقد ركز المؤتمر الصهيونى الحادى والثلاثون على أهمية التربية اليهودية الصهيونية للمنظمة الصهيونية العالمية بكل أجهزتها، بحيث تكون قائمة على أسس قيم اليهودية والتراث والتقاليد اليهودية منذ أجيال عديدة.

وفى مقال بالعدد نفسه، يتناول الشاعر والكاتب الفلسطينى موضوع (الصهيونية فى الكتب المدرسية الإسرائيلية)، ويذكر أن إسرائيل وضعت عقب قيامها فلسفة لتربية الناشئة الصهيونية تركزت على عدة مفاهيم من بينها: إيجاد المجتمع العسكرى الدائم، والإيحاء للناشئة اليهودية بأن العرب يعملون على إبادتهم وتدمير إسرائيل؛ وفى هذا الإطار وضعت وزارة المعارف والثقافة الإسرائيلية كتب العلوم الإنسانية (التاريخ - المواطنة - العقيدة اليهودية.. إلخ). ويتحدث الكاتب عن المرتكزات والقيم التربوية العامة، ومنها: اعتبار فلسطين والجولان أراضى يهودية، وإغفال التاريخ العربى والإسلامى - واعتبار العرب محتلين، ووصف سكان فلسطين العرب الأصليين بأنهم قبائل بدوية دائمة الترحال، وإبراز تفوق الجندى اليهودى على الجندى العربى. كما يذكر أمثلة لعدد من الكتب المدرسية مليئة بالمغالطات التاريخية.

ومن الأمثلة المعروفة عن أثر التعليم الدينى للأطفال فى إسرائيل ما نشر من إجابات هؤلاء على استبيان لأحد الأساتذة بشأن رأيهم فيما فعله يشوع بالقرى التى فتحها، وما إذا كان ذلك صوابًا، وهل يجب أن يفعل جيش إسرائيل اليوم بالقدس العربية ما فعله يشوع (من قتل الرجال والنساء والأطفال والحيوانات والتدمير الشامل)؟.. أن الإجابة الكاسحة لهؤلاء الأطفال ردًا على السؤالين كانت بنعم!

***

الفصل الثالث

الصهيونية والعبرانى الجديد

١ ـ رفض اندماج اليهود فى مجتمعات الدول

سبقت الإشارة إلى أن أحوال اليهود فى أوروبا بدأت فى التحسن فى القرن الثامن عشر، وأنه بفضل الأفكار الليبرالية التى نشرتها الثورة الفرنسية، وإعلانها لحقوق الإنسان والمواطن الذى يسوى بين المواطنين دون اعتبار لمعتقداتهم الدينية، أخذت تلك الدول تلغى القيود التى كانت تضعها على اليهود فى مسائل العمل والإقامة والزواج، وتعترف لهم بحقوق المواطنة.

وقد بدأت فى أواخر القرن حركة التنوير (الهاسكالا) التى شهدت تطورات إصلاحية أساسية للمعتقدات الدينية اليهودية أدت إلى تغيير الروح الانعزالية لدى اليهود واندماجهم فى مجتمعات الدول التى يعيشون فيها.

وقد سبقت الإشارة إلى أن حركة التنوير ارتبطت بأفكار موسى مندلسون (١٧٢٩ ـ ١٧٨٩م) الذى طالب فى كتابه (أورشليم) بالفصل بين الدولة والدين، والملاءمة بين المعتقدات اليهودية والحضارة الغربية. وتبعه مفكرون يهود آخرون أخذوا يناقشون المعتقدات القديمة، وينتقدونها. واعتنق كثير من اليهود الديانة المسيحية، وتزاوجوا من غير اليهود (انظر الفصل الثالث من الباب الثانى).

وقامت فى ألمانيا حركة إصلاحية يهودية، وأنشئ معبد إصلاحى يستبعد من صلواته الأجزاء الخاصة بالعودة إلى صهيون وقدوم المسيح.

وأصبح اندماج اليهود فى ألمانيا وغيرها من الدول الغربية حقيقة ملموسة، وتميزت أوضاعهم في الثلث الثانى من القرن التاسع عشر بالتقدم السياسى والاقتصادى والاجتماعى. وفى الولايات المتحدة، التى تدفق عليها اليهود منذ عام ١٨٤٠م، سادت اليهودية الإصلاحية، واندمج اليهود فى المجتمع الأمريكى اندماجًا كاملاً.

ولكن الأرثوذكسية اليهودية اتخذت من حركة التنوير موقفًا عدائيًا محذرة من أفكارها التى تتعارض - فى رأيها - مع الديانة، ومن خطورة الزيجات المختلطة على مصير الشعب اليهودى.

وقد حدثت ردة لحركة التنوير مع بدء ظهور اتجاهات معادية للسامية (لليهود) وخاصة فى ألمانيا لعوامل متعددة من أهمها تدفق أعداد كبيرة من يهود روسيا وپولندا عليها وعلى الدول الغربية الأخرى نتيجة للاضطهادات التى تعرضوا لها فى البلدين.

وقد تأثر تيودور هيرتزل - أحد اليهود المندمجين فى المجتمع النمساوى - بمحاكمة الضابط اليهودى دريفوس الذى كان يغطيها فى فرنسا كصحفى، حيث اتهم المذكور ظلمًا بالخيانة العظمى وأحدثت المحاكمة ثورة لدى الرأى العام ضده اتسمت بمعاداة السامية.

وأدى ذلك إلى اقتناع هيرتزل بأن عداء السامية ظاهرة لن تنتهى، وسيظل اليهود منبوذين ومضطهدين دائمًا، ومن ثم أصدر كتيبه (دولة اليهود) الذى أصبح إنجيل الحركة الصهيونية، وشغلت أفكار هيرتزل عن ظاهرة معاداة السامية حيزاً كبيراً من الكتيب. ورأى مؤسس الصهيونية أن حل مشكلة اليهود يتمثل فى إقامة دولة لهم.

وهكذا نشأت الحركة الصهيونية التى ترفض اندماج اليهود، وتعمل لإقامة دولة لهم فى فلسطين (التى سمتها أرض إسرائيل) دون اعتبار لشعبها الذى يعيش فيها منذ فجر التاريخ، والذى أصبح شعبًا عربيًا خالصًا منذ فتح البلاد فى عهد عمر بن الخطاب عام٦٣٨م.

٢ ـ خلق العبراني الجديد

أخذت الحركة الصهيونية على عاتقها مهمة خلق اليهودى (العبرانى) الجديد، الذى يلتصق بالأرض ويستوطنها ويعمل فيها، رافضة الشخصية اليهودية الجيتوية التى كانت تتسم بالضعف والخنوع، والتاريخ الوظيفى للجاليات اليهودية التى كانت تفضل أعمال التجارة والربا، وتقوم بأنشطة اقتصادية هامشية فى الدول التى تعيش فيها.

وقد دلت كتابات زعماء الحركة وأدبائها على مدى احتقار تلك الشخصية الجيتوية، وأولئك الذين استسلموا للمذابح النازية.

كتب الأديب الإسرائيلى إيهود بن عيزر: «إن الصبار (أى اليهودى المولود فى إسرائيل) يحتقر اللاجئين اليهود الذين وصلوا إلى فلسطين بعد أحداث النازية، أولئك الذين لا يعرفون حتى العبرية.. وسلوكهم يدل على الضعف، وهم متشبهون بالنساء».

ويقول مارجليت بتاى وهربرت راسكول فى كتابهما (المليون الأول من الصباريم): «إن الصبار يشعر بالتفوق إزاء السائح اليهودى القادم من خارج البلاد، وإن موقفه هذا متأثر من حقيقة أنه لا يستطيع أن يفهم لماذا سمح ستة ملايين يهودى للنازيين أن يقتلوهم، ولا يستطيع أن يفهم لماذا ماتوا مستسلمين. إن هذا كابوس بالنسبة له، ووصمة عار بالنسبة لكرامته».

وفى رواية عميرام أميتاى (حرب المستنقعات) ـ وفى قصة (نحن نساعدك) يصور اليهودى الجيتوى بأنه «شاحب الوجه، أصفر الشعر، يرتدى ملابس غريبة، وله وجه مستدير مثل وجه طفل لا أثر فيه للدم وشعره الأبيض الأصفر ممشط باعتناء على جبينه الأبيض الناعم.. إنه باختصار النقيض الكامل للمجتمع الصبارى الذى يقابله بالسخرية المعتادة».. إن الفتى الجيتوى المنكمش والذى يرتعد كل جسده لدى سماع صوت طائرة فى السماء يقيم صداقة فقط مع طفل واحد مثله..»[(١)].

ومقابل هذا الاحتقار لشخصية يهودى الجيتو وأمثاله من اليهود المستضعفين، يبدى زعماء الصهيونية وأدباؤها إعجابهم بشخصية الصبار ـ الذى يمثل الجيل الذى صنعته الصهيونية.

---

(١) د. رشاد الشامى: «الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية».

وقد عبر چاپوتنسكى عن هدف الصهيونية خلق العبرانى الجديد بقوله: إن نقطة البداية هى أن نأخذ الصورة التقليدية لليهودى (الذى يطلق عليه شعبيّا اسم Yid) ونتصور عكسها.. فلأن اليهودى المذكور قبيح وضعيف «مريض ـ Sickly» وتنقصه «اللياقة ـ decorum»، فإن علينا أن نخلع عليه الصورة المثلى للجمال الذكورى. اليهودى التقليدى من السهل إخافته، ولذا فإن العبرانى يجب أن يكون ذا كبرياء واستقلال. الأول يقبل الخضوع، أما العبرانى فيجب أن يتعلم إصدار الأوامر. الأول يخفى هويته، لذا فإن على العبرانى أن ينظر فى عيون الناس معلنًا أنه عبرانى».

أما بن جوريون، فيقول: «منذ تراچيديتنا الأخيرة الخاصة بإخماد ثورة باركوخبا على أيدى الرومان، كانت لنا تواريخ من الاضطهاد والتفرقة القانونية ومحاكم التفتيش والغارات العدوانية.. ولكن لم يكن لنا تاريخ؛ لأن تاريخ أى شعب هو وحده الذى يصنعه الشعب كله كوحدة وطنية»(١).

ولما كان الصبار هو الإسرائيلى الذى أنتجته الصهيونية، فإن من المفيد ذكر صفاته.

٢ـ صفات الصابرا

فى دراسة قام بها العالم سپيرو فى كتابه «الصابريم والصهيونية»، تعرض الكاتب لعدوانية الصابرا حيال الغرباء (بمن فيهم المدرسون والعمال بالأجر من خارج الكيبوتز) ذاكرا أن عدوانيتهم لا تقتصر على السود، بل تمتد إلى البيض والمهاجرين الأوروپيين، ويعدد أمثلة لهذه العدوانية، وقد قام الدكتور قدرى حفنى بتحليل دراسة سپيرو فى كتابه «الإسرائيليون من هم؟ دراسة نفسية».

ويحدد الدكتور قدرى حفنى فى دراسته التى تحمل عنوان (شباب عجوز) أهم صفات الصابرا ذاكرًا أنها: الانطوائية، والكآبة، والتشكك، والتشاؤم، والشعور بالدونية، والعدوانية، واللامبالاة، والبرود العاطفى، والإحساس بالفشل،

(١) From Herzl To Rabin - opcit.

والحساسية المفرطة للنقد، والحاجة للمديح والإطراء، وخشونة المظهر، وانفعالية الأعماق[١].

٤ـ سمات الشخصية الإسرائيلية

أما الدكتور رشاد الشامى، فإنه يحدد سمات الشخصية اليهودية الإسرائيلية الإشكنازية والصبارية، ومن بينها الروح العدوانية أو التوحد فى المعتدى، ويحلل العوامل النفسية التى تشكلت نتيجة للتطورات التاريخية للجماعات اليهودية وأثرت فى الفكر الصهيونى ذاكرًا أن «اليهود تعرضوا للقتل والعجز والطرد والتشريد والمهانة على أيدى النازى مثلما تعرضت لذلك الشعوب الأوروبية. وإزاء هذا الموقف الصادم كان المخرج لدى اليهودى هو التوحد فى المعتدى، أن يغدو اليهودى الضحية، نازيّا له ضحاياه. . . والهدف الجماعى لعملية التوحد بالمعتدى كما كشفت عنه دراسات التحليل النفسى هو أن يتحول الحمل ذئبًا. . [٢].

٥ـ عسكرة المجتمع الإسرائيلى

عملت الصهيونية منذ بدء عمليات الاستيطان فى فلسطين على خلق مجتمع العمل والدفاع الذاتى بتحويل عمال المستوطنات وسكانها إلى عسكريين مسلحين. وفى عام ١٩٠٩م، أنشئت منظمة هاشومير (الحارس)، وكان شعارها الذى نادى به بن جوريون: «بالدم والنار سقطت يهودا، وبالدم والنار ستقوم يهودا»، أما أسلوب حمايتها لليشوف (المجتمع اليهودى فى فلسطين)، فقد كان البرنامج الذى وضعته المنظمة المذكورة هو حجر الأساس لنشأة العسكرية الصهيونية التى تستهدف: خلق المجتمع اليهودى العسكرى، وتوسيع نطاق الوظائف العسكرية، وإعطائها مركزًا متميزًا فى المجتمع اليهودى، والسيطرة عسكريّا على مقدرات اليشوف، وإنشاء قوة عسكرية مسلحة محترفة[٣].

---

(١) د. قدرى حفنى: الإسرائيليون. . من هم؟ (مكتبة مدبولى).
(٢) د. رشاد الشامى: مصدر سابق.
(٣) د. رشاد الشامى: مصدر سابق.

وقد سبق لنا الكلام عن تبنى الصهيونية للعنف والإرهاب، وعن المنظمات العسكرية والإرهابية (الهاجاناه ـ وإيتسل ـ وليحى . . إلخ) والعمليات التى قامت بها ضد العرب والبريطانيين.

والواقع، أن المؤسسة العسكرية الإسرائيلية تشغل مركز الصدارة فى إسرائيل، وتسيطر على الحياة السياسية فيها، حتى قيل إن إسرائيل جيش له دولة.

* * *

الفصل الرابع

العلاقات الخاصة بين الولايات المتحدة وإسرائيل

١ـ تطورات الموقف الأمريكي من النزاع العربي الإسرائيلي

يرجع تورط الولايات المتحدة فى النزاع العربى الإسرائيلى إلى عهد الرئيس وودرو ويلسون عندما وافق على تصريح بلفور عام ١٩١٧ تحت تأثير صديقه لويس برانديس، ودون علم وزير خارجيته ومعارضته لاتخاذ هذه الخطوة.

وقد كانت الحركة الصهيونية لا تزال ضعيفة التأثير فى الولايات المتحدة، وظلت وزارة الخارجية الأمريكية تعتبر موقف ويلسون موقفًا شخصيًا غير ملزم، بل كانت ترى عدم الخضوع للضغوط الصهيونية حرصًا على المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط. وأكد الرئيس روزفلت للملك عبد العزيز آل سعود أن الولايات المتحدة سوف تتشاور مع العرب قبل اتخاذ أى موقف تجاه المشكلة الفلسطينية.

وقد حدث تغيير جذرى فى السياسة الأمريكية تحت تأثير المذابح النازية لليهود خلال الحرب العالمية الثانية، وبدأت الحركة الصهيونية فى الولايات المتحدة ـ بقيادة هليل سيلفر ـ فى شن حملة سياسية ودعائية واسعة لكسب تأييد الأمريكيين لإقامة دولة يهودية فى فلسطين، وانصاع الرئيس ترومان للضغوط الصهيونية رغم تحذير وزيرى الخارجية والدفاع، فأقحم الولايات المتحدة فى النزاع، وقام بالضغط على بريطانيا كى تفتح باب فلسطين لهجرة مائة ألف يهودى فى الحال، ووظف النفوذ الأمريكى من أجل استصدار قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين وإقامة الدولة اليهودية.

وإزاء تفجر أعمال العنف بين العرب واليهود حاول التراجع عن قرار التقسيم، ووضع فلسطين تحت وصاية الأمم المتحدة، ولكنه ما لبث أن تراجع تحت ضغط الصهاينة، وانتهى به الأمر إلى الاعتراف بإسرائيل فور إعلان إنشائها.

كان الاعتبار الذى يحرك ترومان هو الرغبة فى الحصول على أصوات اليهود فى الولايات المتحدة من أجل إعادة انتخابه أما أيزنهاور، فقد كان بسبب مكانته أكثر قدرة على مواجهة الضغوط الصهيونية، وكان يرى أن على إسرائيل ـ التى توسعت خارج حدود قرار التقسيم ورفضت عودة اللاجئين الفلسطينيين ـ أن تقدم التنازلات للعرب، وأعد ـ مع بريطانيا ـ خطة ألفا التى تقوم على هذا الأساس، كما أوفد ممثله روبرت أندرسون للوساطة بين مصر وإسرائيل على أساسها، وذلك بعد أن أوفد إريك جونستون لإجراء المفاوضات بين الأطراف العربية وإسرائيل لاستغلال مياه نهر الأردن، وتنفيذ مشروعات لاستيعاب اللاجئين.

وكان أيزنهاور يرى ضرورة إنهاء الصراع العربى الإسرائيلى حتى يتمكن من تنفيذ خطته الخاصة بتطويق الاتحاد السوفييتى بالأحلاف العسكرية.

ورغم رفض عبدالناصر لحلف بغداد، فقد اتخذ أيزنهاور موقفًا صلبًا فى وجه العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦م، وتمسك بانسحاب إسرائيل وبريطانيا وفرنسا من سيناء وقطاع غزة، إلا أنه أعلن ما عرف بمبدأ أيزنهاور القائم على التدخل لمساعدة أية دولة فى المنطقة إزاء أى تهديد من جانب الشيوعية الدولية.

أما خليفته چونسون، فقد أبدى انحيازًا واضحًا لإسرائيل، وبدأت العلاقات الأمريكية المصرية تتوتر منذ عام ١٩٦٥م حيث أوقفت الولايات المتحدة معونتها من القمح لمصر، وبدأت تتدخل فى الشئون المصرية مطالبة بالحدّ من تسلح الجيش وتخفيض عدد قواته.

٢ ـ العلاقات الإستراتيجية الأمريكية الإسرائيلية

شهدت العلاقات الأمريكية الإسرائيلية تطورًا كبيرًا فى أعقاب حرب عام ١٩٦٧م، حيث بدأت الولايات المتحدة تعتبر إسرائيل حليفًا لها يخدم مصالحها فى المنطقة،

وأصبحت هى المورد الرئيسى للأسلحة للدولة العبرية بعد أن كانت تتفادى تزويدها بها مباشرة.

وعندما أبدت إسرائيل استعدادها لوقف التدخل السورى ضد الأردن ـ فى الأزمة مع الفلسطينيين عام ١٩٧٠م ـ بدأت الولايات المتحدة (منذ عهد نيكسون) تعتبر إسرائيل رصيداً إستراتيجيا لها فى الشرق الأوسط.

وفى عهد الرئيس ريجان وقعت فى نوڤمبر ١٩٨١م مذكرة التفاهم الإستراتيچى بين الولايات المتحدة وإسرائيل متضمنة القيام بمناورات مشتركة، واستخدام القوات الأمريكية للقواعد والمنشآت الإسرائيلية، وتخزين الأسلحة الأمريكية فى إسرائيل، مع إعطاء الجيش الإسرائيلى حق استخدامها فى الحالات الطارئة، وكذا تمويل أمريكا لإنتاج الدبابات الإسرائيلية مركافا، وتبادل المعلومات العسكرية.

٣ ـ أبعاد العلاقة الخاصة

تدعم الولايات المتحدة إسرائيل عسكريّا وسياسيّا واقتصاديّا وماليّا.

أما عن الدعم العسكرى، فقد تعهدت الإدارات الأمريكية كلها بتزويد إسرائيل بالأسلحة التى تكفل لها التفوق على الدول العربية مجتمعة، ومن ثم تمدها بأحدث ما فى الترسانة الأمريكية من الأسلحة. كما تهب الولايات المتحدة لنجدة إسرائيل على نحو ما حدث فى حرب أكتوبر ١٩٧٣م عندما أقامت جسراً يزودها بالسلاح لإنقاذها.

وأما عن الدعم السياسى، فإنه يتمثل فى تأييد المواقف الإسرائيلية، وتبنى سياساتها، حتى المتصلبة منها، واستخدام حق الڤيتو فى مجلس الأمن لإسقاط أى قرارات تدينها، أو تطالبها باتخاذ إجراءات، أو الامتناع عن أعمال تخالف الشرعية الدولية. وقد أشرنا إلى التحالف الإستراتيچى بين البلدين (والذى وصل إلى مداه فى عهد الرئيس الحالى چورج بوش، وكان من أهم عوامل الغزو الأمريكى للعراق واتخاذ سياسة معادية لإيران وسوريا).

وقد سبقت الإشارة إلى موقف الولايات المتحدة تجاه قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ وتأييدها الموقف الإسرائيلى الرافض للانسحاب من الأراضى العربية المحتلة قبل

الاتفاق على حدود جديدة لإسرائيل . الأمر الذى أدى إلى بقاء الاحتلال أربعين عامًا حتى الآن .

وعن الدعم الاقتصادى والمالى ، فإن إسرائيل تحصل على أكبر معونة تقدمها الولايات المتحدة ، وذلك خلافًا لما تحصل عليه من تبرعات تجمعها من الجالية اليهودية ومن أنصارها فى أمريكا .

٤ ـ المسئولية الأمريكية عن السياسة العدوانية لإسرائيل

لا شك فى أن الولايات المتحدة تتحمل مسئولية كبرى عن السياسات والمواقف العدوانية لإسرائيل ، فلولا الدعم الأمريكى للدولة العبرية ـ وخاصة منذ حرب ١٩٦٧م ـ لما جرؤت إسرائيل على مواصلة احتلالها للأراضى العربية المحتلة ، والقيام بالممارسات غير الشرعية (سياسة الضم الزاحف) فيها . وعرقلة مفاوضات السلام ثم وقفها .

وقد شهدت فترة حكم الرئيس جورج بوش الابن تصعيداً خطيراً فى مواقف الولايات المتحدة تجاه إسرائيل ، حيث اعتبرت إدارته المقاومة الفلسطينية للاحتلال الإسرائيلى نوعًا من الإرهاب ، وأيدت مواقف شارون فى حربه ضد الشعب الفلسطينى ، بما فيها عدوانه المتسم بالقسوة البالغة وغير الإنسانية بهدم منازل الفلسطينيين فوق رءوسهم ، واغتيال قادتهم ، واستخدام كافة أسلحة الدمار من طائرات ومروحيات ودبابات وصواريخ وقنابل متطورة فى هجمات القوات الإسرائيلية ضد المدن والقرى ، كما كان أول رئيس أمريكى يتعهد بتأييد الولايات المتحدة لحدود جديدة لإسرائيل تراعى ما أقامته من مستوطنات ، ولرفض حق العودة للاجئين الفلسطينيين وذلك فى رسالة وجهها إلى شارون فى إبريل ٢٠٠٤م .

٥ ـ اللوبى الإسرائيلى فى الولايات المتحدة

يمارس اللوبى الإسرائيلى فى الولايات المتحدة ـ وخاصة من خلال منظمة إيباك ـ دورًا خطيرًا فى توجيه السياسة الأمريكية لصالح إسرائيل ، الأمر الذى لا يتفق دائمًا مع

مصالح الولايات المتحدة، حيث يضر بعلاقاتها مع الدول العربية والعالم الإسلامى، كما لا يتفق مع مقتضيات السلام.

وقد نشر أستاذان أمريكيان جامعيان مقالاً هامّا بعنوان «اللوبى الإسرائيلى وسياسة الولايات المتحدة الخارجية» فى مجلة «لندن ريفيو أوف بوكس» قاما فيه بتحليل دور هذا «اللوبى»، وكشفا فيه أبعاده ومدى خطورته من حيث تأثيره على السياسة الأمريكية تأثيرًا خطيرًا وضارًا بمصالح الولايات المتحدة، ويكتسب المقال أهمية بالغة من مركز كاتبيه، فأحد الأستاذين هو ميرز هايمر أستاذ العلوم السياسية بجامعة شيكاغو، والآخر هو ستيفن والت الأستاذ بجامعة هارفارد، فضلاً عن شجاعتهما فى فضح دور اللوبى الإسرائيلى على النحو التالى:

* يذكر الكاتبان أنه بالرغم من أن المصالح الوطنية للولايات المتحدة يجب أن يكون لها المقام الأول، فإنه منذ عدة عقود، وخاصة منذ حرب ١٩٦٧م - تتصدر العلاقات الأمريكية الإسرائيلية المركز الرئيسى للسياسة الخارجية الأمريكية. الأمر الذى يجعل السياسة الأمريكية فى منطقة الشرق الأوسط تكاد تكون ناتجة عن السياسات الداخلية، وخاصة من تأثير اللوبى الإسرائيلى.

* قدمت الولايات المتحدة منذ حرب أكتوبر ١٩٧٣م إلى إسرائيل دعما يفوق بمراحل ما قدمته لأية دولة، فقد حصلت إسرائيل على أكبر معونة اقتصادية وعسكرية منذ عام ١٩٧٦ بل وتحصل على أكبر معونة منذ الحرب العالمية الثانية (٣ بلايين دولار سنويًا معونة مباشرة يبلغ مجموعها ١٤٠ بليون دولار، أى ٥٠٠ دولار لكل إسرائيلى سنويًا).

* منذ عام ١٩٨٢م، بلغ عدد المرات التى استخدمت فيها الولايات المتحدة حق الڤيتو لصالح إسرائيل ضد قرارات مجلس الأمن ٣٢ مرة.

* أثبت الأستاذان عدم صحة ما يقال من أن إسرائيل رصيد إستراتيجى للولايات المتحدة، بل اعتبراها عبئًا عليها خاصة بعد انتهاء الحرب الباردة: فهى لا تحارب الإرهاب بل إن الإرهاب يرجع - كأحد أسبابه - إلى ممالأة الولايات المتحدة لإسرائيل.

كما أن دعم إسرائيل الدائم يضعف مركز الولايات المتحدة خارج منطقة الشرق الأوسط كذلك، حيث يعتبر كثيرون تأييدها المستمر لها حتى في ممارسات إسرائيل القمعية في الأراضي العربية المحتلة مؤديًا إلى إضعاف الحرب ضد الإرهاب الدولي (ويشير الكاتبان إلى الرسالة التي وجهها ٥٢ دبلوماسيًا بريطانيًا سابقًا إلى رئيس الوزراء بهذا المعنى عام ٢٠٠٤م).

* تصور إسرائيل نفسها على أنها دولة ضعيفة محاطة بأعداء أقوياء، مشبهة نفسها بداود مقابل جوليات، وهذا أمر غير حقيقي؛ إذ إنها أقوى دول الشرق الأوسط عسكريًا.

* إن ما تتمتع به إسرائيل من نظام ديموقراطي يتعارض مع معاملتها غير الديموقراطية للفلسطينيين. كما أن الهولوكوست النازي لليهود لا يمكن أن يسوغ هذه المعاملة غير الإنسانية لهم.

* قامت إسرائيل خلال حربي ١٩٥٦ و١٩٦٧م بقتل أسرى مصريين وطرد ما بين ١٠٠ ألف و٢٦٠ ألف فلسطيني عام ١٩٦٧م. كما أنها قامت بتعذيب الأسرى الفلسطينيين وإذلالهم، وقد استخدمت كافة وسائل القمع في مواجهة الانتفاضة الفلسطينية (٢٠٠٠ـ٢٠٠٥م).

* يمارس اللوبي الإسرائيلي تأثيرًا قويًا على الكونجرس الأمريكي، حيث تتمتع إسرائيل بالحصانة من النقد. ويرجع هذا التأثير على قدرة اللوبي على مكافأة أعضاء الكونجرس والمرشحين لعضويته بالمساعدات المالية والإضرار بمن يتخذون مواقف غير مؤيدة لإسرائيل، كما يلجأ هذا اللوبي إلى توجيه الأعضاء بالدراسات والخطابات.

* كما يقوم اللوبي الإسرائيلي بالضغط على الجهاز التنفيذي عن طريق المساعدات المالية التي تقدم في الانتخابات الرئاسية (ويضرب الكاتبان أمثلة لهذه الضغوط ونتائجها).

* ومن ناحية أخرى، للوبي تأثير كبير على وسائل الإعلام الأمريكية.

* وتعمل مراكز أبحاث هامة على توجيه الرأى العام، وتخضع للوبى الإسرائيلى، ومنها معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى، والمعهد الأمريكى إنتربرايز، ومعهد بروكنجز.

* كما يستخدم اللوبى الجامعات والمراكز الأكاديمية للدفاع عن السياسة الإسرائيلية.

* أدت ممارسات شارون فى الأراضى الفلسطينية المحتلة وتأييد إدارة الرئيس بوش (الابن) لها إلى تصاعد العداء للولايات المتحدة فى المنطقة.

* أدت ضغوط إسرائيل واللوبى الإسرائيلى إلى قيام الولايات المتحدة بغزو العراق وانغماسها فى مستنقعه، كما أنها تدفعها إلى اتخاذ مواقف معادية لسوريا وإيران، وتوريطها فى مشروع تحويل الشرق الأوسط لصالح إسرائيل.

* يشير الكاتبان فى مقالهما إلى أربعة مزاعم يشيعها أنصار إسرائيل ويرون أنها تستوجب قيام الولايات المتحدة بالتأييد الكامل لها وهى: أنها دولة ضعيفة محاطة بالأعداء، وهى دولة ديموقراطية، كما أن الشعب اليهودى عانى من الجرائم التى ارتكبت ضده فى الماضى، وأن سلوكها الأخلاقى يعلو على سلوك أعدائها. وقد فندا كل هذه المزاعم على نحو ما تقدم.

وقد أوضح الأستاذان الجامعيان ـ فى الكتاب الذى أصدراه حديثًا بالتفصيل دور اللوبى الإسرائيلى فى توجيه السياسة الخارجية الأمريكية[1] وتحدثا عن هذا الدور فى مخطط الولايات المتحدة لإقامة الشرق الأوسط الجديد وغزو العرق، وتأليبها على سوريا، فضلاً عن موقفها العدائى من إيران.

ويتضمن الكتاب أن الجماعات الأمريكية المناصرة لإسرائيل كانت دائمًا تريد أن تتدخل للولايات المتحدة عسكريًا فى الشرق الأوسط لحماية إسرائيل، ولكنها لم تنجح فى مرحلة الحرب الباردة إلا بقدر محدود، ثم تغيرت الإستراتيجية الأمريكية منذ

---

(١) John J. Mearsheimer and W. Walt: The Lsrael Lobby (Allen Lane - 2007).

حرب الخليج الأولى بانتهاج سياسة الاحتواء المزدوج التى رسمها مارتن إنديك فى عهد كلينتون، وعلم أن هذه السياسة كانت استجابة لمقتضيات أمن إسرائيل، حيث أبلغت الدولة العبرية كلينتون بأنها لا تستطيع التقدم فى عملية السلام إلا إذا شعرت بالأمن تجاه إيران، وقد أدت سياسة الاحتواء المزدوج إلى أن أصبحت الولايات المتحدة عدوّة دولتين ـ العراق وإيران ـ تكره الواحدة الأخرى، واضطرت واشنطون إلى تحمل عبء احتواء الاثنتين. وخطا المحافظون الجدد خطوة أخرى، إذ اعتبروا هذه السياسة غير كافية، ورأوا ضرورة إقصاء صدام حسين.

وفى الوقت نفسه، أخذ المحافظون الجدد (وهم يناصرون إسرائيل) يعربون عن فكرة أن نشر الديمقراطية فى الشرق الأوسط يؤدى إلى تحقيق السلام فى المنطقة (مشيرين إلى دراسة لهم أعدوها لبنيامين نيتانياهو).

وفى عام ٢٠٠٢م، عندما أصبح غزو العراق مسألة مطروحة بشدة، جعل المحافظون الجدد من موضوع نشر الديمقراطية فى المنطقة محوراً للسياسة الأمريكية الخارجية.

وهكذا، أصبح القادة الإسرائيليون والمحافظون الجدد وإدارة الرئيس بوش، يرون أن غزو العراق هو الخطوة الأولى فى إعادة تشكيل الشرق الأوسط (أو صنعه من جديد).

وقد كانت إسرائيل دائمًا تعتبر العراق دولة عدوة، وخاصة منذ إقامة المفاعل النووى، والذى قامت بتدميره عام ١٩٨١م، واستمرت فى مناصبته العداء ـ بالرغم من أنها كانت تعتبر إيران خطراً أكبر عليها ـ وأخذت، منذ ربيع عام ٢٠٠٢م، تدفع الولايات المتحدة لغزو العراق، حيث قام نيتانياهو بزيارة لواشنطون وقابل عدداً من رجال الكونجرس والصحفيين وغيرهم، وحذرهم من أن صدام حسين يصنع الأسلحة النووية، وبعدها بأسابيع قليلة ذكر المتحدث باسم شارون أنه «ما لم يوقف صدام الآن، فإنه سيكون علينا ـ بعد خمسة أو ستة أعوام ـ التعامل مع عراق لديه أسلحة نووية ووسائل لنقل أسلحة الدمار الشامل». . ويمضى الكاتبان فى التدليل على الدور الذى لعبه الإسرائيليون فى دفع الولايات المتحدة إلى غزو العراق، وفى تأليبها على سوريا. وسياسة المواجهة التى تتبعها إدارة الرئيس بوش معها ـ بسبب برنامجها النووى ـ ففيما يتعلق بإيران. نجحت جهود إسرائيل واللوبى فى إقناع الرئيس بوش وغيره من الساسة

الأمريكيين بأن إيران الحائزة على السلاح النووى تمثل تهديدًا لإسرائيل، وأن الولايات المتحدة مسئولة عن منع هذا التهديد من التزايد.

وختامًا، فإن كتاب الأستاذين الجامعيين يتضمن تفاصيل غاية فى الأهمية لكشف الدور الخطير الذى تلعبه إسرائيل واللوبى الذى يعمل لحسابها فى الولايات المتحدة فى دفع السياسة الخارجية الأمريكية - حتى بما يضر بالمصالح الأمريكية - مما يضيق المجال عن استعراضها.

* * *

خاتمة

أوضحنا فى الأبواب السابقة للكتاب التراث الدينى اليهودى، والتراث التاريخى لليهود، وطبيعة المشروع الصهيونى الاستيطانية ونزعته الإرهابية. وتحدثنا بعد ذلك عن التاريخ العدوانى لدولة إسرائيلية، وانتهينا إلى محاولة تحديد المسئولية عن الصراع العربى الإسرائيلى.

والواقع أنه قد تداخلت العوامل المشار إليها فى تحديد السياسة الإسرائيلية.

ويمكن فى ضوء ما تقدم رد السياسة العدوانية لدولة إسرائيل إلى عدة عوامل من أهمها: طبيعة المشروع الصهيونى القائم على أساس الاستيلاء بالقوة على الوطن الفلسطينى، وإقامة الدولة اليهودية، وطرد أصحابه الأصليين بالقوة، الأمر الذى كان لا يمكن لهؤلاء قبوله، ومن ثم تصدوا لمقاومته، ووقفت الدول العربية إلى جانبهم فشنت إسرائيل الحروب ضد هذه الدول لفرض سياستها عليها، وقامت بالتوسع فى أراضيها وإحتلال أجزاء منها ومع ذلك واصلت إسرائيل سياستها العدوانية رغم توجه الفلسطينين والدول العربية لقبولها وإقامة السلام معها.

أما العامل الأساسى الآخر، فهو الدور الذى قامت به الدول الغربية للمشروع الصهيونى ولدولة إسرائيل، حيث تولت بريطانيا مهمة بناء الدولة اليهودية فى فلسطين، وفتحت فرنسا ترسانتها لتزويد إسرائيل بالأسلحة، وتآمرت - وبريطانيا - معها لشن العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦م، ثم أقامت الولايات المتحدة مع إسرائيل علاقة خاصة منذ أعقاب حرب ١٩٦٧م، واعتبرتها رصيداً إستراتيجيًا لها فى المنطقة، وقدمت لها الدعم السياسى والعسكرى والاقتصادى والمالى الذى يكفل لها

التفوق على الدول العربية مجتمعة، ويمكنها من مواصلة احتلالها للأراضى العربية منذ أربعين عامًا، وأيدت سياستها العدوانية، والتى تجاوزت كل الحدود فى عهد الرئيس چورچ بوش الابن.

لقد مضى قرن من الزمان على نشأة الحركة الصهيونية، ومضى ما يقرب من ستين عامًا على قيام دولة إسرائيل.

فهل حققت الصهيونية أهدافها؟

وهل استقرت إسرائيل فى محيطها العربى وحققت لمواطنيها الأمن والسلام؟

أما الصهيونية، فقد تمكنت من تحقيق حلم تيودور هيرتزل بإقامة دولة لليهود بفضل دعم الدول الاستعمارية.

ولكن تحقيق هذا الحلم جاء على حساب الشعب الفلسطينى، وتسبب فى نشوب حروب دامية، بل إن المشروع الصهيونى لم ينجح فى بلوغ هدفه من جمع يهود العالم فى إسرائيل. حيث لا تزال غالبية اليهود راغبة عن الهجرة إليها، وأثبتت بتفضيلها العيش فى دول أخرى عدم صحة الأساس الذى بنى عليه هيرتزل فكرته عن استحالة انقضاء العداء للسامية من العالم.

وأما إسرائيل، فلا تزال مطامعها التوسعية وهواجسها الأمنية تملى عليها سياستها العدوانية تجاه العرب عامة، والفلسطينيين بوجه خاص، ولا يزال سكانها يعيشون داخل جيتو كبير، لا يشعرون داخله بالأمن، ويتوهم ساستها أن أمنها يتحقق بحصولها على أحدث الأسلحة التقليدية وغير التقليدية (النووية والكيماوية والبيولوچية) واتباع سياسة «الجدار الحديدى» ضد العرب.

وقد أدرك فريق من الإسرائيليين أنه آن الأوان لإعادة النظر فى المذهب الصهيونى، وفى الظروف التى نشأت فيها دولة إسرائيل، ومحاولة التعرف على الحقائق التى طمستها الدعاية الإسرائيلية.

فمنذ سنوات قليلة برزت على الساحة الإسرائيلية ظاهرة «المؤرخين الجدد» حيث عكف عدد من المفكرين على دراسة الوثائق الإسرائيلية التى تم الإفراج عنها وتحليلها وتوصلوا إلى إعادة النظر فى تاريخ إسرائيل، وتصحيح معلومات خاطئة كانت متداولة على أنها حقائق.

ومن القضايا التى ناقشها «المؤرخون الجدد» الخطيئة الكبرى التى ارتكبتها الصهيونية بحق الشعب الفلسطينى، باعتبار المشروع الصهيونى مشروعًا استيطانيًا إحلاليًا يستهدف تفريغ فلسطين من سكانها العرب لإحلال اليهود محلهم، ومن ثم صكت الشعار القائل: «شعب بلا أرض إلى أرض بلا شعب». وقد تصدى لهذه القضية بينى موريس فى كتابه (مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين) فتحدث عن الإجراءات التى تعمدت إسرائيل اتخاذها والتى من بينها إزالة ٣٦٩ قرية ومدينة عربية وإسكان اليهود مكانها، وترحيل أصحاب ٢٢٨ موقعًا بالقوة المسلحة، كما أن عددًا من المؤرخين الجدد تناول قضية السلام حيث زعمت الدعاية الإسرائيلية أن الدولة العبرية ظلت تسعى لإقامة السلام مع الدول العربية فى حين أن هذه الدولة ظلت ترفض المساعى العربية، ومن ثم تتحمل مسئولية استمرار النزاع. ومن هؤلاء (آفى شلايم) الذى أصدر كتابه «الجدار الحديدى» وأثبت فيه أن بن جوريون كان يرفض الدخول فى مفاوضات سلام مع العرب حتى لا تضطر إسرائيل إلى تقديم تنازلات خاصة بالنسبة للحدود ولعودة اللاجئين، وظل ينتهج سياسة استخدام القوة تجاه العرب وشن الحروب ضد الدول العربية ـ وخاصة مصر ـ لفرض الشروط الإسرائيلية، ثم حاول إقامة تحالف مع دول الجوار بقصد حصار مصر، أما ميناحيم بيجين، فإنه فى حين أقام السلام مع مصر فإن مواقفه هو وشامير من بقية الأراضى العربية المحتلة أدت إلى الشلل السياسى، بحيث لم تتحرك عملية السلام إلا فى عهد إسحاق رابين.

وعالج آخرون مشكلة التناقض بين هوية الدولة اليهودية والنظام الديموقراطى. ومن هؤلاء «المؤرخين الجدد» (باروخ كيرلنج) الذى يذكر أن التنازلات التى قدمت لصالح التيارات المتطرفة جعلت إسرائيل يهودية أرثوذكسية، وأن الصهيونية عندما اختارت فلسطين لمشروعها كانت دوافعها أيديولوچية دينية. وأدى هذا الاختيار إلى جعل المشروع الصهيونى عاجزًا عن إعالة نفسه اقتصاديًا، بل إلى تحويله إلى مشروع دينى من أساسه لا يستطيع الانفصال عن هويته الأصلية كحركة شبه مسيحانية[(١)].

وأخيرا، فإن عددًا من هؤلاء المؤرخين الجدد قد تصدى للأسطورة التى نشرتها

---

(١) أحمد بهاء الدين شعبان: ما بعد الصهيونية وأكذوبة حركة السلام فى إسرائيل (مريت للنشر والمعلومات، القاهرة ١٩٩٩م).

الدعاية الصهيونية عن حرب ١٩٤٨، وكيف أن إسرائيل الدولة الصغيرة هزمت جيوش الدول العربية، وشبهت إسرائيل بالنبى داود الذى هزم جولیات فى القصة الواردة فى التوراة، وفندوا هذه الرواية.

فقد أثبت هؤلاء بالوثائق أن الجيش الإسرائيلى فى تلك الحرب كان أكثر عدداً وأفضل تسليحًا من الجيوش العربية (٣٥ ألف إسرائيلى مقابل ٢٥ - ٣٠ ألف عربى، مسلحين بآلاف البنادق والرشاشات والمسدسات والقنابل ويستخدمون الطائرات والمجنزرات والمدافع... إلخ).

وقد تحدث عدد من المفكرين عن مرحلة (ما بعد الصهيونية)، فرأوا أنه آن الأوان لكى تصبح إسرائيل دولة عادية كبقية دول العالم فترعى مصالح مواطنيها دون أن تكون لها علاقات خاصة مع يهود العالم (الدياسبورا). وطالبوا بإلغاء قانون العودة - الذى يعطى أى يهودى الحق فى الهجرة والإقامة فى إسرائيل - حيث لم تعد ثمة حاجة عملية أو أيديولوچية له، فضلاً عن كونه قانونًا عنصريًا يتعارض مع حق عرب إسرائيل فى المساواة.

ويطالب دعاة ما بعد الصهيونية بأن تكون إسرائيل دولة لكل مواطنيها من يهود وعرب وآخرين.

ومن هؤلاء «بواز إيڤرون» و«هانوش مارماری» و«إيلان پاپيه»، كما أن منهم «يورى أڤنيرى» الذى ألف كتابًا بعنوان (إسرائيل بدون صهيونية) انتقد فيه سياسة بن جوريون، وعدوانية موشى ديان، ومواقف إسرائيل تجاه العرب بصفة عامة، ودعا إلى فك روابط إسرائيل بالصهيونية، وإقامة اتحاد فيدرالى بينها وبين دولة فلسطينية تقام فى الضفة الغربية وقطاع غزة مع إمكان انضمام الأردن لها.

وقد ألف داڤيد جولدبرج كتابًا بعنوان (إلى الأراضى المقدسة)، استعرض فيه تاريخ الصهيونية من خلال الكلام عن مفكريها وقادتها، وانتهى بفصل بعنوان (الصهيونية - نهاية أيديولوچية). تساءل فيه عما إذا كان وجود إسرائيل يحقق الاستقرار الذى كانت تفتقده الأجيال السابقة أم أن قدر اليهود هو أن يكونوا شعبًا عالميًا. وذكر أن التاريخ هو الذى سوف يرد على هذا السؤال وغيره، أما انتقاد الصهيونية فإنه قديم قدم هذه

الحركة ذاتها، سواء من قبل رجال الدين أو العلمانيين، ومن الأرثوذكس أو الإصلاحيين والاشتراكيين، ومن اليمين واليسار، ومنهم من يرى أنه طالما أن الدولة اليهودية قد أقيمت فإن الصهيونية تكون قد حققت هدفها، فإذا كان ذلك كذلك فإن معظم يهود العالم قد يطلقون الهتاف «لقد ماتت الصهيونية . . ولتحيا دولة إسرائيل»(١) .

هذا ـ في حين يعرف (أمنون روبنشتاين) «ما بعد الصهيونية» بأنها نظرة تعتبر الصهيونية حركة كولونيالية (استعمارية) اتخذت مواقف صماء تجاه الظلم الذى ألحق بالعرب، وينتقد هذه النظرة قائلاً إنها لملمة مذاهب تافهة، أو ترهات احتيالية»(٢) .

وعلى أية حال، فإن حركة المؤرخين الجدد والدعوة لما بعد الصهيونية لم تؤثرا كثيراً على سياسة إسرائيل، خاصة مع تحول المجتمع الإسرائيلى نحو اليمين، وتوقف عملية السلام .

وإذا كانت هذه الدعوات لم توثر كثيراً على السياسة الإسرائيلية، فإن ما أثبتته الحرب الإسرائيلية اللبنانية عام ٢٠٠٦م من تخاذل قوة الردع التى نشهرها إسرائيل ضد العرب قد تكون نقطة تحول فى مواقفها، حيث فشلت الدولة العبرية فى تدمير أسلحة حزب الله، وعجزت قواتها عن التقدم فى جنوب لبنان، بل إن الصواريخ قد أصابت داخل إسرائيل كما تزايد تسلح الدول العربية بالصواريخ المتطورة .

وبعد، فقد حاولت فى هذا الكتاب، أن أشرح أبعاد وأسباب السياسة التى لا تزال تنتهجها إسرائيل، وخاصة فى تعاملها مع الفلسطينيين، حيث تواصل قواتها التوغل فى قطاع غزة والضفة الغربية لتعمل القتل والدمار فيهما وتطلق طائراتها الصواريخ لاغتيال الشخصيات الفلسطينية، وتهدم البيوت على رءوس سكانها وتعتقل الآلاف منهم، وتفرض حصاراً خانقا على قطاع غزة .

وقد كان أولى بإسرائيل أن توقف هذه الممارسات وتتجاوب مع التوجهات العربية للسلام . إذ كانت تتمنى ـ منذ نشأتها أن يعترف بها العرب ويطبعوا علاقاتهم معها،

---

(١) David Goldberg: To the Promised Land (Penguin).

(٢) أمنون روبنستاين : من هيرتزل إلى رابين ـ مرجع سابق .

وأصبح ذلك ممكنًا منذ أن سارت الدول العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية فى طريق السلام، ومدت القمة العربية يد السلام إليها بالمبادرة التى طرحتها عليها منذ أعوام، ولكنها لم تتجاوب معها حتى اليوم.

بل إن (حماس) سبق أن أوقفت عملياتها ضد إسرائيل وقررت وقف إطلاق النار أكثر من مرة، كما عرضت عقد هدنة طويلة مع الدولة العبرية مقابل انسحابها من الأراضى العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧م.

ولا شك فى أن قبول إسرائيل لهذه العروض سوف يرسى الأسس لإقامة سلام دائم وعادل بين إسرائيل والأطراف العربية، ويؤدى ـ بالتالى ـ إلى تحقيق الاستقرار فى منطقة الشرق الأوسط.

ومن الخطأ اعتبار النزاع العربى الإسرائيلى نزاعًا دينيًا، بل هو نزاع سياسى. فالإسلام يعترف باليهودية كديانة توحيد سامية، بوصاياها العشر وتعاليمها وعباداتها وطقوسها، كما لم تعرف الدول الإسلامية، ظاهرة عداء اليهود على نحو ما تفشت فى الدول الغربية، وذلك إلى أن تسببت الصهيونية في إثارة عداء المسلمين والعرب.

والواقع أن الصهيونية قد استغلت بعض العقائد اليهودية ذات الطابع القومى وأساءت تفسيرها، بل وأدت إلى تشجيع التطرف والأصولية الدينية، وسلكت طريق العنف لتحقيق هدفها. ولا تزال الحكومات الإسرائيلية تسير على نفس النهج الذى رسمته الحركة الصهيونية.

ويرى كثيرون من المفكرين والكتاب اليهود أنه حان الوقت لإعادة النظر فى الأهداف الصهيونية، وينتقدون بشدة سياسة إسرائيل العدوانية تجاه الفلسطينين والدول العربية.

ومن المؤسف، أن بعض الكتاب يدافعون عن سياسة إسرائيل، أيًا كانت، وعن مواقفها حتى المتعنتة والخاطئة منها، ويمارسون نوعا من الإرهاب الفكرى ضد من ينتقدها؛ أو ينقدون الصهيونية، وهم بذلك يلحقون الضرر بإسرائيل ولا يفيدونها ويساعدون على استمرار الصراع العربى الإسرائيلى.

أما الولايات المتحدة، فعسى أن تدرك أن «علاقتها الخاصة» مع إسرائيل قد سببت لها عداء العالم العربى والإسلامى، وأن تأييدها للسياسة الإسرائيلية العدوانية هو السبب الرئيسى للإرهاب الدولى الذى عجزت عن القضاء عليه، وأنه لا سبيل إلى تحقيق السلام والاستقرار فى منطقة الشرق الأوسط إلا بحل النزاع العربى الإسرائيلى حلاً عادلاً وشاملاً ودائمًا ينهى الاحتلال الإسرائيلى للأراضى العربية، ويعيد الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى بما فيها حقه فى إقامة دولته المستقلة بعاصمتها القدس، وحل مشكلة اللاجئين حلاً عادلاً على أساس قرار الأمم المتحدة رقم ١٩٤ .

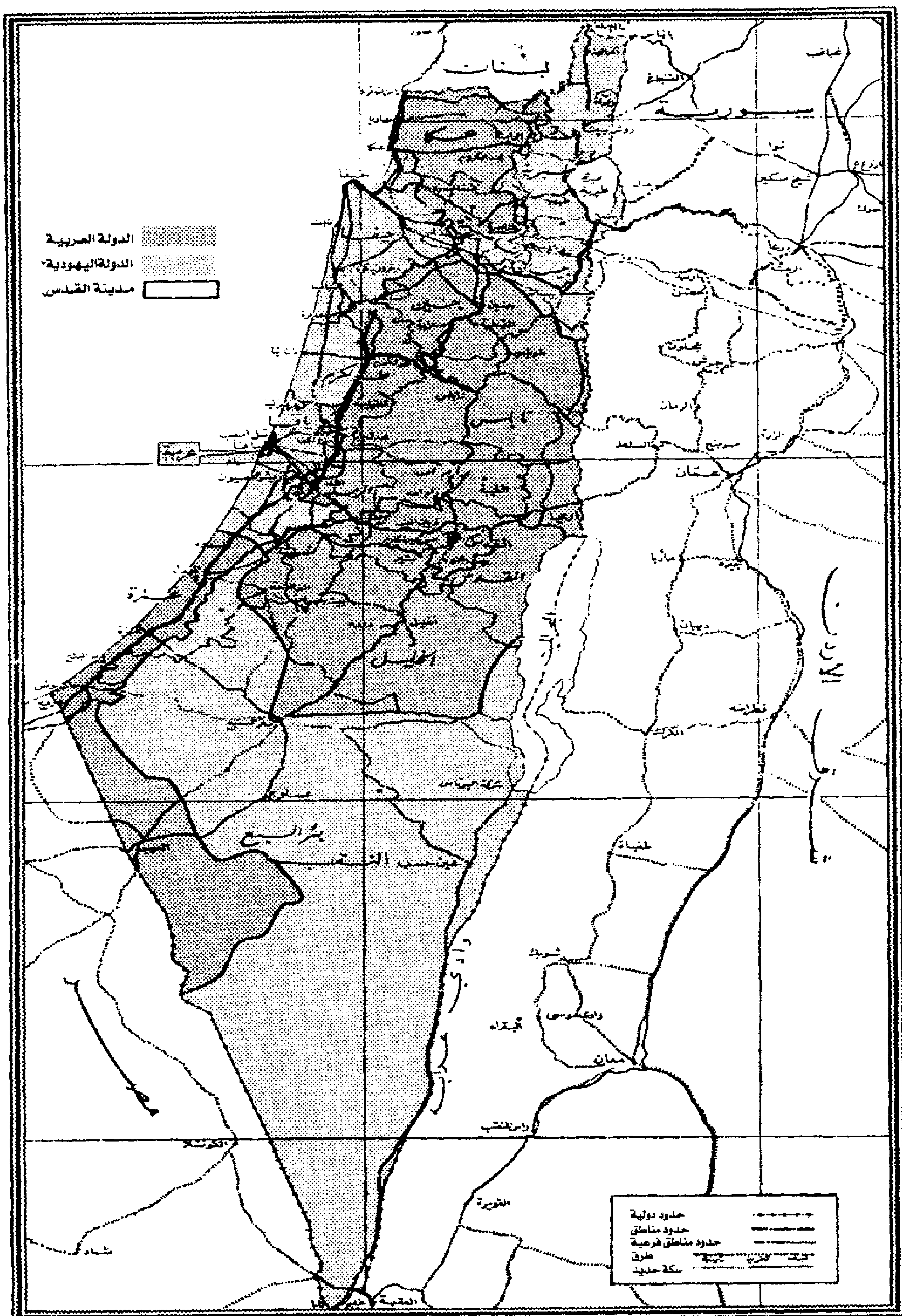
أما التحيز الصارخ لإسرائيل ودعم سياستها وأطماعها، أو مجرد اللجوء إلى عقد اتفاقات مرحلية، بهدف التهرب من تسوية القضايا الأساسية ـ وخاصة قضايا الحدود النهائية والقدس واللاجئين والمياه ـ واستغلال الانقسامات الفلسطينية الحالية، فإنها لن تؤدى إلا إلى إطالة الصراع، واستمرار العنف والإرهاب فى المنطقة.

سفير / طاهر شاش

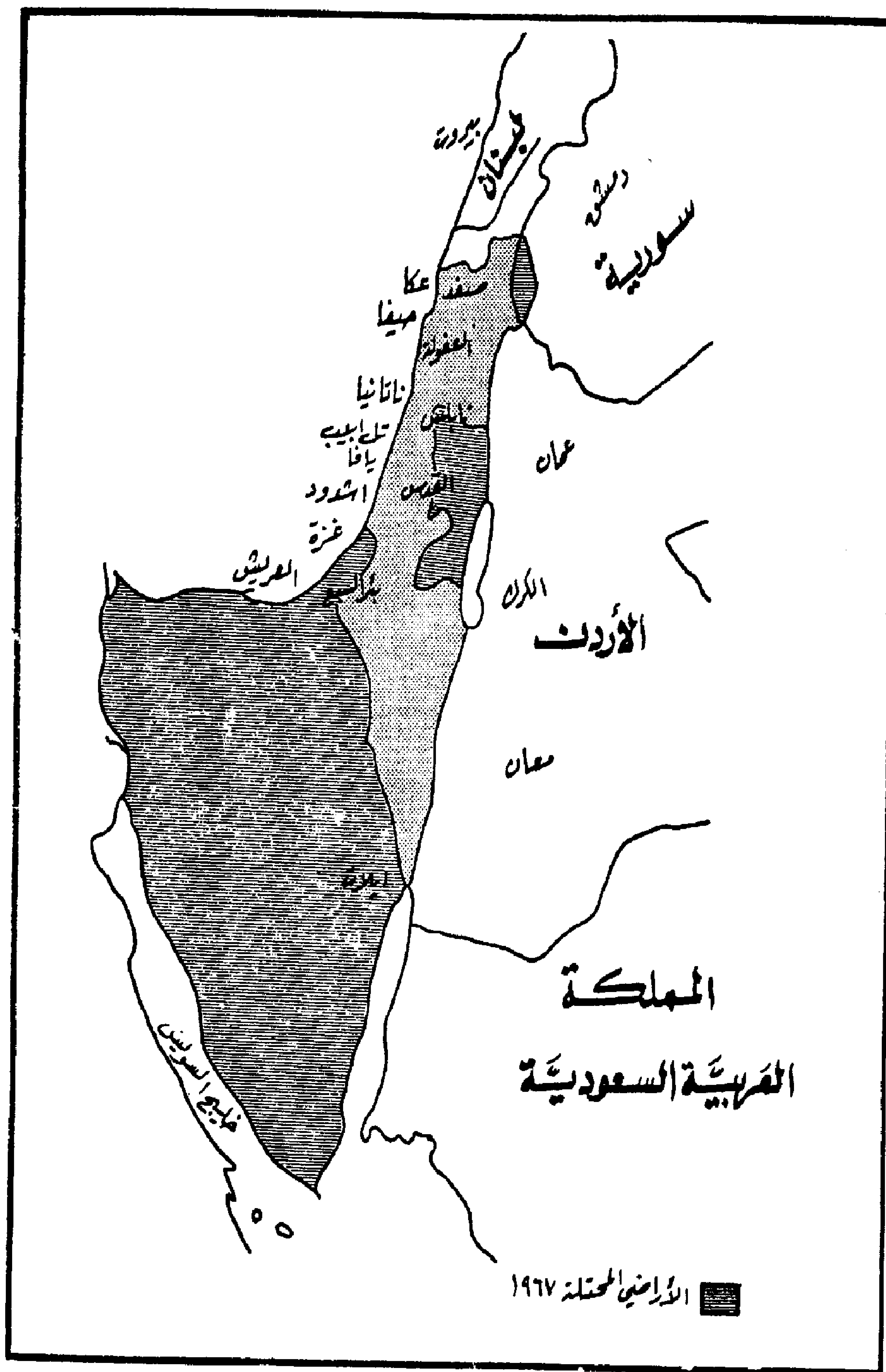
مصر الجديدة فى ١٥ سبتمبر ٢٠٠٧م

* * *

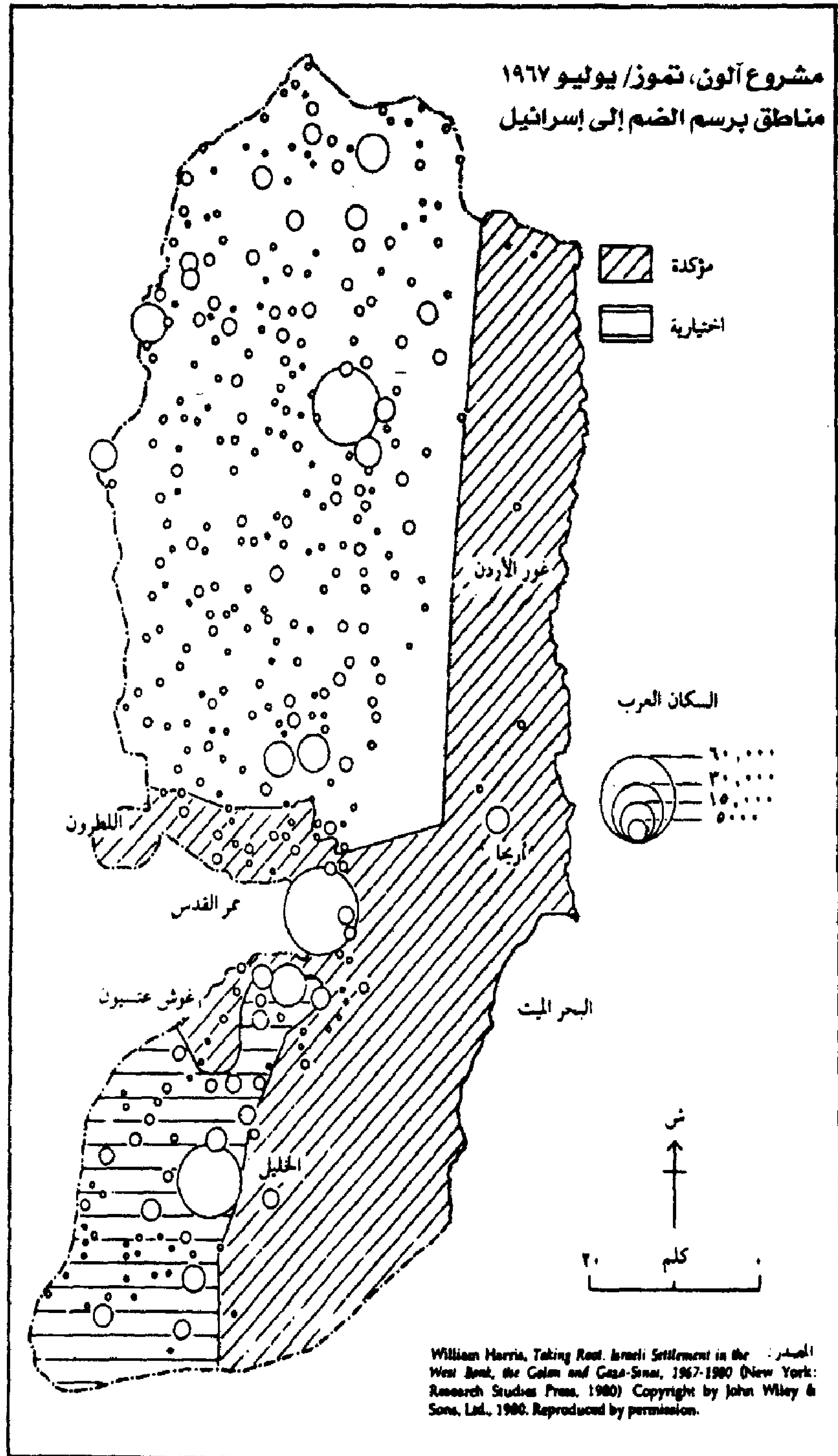
ملحق الخرائط



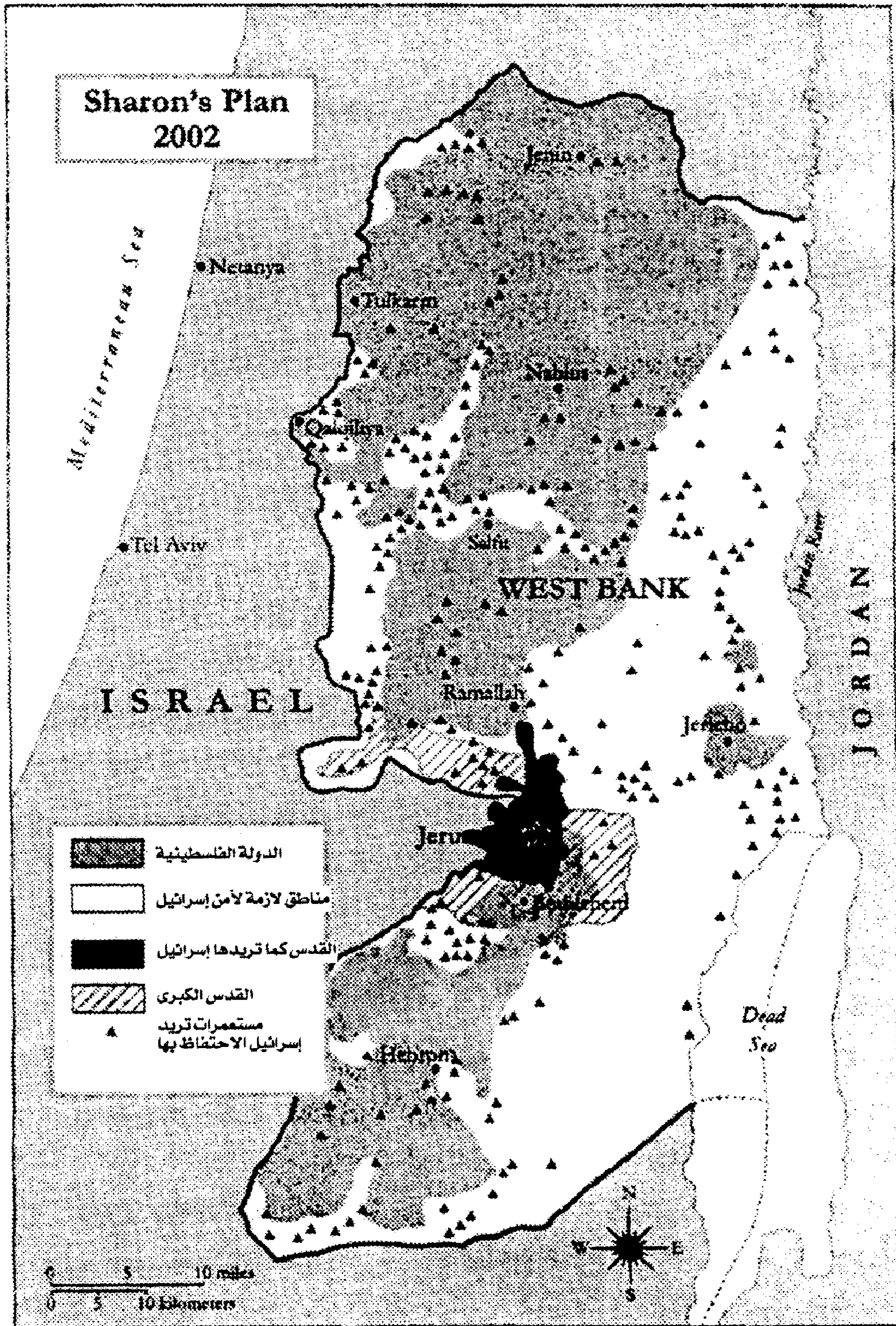
(خريطة رقم ١) مشروع التقسيم الموصى به من قبل هيئة الأمم سنة ١٩٤٧م



(خريطة رقم ٢) إسرائيل والأراضي المحتلة ١٩٦٧م



(خريطة رقم ٢) مشروع آلوان للضفة الغربية تموز/ يوليو ١٩٦٧، وتوزع السكان العرب في أيلول/ سبتمبر ١٩٦٧. (الطريقة: رسمت الدوائر بحسب «أسلوب فلانري»)



(خريطة رقم٤) خطة شارون ٢٠٠٢م

• قائمة المراجع العربية

- الكتاب المقدس
- د. أحمد شلبى: مقارنة الأديان: ١ ـ اليهودية (مكتبة النهضة المصرية).
- د. أحمد عثمان: تاريخ اليهود (٣ أجزاء) مكتبة الشروق الدولية.
- إيان لوستيك: الأصولية اليهودية فى إسرائيل (مؤسسة الدراسات الفلسطينية ـ ١٩٩١).
- د. حسن ظاظا: الفكر الدينى اليهودى (دار القلم).
- د. رشاد الشامى: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية (كتاب الهلال).
- ريچينا الشريف: الصهيونية غير اليهودية (سلسلة عالم المعرفة).
- د. سلمان أبو ستة: حق العودة (المركز القومى للدراسات والتوثيق).
- السفير طاهر شاش: المواجهة والسلام فى الشرق الأوسط (دار الشروق).
- ________ : التطرف الإسرائيلى: جذوره وحصاده (دار الشروق).
- ________ : مفاوضات التسوية النهائية والدولة الفلسطينية (دار الشروق).
- د. عبدالوهاب المسيرى: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية (مركز الدراسات السياسية والإستراتيچية بالأهرام).
- ________ : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (دار الشروق).
- د. قدرى حفنى: الإسرائيليون.. من هم؟ (مكتبة مدبولى).
- د. كامل سعفان: اليهود تاريخًا وعقيدة (دار الاعتصام).
- كيث وايتلام: اختلاق إسرائيل القديمة (سلسلة عالم المعرفة).
- الأب متى المسكين: تاريخ إسرائيل.

- د. محمد عبدالله الشرقاوى : الكنز المرصود فى فضائح التلمود (دار عمران - مكتبة الزهراء).

د. هيثم الكيلانى : الإرهاب يؤسس دولة (دار الشروق).

- مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام : انتخابات الكنيست السابعة عشرة (تحرير د. عماد جاد).

- مؤسسة الدراسات الفلسطينية : فلسطين : تاريخها وقضيتها.

- مؤسسة الدراسات الفلسطينية : دليل إسرائيل العام (١٩٩٧م).

(.. ومراجع أخرى : أشير إليها فى مواضعها بمتن الكتاب).

• المراجع الأجنبية

أشير إلى المراجع الأجنبية فى مواضعها بمتن الكتاب.

هذا الكتاب

- فى حربى ١٩٥٦و ١٩٦٧م ، قتلت إسرائيل الأسرى المدنيين المصريين العزل بدم بارد وبوحشية بالغة .. أمرتهم بحفر قبورهم بأيديهم ، وأطلقت الرصاص على رءوسهم .
- فى عامى ١٩٤٧ و١٩٤٨م ، طردت إسرائيل ٧٥٠ ألف فلسطينى ليصبحوا لاجئين، ورفضت عودتهم فى حين فتحت أبوابها لليهود القادمين من جميع أنحاء العالم .

منذ يونيو ١٩٦٧م ، فرضت إسرائيل احتلالها غير المشروع للأراضى العربية، وقامت بفرض الأمر الواقع فيها .... بإحداث التغييرات الجغرافية والسكانية والإدارية - لتتمكن من ضم أجزاء كبيرة منها ، وأخضعت الشعب الفلسطينى لأقسى أشكال القمع .

- ضربت عرض الحائط بمبادئ القانون الدولى وقرارات الشرعية الدولية .

على الرغم من توجه العرب للسلام وتقديمهم التنازلات بما فى ذلك مبادرة القمة العربية فى بيروت، لا تزال إسرائيل تعرقل كافة المساعى، وتواصل العمليات الاستيطانية وإجراءات التهويد فى الأراضى العربية المحتلة .

- ترتبط إسرائيل مع الولايات المتحدة بعلاقات خاصة تتمثل فى دعم الدولة العبرية سياسيًا وعسكريًا واقتصاديًا ، ويلعب اللوبى الإسرائيلى دورا خطرا فى توجيه السياسة الأمريكية لخدمة الأهداف الإسرائيلية، الأمر
غزو العراق والتهديد بضرب إيران وحصار سوريا.
- وهذا الكتاب هو محاولة موضوعية لشرح أبعاد هذه السياسة العدو
أسبابها ، الأمر الذى اقتضى إلقاء بعض الضوء على التراث الدينى والتا
وعلى الحركة الصهيونية وأهدافها ووسائلها ، فضلا عن علاقة هـ
ودولة إسرائيل بالدول الكب
الولايات المتحدة الأمريكي

